مجلة

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

الإصدار الأول - رجب ١٤٣٤هـ - مايو ٢٠١٣م

مجلة علميّة محكَمة تُعنى بنشر البحوث والدِّراسات في اللُغة العربية
ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه

الراعي الفخري للمجمع

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

الإصدار الأول - رجب ١٤٣٤هـ مايو ٢٠١٣م

مجلة علميّة، محكّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغة العربية، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه

(تصدر كلَّ أربعة أشهر)

أهداف المجلة

- تهدف المجلة إلى نشر البحث العلميّ في مجالات اللّغة العربية بجميع علومها، ونشر قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاته وفتاويه اللّغوية، كما تهدف إلى جمع ومتابعة قرارات المجامع السابقة، وتوصيات المؤتمرات والندوات العلمية .. والمفضّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدم اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفية.
  - البحوث المعنيّة بدراسة تأصيل وتصحيح وتعريب وترجمة وشرح الألفاظ والأساليب واللهجات والمصطلحات.
  - التراث المحقق.

منهاج نشر البحث العلميّ والمقال في المجلة :

١- أن يكون ذا أصالة وجدّة، مبنيًّا على قواعد البحث العلمي.

٢- أن لا يكون منشوراً ومقدّمًا للنشر في جهة أخرى، وأن لا يكون مُستلاً من بحث سابق للمؤلّف.

٣- أن يقدّم صاحب البحث نبذة موجزة بسيرته العلمية، وملخّصًا عن بحثه باللّغتين (العربية والإنجليزية).

٤- تخضع البحوث الواردة إلى المجلّة للتحكيم العلمي.

٥- يمنح ذوو البحوث المنشورة مكافأة رمزية.

٦- كلّ رأي مقرون بالدّليل أو النظر .. يسعُ المجلّة قبوله، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية ٢٠ ريالا. وفي خارج الوطن العربي: ٦ دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد ١٥٠ ريالا أو ٥٠ دولارا في الخارج، للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية ٣٠٠ ريال، أو ١٠٠ دولار في الخارج.

ترسل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المملكة العربية السعودية - ص ب: ٦٥٥٩ مكة: ٢١٩٥٥

هاتف وفاكس: ٠٠٩٦٦ ٢٥٤٠٢٩٩٩ – جوال: ٠٠٩٦٦ ٥٥٤٠٢١٩٩٩

E.M: m-a-arabia@hotmail.com WEB: www.m-a-arabia.com

الإصدار الأول

رجب ١٤٣٤هـ

مايو ٢٠١٣م

الهيئة الاستشارية

المحتويات

فاتحة المجلّة

باسم الله نبدأ، وعلى بركته نسير، وبه نتأيد ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، ونصلى ونسلم على البشير النذير، والسراج المنير، المرسل بلسان قومه ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

أما بعد: فهذا أول إصدار لمجلة (مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية) لأول مجمع نشأ فكرةً وإعدادًا، ودعمًا وإمدادًا، عند أوَّلِ ﴿بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذه المجلة فرع من شجرة المجمع الشبكي العالمي، الذي جاءت فكرته وولادته ونشأته في هذا العصر الذي ازدحمت فيه وسائلهُ، وزخرت فيه كتب العلم ومسائلهُ، ووفرت دروسه ورسائلهُ، ولم ينقطع عن واديه سيلهُ وسائلهُ، ولا خاب فيه طالبه وسائلهُ، غير أن المبذولَ قد صار مملولاً، وصار فيه الزَّعِل متوانيا كسولا، وصرنا نشكو من كثرة الكتب ومن تزاحم القَنا، بعد أن كان الناس يشكون من قلَّتها في عنا، ولما كانت هذه الوسائل قائمة على البيان باللسان والقلم، بالمنطق العربيِّ أفصح لسان، وأنصع بيان، كان مسؤولية حاملي لواء العربية أكبر، وواجبهم أجلّ، فقد أصبحت تلك الوسائل ميدانا لكل داع، ومسمعًا لكل واعٍ، وفيها يلحن اللاحنون، ويتفاصح المتفاصحون، وفيهم من يخلط العربي بالعجميّ، أو يشوه وجه المنطق الجماليّ، بالتحريف تارة، وبالخطإ في الإعراب تارة، وبالتصحيف تارة أخرى .. وما بنا من خوفٍ على هذه اللغة أن تضيع بين

اللُّغى، وإن بغى عليها من قومها من بغى، فإنها محفوظة من لدن حكيم خبير، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تختلف عليه اللّغات، وسرُّ حفظها أنها لغة الكتاب العزيز الذي قال فيه جلّ اسمه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، فمقتضى قدره الكونيّ الذي جرى به القلم أنّ القرآن محفوظ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، والقرآن باللسان العربي، فهي باقية ببقائه، هذه مقدمة لا يجادل في نتيجتها العقلاء، ولا يماري فيها الفضلاء .. فلا خوف - إذن - من ضياعها واضمحلالها، ولكن الخوف من أن يرمى في بحرها ما لا ليس منها، مما لا يقبله ذوق العربية وماؤها العذب، وأن يَغِيضَ منها ما غلا وعلا من جواهر ألفاظها، وأن يُستبدَل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وأن يشوه ذلك الجمال بلحن المقال، وأن تضيع أسرارها من القلوب، ودقائقها من الأذهان، وحقائقها من النفوس، وتصير جسدا لا روح فيه، وإن لا يَسْلَم ذلك الجسد من المُثلة، في ذهول وغفلة.. لهذا كان من حكمة الحكيم أن يجعل مع قَدَره الكونيّ النافذ الباقي أمرًا تكليفيا، يأمر بالتعلم ويوصي بالعلم، ويذكر فضلها، ويعلي مقامها، ومقام أصحابها، وجعل لذلك حرسا شديدا، وحماة كُماة .. وجنودا غير عُزَّل، في كل زمان بما يناسبه.

وإنا لنجد - بعد الشكر لمولانا جلَّ ذكره - أنّ ما وفقنا الله إليه من إنشاء هذا المجمع هو نوع من الجنود المشاركة في الدفاع عن البيان .. وبيان فضائله، وإظهار محاسنه، وتحبيبه إلى القلوب، بالتيسير والتقريب، ولقد كان للمجامع الأرضَّية، لا سيما مجمع الخالدين بالقاهرة قدم صدق، وخلف عدول، نفوا عنها كثيرا من الزيغ والانتحال، والتحريف والإبطال، بالوسائل المتاحة يومئذ، فأراد مجمعنا أن يكملّ المسيرة بأقرب وسيلة، ورسم لطريقه أهدافا عالية، غداة

إنشائه، ونصبُ الهدف أمر لا بدّ منه، ولكن الأهم من تحديد الهدف تحديد الطريق الموصل إلى الهدف، والطرق منها ما هو طويل ومنها ما هو وعر، ومنها ما هو وَعِر طويل، وأنجح الطرق وأنجعها ما كان سهلا مستقيما.

فكانت هذه الوسيلة العجلى، التي تُسَمّى الشبكة العنكبوتية، المبذعرَّة في الفضاء، الممتدة إلى بيوت الناس، في العالم كلّه، ويدخلها القاصي والداني على حدّ سواء، ووضعنا فيها أسماءً لسدنة الّلغة وأعلامها، مع طائفة من أجلة علماء الشريعة وغيرها، إيذانا بأن العلوم متشابكة، وأن بعضها آخذ بحجز بعض، ليكون مجمعنا جامعا ،ورابطة عالمية، وليكون موئلاً للسائلين، وكعبة للراغبين، ومُنىً للطالبين.

فإن يشإِ الله لهذا الصَّرحِ الشَّبكي الفَضائيّ أن يكون أيضًا صرحًا عاليا عند بيته المحرم كان ما شاء، وقد وعد راعي المجمع وداعمه **سعادة الشيخ مشعل بن سرور الزايدي** وعدًا حسنًا ببنائه، جعله الله مشعل خير، وداعي سرور، وزاده من فضله وإحسانه، وكان ذلك شعورا منه بعظمة هذه اللغة وبحقها العظيم على أبنائها، ومشاركة في عمل الخير لوطن الخير وبلد العطاء.

فنتقدم إليه بالشكر الوافر العاجل عل مسارعته إلى تبنّي المجمع بعد أن اطلع على خطته وأهدافه ورسالته، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأعضاء المجمعيين الذي أثروا هذا المجمع بسمائهم وأسمائهم، ومشاركاتهم وبحوثهم ومقالاتهم.

وغير عازب عن البال ما قدمته لنا وزارة الثقافة والإعلام من تيسير

وتأييد ومباركة وتشجيع، وفي الطليعة **معالي وزيرها الأديب البارع الدكتور/ عبد العزيز خوجه** الذي يشاركنا همّ هذه اللغة العربية العبقريّة، انطلاقا من شعوره بالمسؤولية، وانطلاقا من شاعريته الفياضة، وهل كان الشعر إلا لآلئ وجواهر من بحار اللغة العذاب ؟ وهل كان الشعر إلا آية للسائلين عن جمال اللّغة الباهر، وعبقريتها الفذَّة.

وبلادنا - ولله الحمد منذ أن كانت - حارسةٌ للملّة، حافظةٌ للعربية، تحثّ على ذلك، وتشجّع عليه، وترصد له الجوائز والعطايا، وكم كان لجائزة الملك فيصل- رحمه الله تعالى - من منحٍ غاليةٍ خالدة لعماليق الأدب، وفطاحل اللغة، وأساطين البيان، حفظ الله بلادنا وقيادتها من كل سوء، وحمى لغتنا من كل مكروه.

وقبل هذا كلّه وبعده، ودونه وعنده، نشكر الله تعالى على منّه وفضله، وتيسيره وطَوْله، ونسأله التوفيق والتأييد، والعون والتسديد، إنه نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا به.

رئيس تحرير المجلة

رئيس المجمع

عبد العزيز بن علي الحربي

القسم الأول:

افتتاحيات

الإصدار الأول

رجب ١٤٣٤هـ
مايو ٢٠١٣م

كلمة معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

عضو هيئة كبار العلماء، المستشار بالدّيوان الملكي، إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإنّ الله أنزل كتابه الكريم بلسان عربيّ مبين، وعهد بحفظه إلى نفسه ولم يستحفظ عليه أحدا من عباده، كما استحفظ الذين من قبلنا على ما أنزل إليهم، ولما كان القرآن الكريم باللسان العربي هيأ الله لهذه اللغة من يحفظها، ويجمع ألفاظها، ويكشف عن جمالها، ويبيّن أسرارها، من أئمّة اللّغة والنحو والبيان وتفسير القرآن، فجادوا بالعجب العجاب وبما بهر العقول، وما طعن في هذه اللّغة طاعن إلا وكان طعنه سببا في إسكاته، وخزيا له في حياته وبعد مماته، بما يدفع به الغيارى من حجج وبراهين، تطفئ نيران المكيدة، وتجعله جسدا بلا أيد[1].

وعصرنا هذا كسائر العصور الماضية لم يخل من تلك الجنود المجنّدة التي تحمي هذه اللّغة وتحرسها وتذود عن حياضها، وتجدّد للأمة أمر لغتها وبيانها، وكان من تلك الجنود مجامع لغوية، أعدت لذلك الغرض النبيل، في عدد من البلدان، فقامت بجهد مشكور، وعمل مبرور، غير أن وسائل الدفع والرفع، وطرق البث والنشر أصبحت مختلفة، وصار التواصل بين الناس أسرع من البرق، بحيث يتحدث البعيدان في الخطاب بلا فرق، بواسطة الشبكة العالمية الجامعة.

---

(١) قوة.

وما أحسنها من وسيلة إذا استعملت في خدمة الدين والأوطان، فوفق الله تعالى أخانا الأستاذ المفضال فضيلة الدكتور البحّاثة المفسر اللّغوي النحوي النحرير الشيخ عبد العزيز بن علي الحربي لإنشاء مجمع لغوي علمي على الشبكة العالمية العنكبوتية، منطلقا من مكة المكرمة، تيمّنًا بأن يفيض خير هذه اللّغة ويعم نفعها العالم، فهو المكان الذي أنزل فيه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق].

كما وفق الله تعالى لأن ينضم إليه كوكبة من الذين أوتوا العلم بهذه اللّغة وغيرها من أهل هذه البلاد المباركة ومن غيرها، ليكون جامعة لغوية، ورابطة عربية.

وقد اطلعت على أهداف المجمع ورسالته، وبعض أعماله، وعلى القرار الأول الذي أصدره فوجدته عملاً يمضي إلى الرّيادة، ويستوجب التأييد والإشادة، ويستحق التشجيع وزيادة.

فشكر الله لرئيس المجمع ومؤسسه .. وشكر الله **لسعادة الأستاذ/ مشعل الزايدي** الذي أمدّ المشروع بماله، زاده الله من فضله وجوده، ووفق الجميع إلى ما فيه خير البلاد والعباد .. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتكريما

الاثنين ١٣/٥/١٤٣٤هـ

كلمة معالي الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إمام وخطيب المسجد الحرام، الرئيس العام للمسجد الحرام والمسجد النبوي

الحمد لله الذي جعلنا من أمة القرآن، وخصنا ببليغ البيان وبديع التبيان، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمَّد بن عبد الله الذي شرفه ربه فجعله مسك الرسالات وختامها، وبلغه من جوامع الكلم ذروتها وسنامها، ومن البلاغة كمالها وتمامها. وعلى آله وصحبه، الآخذين من اللغة زمامها وخطامها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد**:

فإن المستقرئ لأحوال الشعوب والمجتمعات، والمتأمل في أمجاد الأمم والحضارات، يلفي أنَّ اللغة أداة الرُّقي والتَّواصل بين الشعوب، ومتى فرَّطوا فيها كان أمرهم إلى شَعوب، لأنها قوام الحضارات والأمم، وملاك كل أمر أمم. وأسنى تلك اللغات باتفاق، وأجلها على الإطلاق: اللغة العربية، حُجة المفاخر، وأعظم المفاخر بين لغى الأوائل والأواخر؛ لغة القرآن الكريم، والرسالة الخاتمة الربانية، والشهادة العالمية، زهرة التاريخ العابقة، ومزنة النور الوادقة، وإشراقة الدنيا الصادقة، والينبوع الثر الذي ترتوي منه العقول الصادية، والسراج الذي يضيء المجتمعات العاشية.

و هي الأصل الأصيل من أصول الدين المتين، وبيانه الجلي المبين، الذي أظهر للعالمين حكيم أسراره، وأفاض على الأمم هداياته وأنواره. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن اللغة العربية من الدين

ومعرفتها فرض، فإن فهم الكتاب والسُّنة فرض، ولا يفهمان إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلابه، فهو واجب». وما معنى اللغة العربية، إلا: العقيدة، والشريعة، والتاريخ، والحضارة. وهذه اللغة الخالدة؛ قد تضمنت المعاني الجليلة السامية التي تعنو لنفحاتها وإشراقاتها الأرواح، في شدةٍ وفتون، ويتورَّد لرقَّتها ماحِل الحُزون. وهي بعد الوحيين الشريفين - قطعا - عِماد عِزَّتنا، وأصالتنا، وطُنْب جماعتنا ووحدتنا، ما صَحَّت مِنَّا النوايا والعزائم، وتحدَّينا - بعون الله - مآسي الإحباط والهزائم.

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا بردا على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد

أخي القارئ الكريم: وإذا سألت عن صِلَة اللغة العربية السنية، بذات الإنسان، فإنها منه: شعاع النفس، وأرج الروح، ونضح العواطف، ووقدة الخاطر، وعبقرية الحياة، بل هي: المعراج الروحي الندي لمناجاة الرحمان - سبحانه - وإنها لَلِسان الإنسان المعبِّر عن آماله وأشواقه، آلامه وأذواقه، عن مكنونات نفسه، ولواعج حِسِّه... إلى غير ذلك مما يكتنزه الفؤاد، ويجلُّ دون سَطْره اليراعة والمداد، فَلِلَّه ما أزكى ثمرها، وأروع أثرها!!

وصفها الإمام ابن كثير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال:(أفصح اللغات، وأجلاها، وأحلاها، وأعلاها، وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات).

وفي هذه اللغة الأم، ولها وبها، أبدع علماء المسلمين في شتىَّ الفنون والعلوم، حيث كانت مصباحهم، ومفتاحهم، ومنهم الأصوليون

المبرِّزون، وليست تخفى رسالة الشافعي رحمه الله وما حَوَتْه من البيان والبلاغة، والإيجاز والبراعة، ذلك وسواه براهين ساطعة على شمول اللغة وجمال تركيبها، ورونق ترصيعها، والحمد لله.

فما أهوى سوى لغة سقاها قريش من براعتها شِهَادا
وطوقها كتاب الله مجدا وزاد سنا بلاغتها اتِّقَادَا

إلا أن هذه اللغة الشريفة، ذات المقاصد المنيفة، والخصائص الوريفة، هبَّت عليها ريح ذات إعصار في هذه الأعصار، حتى غدت رباعها مجفوة، ورقاعها غير مرفوة، بعد أن كانت عذبة التغاريد، حسنة المفاريد، فنبذها كثير من أهلها وراءهم ظهريا، وعَدُّوا حِذْقها أُواما لا رِيًّا، وذلك لزهادتهم فيها، وسيطرة الأساليب البكيئة على مواقع التواصل الاجتماعي، ولاستحواذ اللغات الأجنبية وآدابها على ألسنة وفر مِنَ الكتاب والإعلاميين، وعقول جم من الأدباء والصحافيين، الذين أُشربت قلوبهم ألسنة الآخرين ومذاهبهم، فَفُتنوا عن حياض لغتهم، وطرائق آدابها، ومشارع النقد فيها، بل رَمَوْا مَن هام بها، بالتعصُّب والتخلف، ومَن تعهَّدها، بالتَّوعُّر والتكلُّف، وأعلنوا عليها حربا ضروسا، وأظهروا لها وجها عبوسا، وتلك ولا شك أنها دعاوى دُهْم حواطم، تقوِّض من شموخ اللغة، كل راسخ ومكين، ولتلك المسالك، أشنع الخطر، على رونق اللسان العربي وجلاله، وسحره وبهائه، وأبلغ الضرر على نفوس الأجيال الناشئة، أن تلجَّ في هجران ركازها اللغوي النفيس.

ولكن - بفضل الله ومنّه - ما هم بضائريها ما أطَّتِ الإبل!! لأنّ ما أَتَوه، شنشنة ضعاف الملكة، من الذين أعيتهم القريحة عن بديع القول وعيونه، ورائعه وفنونه.

وسِعتُ كتاب الله لفظا وغاية   وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدُّر كامن   فهل ساءلوا الغوَّاص عن صدفات

وعليه، فإن على الأمة الإسلامية عامة - وقد شرفها الله بهذه الثقة المميزة -: في وزاراتها، جامعاتها، معاهدها، مدارسها، مؤسساتها، وسائل إعلامها، والمجامع اللغوية خاصة، أن يَهبُّوا لإحياء اللغة ومكانتها الشرعية والتأريخية في النفوس، وأن يبوئوها مكانتها السامقة الرفيعة، وزبيتها الشماء المنيعة، في شتى الميادين: العلمية والدعوية، والإعلامية، وأن يجتثوا الضعف الذي اعتراها، جرَّاء تفريطهم واثِّقالهم دون نصرتها، لتحقيق آلق نضرتها، واثقين بكل مُنَّة، ودون مِنَّة، أن لنا مجدا لغويا يجب أن يعود، وسؤددا لسانيًّا ينبغي أن يسود.

أئمة اللُّغة الفصحى وقادتها   ألا بِدارًا فإن الوقت كالذهب
رُدُّوا إلى لغة القرآن رونقها   هيًّا إلى نصرها في جَحْفل لجب

ولأجل هذا المقصد العظيم، وهذه الأمنية المجيدة، (انبرت نخبة من الغُيُر وكوكبة من المحبين للغتهم وشريعتهم لإحياء هذا المجد المؤثل عبر عمل مؤسسي مؤصل، ومنهم) **الأخ الكريم الدكتور/ عبدالعزيز بن علي الحربي** - الذي بادر في همة فولاذية - لإحياء ما دَرس من لغة الضاد وآثارها، ولانتشالها من وهدة الأخطاء الشائعة وعثارها، يدافع عنها ويذود، ذَوْدَ الأم الرؤوم عن وليدها المروم، من خلال تأسيسه لمجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، الذي تنكَّب بفكرته الرائدة،

كلَّ مَهْيَع مطروق، وأتى فيه بكل ما يبهج ويروق. وإنه - وفقه الله - لأهل لذلك، إذ خصَّه المولى - عز وجل - بِعُلُوٍّ الكعب في اللغة العربية وعلومها، مع مُكنته ورسوخه في كثير من الفنون - نفع الله به (وبارك في جهوده).

وإذ أشكر لفضيلته جهوده الوثابة، وأقدِّر غيرته الوهاجة على لغة القرآن العزيز، (لأقدم من الدعاء أوفره، ومن الشكر أعطره لولاة أمرنا الميامين وعلمائنا الربانيين الصادقين، كما أشكر كل من أسهم في دعم هذا المجمع المبارك، وأخص) رجل المآثر الخيرية، والأعمال السنية، **الأستاذ/ مشعل بن سرور الزايدي** - وفقه الله - سائلا المولى - تبارك وتعالى - أن يجعل ذلك في موازين حسناته. داعيا الجميع لشد أزر هذا المجمع الفتي، بقوة: - كي يجعل بين الأمة وضعفها اللغوي ردما -: قوة العون والتسديد، والرفد والتأييد؛ ليسمو المجمع إلى معارج الإفادة والإمتاع، ومدارات التفوق والإبداع، وليس ذلك من باب: تسألني بِرَامَتَيْن سَلْجَمَا، ولكن: وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا.

وفَّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وسدَّد الخطى، وبارك في الجهود، وكلَّل الطموحات بالتوفيق والنجاحات، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه. وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أ.د/عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

كلمة افتتاحية لمجلة المجمع

أ.د. عبد الرّحمن بودرع

الحمدُ لله الذي بنعمتِه تتمُّ الصّالحاتِ، وصلى الله على محمّد وآله وصحبِه أجمعينَ

إنّ إنشاءَ مَجْمعٍ للغةِ العربيّةِ على الشّبَكةِ العالَميّةِ، وإنجازَ مجلّةٍ علميّةٍ ناطقةٍ باسمه، لَتُعدُّ بحقٍّ خُطوةً مُباركةً، نحو بناءِ صرْحٍ حضاريٍّ ليس كسائر الصُّروح ومجمعٍ إشعاعيٍّ ليسَ كمَعْهودِ المَجامع، مجمَعٍ لخدمة اللسانِ العربيّ المُبين، على الشّبَكةِ العالَميّة، يعمُّ به النّفعُ كلَّ الآفاق، ويبلغ الصّدى منه أبعدَ المَدى، لقَد آن الأوانُ لهذا اللّسانِ الكريمِ أن تُبْنَى له الصُّروحُ العلميّةُ والإعلاميّةُ والتّعليميّةُ، وتُرفَعَ له القَواعدُ وتُشمَّرَ له السّواعدُ، وتَتجرّدَ له الأقْلام وتَسْعى إليْه من كلِّ صوبٍ الأقْدامُ.

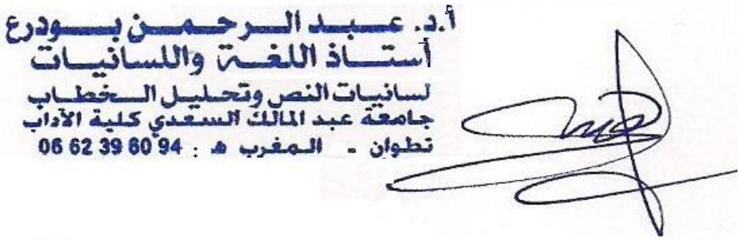
لقَد أصبحت اللغةُ العربيّةُ اليومَ، مدعُوّةً بإلحاحٍ إلى أن تقتحمَ عالَمَ الشّبَكة العالميّة الموسوعيّةِ الشّاملة، وتتبوّأ فيه مقعدَها الثّابتَ بينَ المَقاعدِ بكلّ جَدارَة، وبولُوجِ العربيّةِ الشّبَكةَ العالميّةَ نُشرت أعدادٌ كبيرةٌ من المصادرِ العربيّةِ والمؤلَّفاتِ المترجَمَة، وأنشِئت مكتباتٌ رقميةٌ عربيّةٌ، فَغَدا الوُصولُ إلى المَعْلومةِ باللغةِ العربيّةِ في جَميعِ المَيادينِ أمرًا سَريعًا ميْسورًا، ولكنّها وإنْ طَفَحَ نهرُها وعَمَّ خيرُها وملأ أرجاءَ الشّبَكةِ العالميّةِ صوتُها، ما زالَ يُلاحَظُ في نوعِ المُحْتَوى العربيّ ضعفُ المُحتوى، وحانَ الوقتُ للهممِ العاليةِ والنّيّاتِ المُخلصةِ أن تهبَّ لتحريرِ حالِ العربيّةِ وتحبيرِ مَقالها ورَفعِ مَقامها وفكّ الطّوقِ عنها، ولقَد بدأنا نشهدُ بَوادرَ

جـادَّةً ومُبـادراتٍ إلى الخـيرِ سـاعيةً، ظهَـرَت لتقويـةِ المُحْتـوى العَـربيّ الرقميّ، على رأسها وفي طليعتِها مبادرةُ إنشاء مجمَعٍ للغة العربيّـة علـى الشّبكَة العالَميّة، الذي جاءَ إنشاؤُه فكرةً رائـدةً واعـدةً، وخطـوةً عمليّـةً سديدةً، في طريقِ إسنادِ العربيّةِ ودعمها وتثبيتِ أركانها وتقويَةِ وجودِهـا بين اللغاتِ، وذلِك بتصحيحِ أوضاعِها وإحياءِ مَوْروثها وتَعزيزِ رَصـيدِها وتطويرِ قدراتِها وتقريبِها إلى متناولِ متعلّميها وتيسيرِ سُبُل التّواصُلِ بها.

لَقَد جاءَ المَجْمَعُ المُبارَكُ مَوْلودًا جَديدًا على جَناحِ العالَم الافتراضيّ - في سياقِ عَجز المجامع المألوفَة عن إبْـلاغ صَـوتِها - ليمحُـوَ الحُـدودَ ويكسرُ القُيودَ، حتّى يتمكّنَ الخاصُّ من النّـاسِ والعـامُّ مـن الوُلـوجِ إلى حماها وحَرَمِها، فيستفيدَ ويُفيدَ، فيدنوَ جَناها ويَطيبَ أكلُها وينتشرَ خيرُها ويعمَّ الكونَ نفْعُها.

نسأل الله العَظيمَ، ربَّ العَرشِ العَظيمِ أن يجزيَ الجَزاءَ الأوفى صاحِبَ الفكرَةِ المُثْلى واليَدِ الطّولى والبذرَةِ الأولى، واضعَ هندسَةِ المجمَعِ الرّائدِ الواعِدِ، الأستاذَ الدّكتور عبد العَزيز الحربيّ حفظَـه الله، و أنْ يُبـاركَ في الباني والمَبْنى، وفي القاصدِ والمَقاصدِ، وأن يجزيَ الجَزاءَ الحَسَنَ الأوفى داعِمَ المَجمعِ وراعِيَه الكريمَ، ويُوفِّق فريقَ العَمَلِ من العُلَمـاء والأعضـاءِ والباحثينَ والفَنّيين والإداريّينَ، للنُّهوضِ بمُستلزماتِ هذا المعْمارِ العامرِ، حتّى يستويَ على سوقِه ويُؤتيَ أكلَه كلّ حينٍ بإذنِ ربِّه.

والحمدُ لله رب العالَمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه



مجمعُ الإبداع

أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد

بسم الله، وبه أستعين، وأصلي وأسلّم على نبيّه محمد، وآله وصحبه، وبعد؛

فقد تحدّث معي أخي الطلعة صاحب الطموح العالي، والهمّة السامية، د. عبد العزيز بن علي الحربي عن فكرةٍ رائدة، هي من بديع خواطره، وسوانح أفكاره، وهي من إبداعاته وأفكاره الرائدة، التي يتطلّع إليها المجتمع العلمي، في العالم الخائلي، حين وجد أن العالم الطبيعي يضيق بفكره، ولا يتّسع لها صدره، ولا يفي بأغراض اللغة العلمية، وحاجاتها المتجدِّدة، ورأى أن العالم الطبيعي تحكمه أمور وسياسات يصعب الانفكاك منها، والتخلّص مما يلزم عنها، فمن مجمعٍ لا إمكانات له، إلى مجمع ليس لديه سياسة فيما يجب أن يعمله، وليس لديه رؤية، ولم يستشعر القائمون عليه رسالتهم ولا ما يجب أن يعملوه، إلى مجمع لا إرادة له، ولا يراد لأعماله أن تتجاوز بوّاباته، إلى مجمع تحكمه شلل نافذة، ومجموعات تتكتّل على بعضها، وتتعصّب ضدّ من خرج عنها، فتمنع الآخرين من ولوجه إلا زائرين، وضيفًا غير ثقيلٍ، وإن كان في هؤلاء من هو الأجدر والأفضل، والأعلم والأغير، وفي هذه الأحوال تبقى أبواب المجامع في العالم الطبيعي غير مشرعة للجادّين من أصحاب الفكر والرأي، وعلماء العربية، والمهتمِّين بها، وأصبحت هذه المجامع حكرًا على طائفة ليست هي الأحقّ بها، وليست هي الأجدر، وأشبه بإدارات تجترّ الماضي، وتمضغ لبانة لا طعم لها ولا غذاء.

وفي مثل هذه الأوضاع، وفي ظلّ عجز مجامع اللغة العربية في العالم الطبيعي، يتحرّك ذوو الغيرة، وأصحاب الهمّة، ممّن لديهم نفوس طلعة، وطموحات وثّابة، وأمانٍ لا يصدمها واقع أليم، ولا وضع مهين، ولا عمل مشينٌ، ولا يسلِمها إلى الدعة والخمول والكسل قلّة السالكين في الطريق.

في هذه الظروف يخرج لنا د. عبد العزيز بن علي الحربي، وهو من هو اهتمامًا باللغة، وعنايةً بها، وصيانة لها، وتفكيرًا بشأنها، وهو في هذا قد فاق كثيرًا ممّن يزعمون الاختصاص بها، ولا يعدو اختصاصهم أن يقتاتوا بها، ويقيتوا بها وباسمها من يعولون، ويصنعون بانتمائهم لها أمجادهم، غير أن الفرق بينه وبينهم أنّه يؤدِّي هذه الأعمال باعتبارها رسالة، وهم يؤدّونها وظيفة، والفرق بين الموظَّف وصاحب الرسالة كبير، يدرِكه من خالط الفئتين، فالأوّل يؤدِّي ما يسند إليه، ويطلب منه، والثاني أسلم روحه الوثّابة، و سخّر إبداعاته الفكرية والعلميّة والعمليّة، لما يفيد وينفع، مبادرة منه، وإن لم تقتض طبيعة عمله ووظيفته ذلك، والأوّل يحمل همّ وظيفة ينتهي عند خروجه من مكتبه، والثاني يحمل همّ رسالة لا يفارقه، يحلّ معه حيث حلّ، ويرحل معه إذا ارتحل، ويبيت حيث بات، ويقيل حيث يقيل؛ لا يتخيَّل صاحب رسالة بدون رسالة؛ لأنها اختياره، ومن الممكن وجود موظَّف بدون وظيفة؛ لأن الحياة وأمور المعاش تضطرّه إليها اضطرارًا، وفرق بين المضطرِّ والمختار.

وكلِّي أمل أن يستجيب أهل العلم دعوة د. عبد العزيز، وأن يحيطوا هذا العمل بما يستحقّه من الاهتمام والاستجابة، وأن يجعلوا من منبره، ومنتدياته، وأقسامه ميادين حوار علمي جادٍّ، يعود على العربية بالخير الوفير، والعلم الغزير.

وأخيرًا: همسة في أذن أخي د. عبد العزيز؛ فمن المعلوم المقرّر أنّ جميع الأعمال والمشاريع تبدأ خاطرة، ثمّ فكرة، ثمّ مشروعًا، ثمّ عملا، ثمّ إنجازًا، والوصول لهذه المرحلة يتطلّب الصمود، وتحمّل مشاقّ الطريق، وعدم الالتفات للمعوِّقات، ومواصلة العمل، وتجديد الموقع، وموادِّه باستمرار، وإمداده بالجديد المفيد من المادّة اللغويّة، وهي أشياء لا أظنّها تخفى عليه، ولا تغيب عمّن هو في فطنته، ونباهته.

كما أهمس في أذن كلّ معنيٍّ باللغة العربية، من علمائها، وأساتذتها، وطلابها، ومحبّيها أن يسهموا في هذا العمل، كلٌّ حسب ما يتاح له؛ بغية أن يقدِّم ما يفيد، وأن يسدَّ خللا ما في حياتنا العلمية، وأن يقوم في العالم الخائلي، أو الافتراضي بما لا يُمكَّن من القيام به فيما يحمل الاسم ويتلبّس الوصف في عالمنا الطبيعي.

فإلى الأمام، وإلى مزيدٍ من الإبداع، ولا تلتفت لمن يدعوك لغير هذا، ولا تلتفت للمثبّطين، والمعوِّقين. والله الموفّق والهادي إلى طريقٍ مستقيم.

تم والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه.

وكتبه/ سليمان بن إبراهيم العايد

عضو المَجْمَع

عضو هيئة التدريس بجامعة أمّ القرى

مجمع مكة المكرمة

أ.د. أحمد مطلوب

تعتز الأمم بلغاتها، وتسعى إلى العناية بها، والحفاظ عليها، وتنميتها لتستوعب المستجدات، وكان العرب - منذ قديم العهد - مرتبطين بلغتهم، وازداد ارتباطهم واعتزازهم بها بعد نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وحين بدأ عهد التأليف نهضت لغة الضاد نهضة عظيمة، فألفت بها الكتب في مختلف العلوم، ووضعت المعاجم لتحفظها وتوضح ما غمض من ألفاظها حتى إذا جاء العصر الحديث كان الاهتمام بها ديوانيا - رسميا - فضلا عن اهتمام العلماء والأدباء والمؤلفين.

وعرف العرب في مطلع القرن العشرين ما لدى بعض الدول الأجنبية من مؤسسات (أكاديميات) تعنى باللغة والعلوم، وأسس أول مجمع في دمشق باسم (المجمع العلمي العربي) الذي أصبح بعد ذلك (مجمع اللغة العربية) وحذت مصر حذو سورية فأسست مجمعا باسم (مجمع اللغة العربية الملكي) ثم أصبح (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) ثم (مجمع اللغة العربية)، وتوالى تأسيس المجامع فكان (المجمع العلمي العراقي) - المجمع العلمي - ومجمع اللغة العربية الأردني، ومجامع الجزائر وليبيا والسودان والمغرب وفلسطين.

واليوم تزداد أهمية تأسيس مجامع لغوية لما يشهده الوطن العربي من زحف على لغة القرآن الكريم، وإنه ليملأ القلب فرحا والنفس غبطة أن ينهض ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ ليؤسسوا مجمعا في (مهبط الوحي) يقف مع المجامع العربية طودا شامخا يصد أهواء الحاقدين على لغة القرآن الكريم، ويرعى لغة الضاد، ويحافظ عليها، ويسعى إلى تنميتها لتستوعب مستجدات العصر.

ولا تكاد أهداف المجمع الجديد تخرج عن أهداف المجامع الأخرى، ولا تختلف أعماله عما تقوم به المجامع من وضع المصطلحات العلمية، والألفاظ الحضارية، والدراسات الانسانية والعلمية.

إن قيام الدكتور عبد العزيز بن علي الحربي بتأسيس (مجمع مكة المكرمة) والإشراف عليه خطوة مباركة في تعزيز اللغة العربية، والأمل كبير في أن تتبنى (المملكة العربية السعودية) هذا المجمع وتصدر له قانونا يجعله مشرفا على شؤون العربية المختلفة كالزام وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية باستعمال العربية الفصيحة، واستعمالها في المكاتبات الديوانية - الرسمية - وكتابة اللافتات والاعلانات، وأسماء المحال، والشركات، والعلامات التجارية، ونشر الوعي اللغوي بين المواطنين، وإظهار أهمية اللغة العربية لينشأ الجيل الجديد على حبها، والاعتزاز بها، والحفاظ عليها تمهيدا لتعريب العلوم وتدريسها بالعربية في مراحل الدراسة كافة كما تفعل الدول التي تعتز بلغاتها وتحافظ عليها وتصون كرامتها.

إن تبني الدولة للمجمع وإصدار تشريع له خطوة مباركة تشرق بها لغة الضاد، وتزهو بها أمة العرب.

والمجمع العلمي ببغداد إذ جاءه نبأ تأسيس مجمع لغوي في (مهبط الوحي) يرجو أن يرى ثماره، وأن يكون له صدى في المجتمع وفي المجامع الأخرى، وما ذلك على المخلصين بعزيز.

أ. د أحمد مطلوب

عضو المَجْمَع

رئيس المجمع العلمي ـ بغداد

الحاجة لمجمع لغويّ عربيّ تفاعلي على الشبكة العنكبوتية

أ.د. عبد الرزاق الصّاعدي

الأعمال الكبيرة تبدأ بفكرة أو خاطرة عابرة أو ومضة، وهذا المجمع اللغوي كان وليد فكرة لسعادة الدكتور عبد العزيز الحربي، وعندما هاتفني سعادته وعرض علي فكرته بشأن إنشاء هذا المجمع (مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية) استحسنت الفكرة أيما استحسان وأكبرت فيه طموحه وحبه لهذه اللغة الشريفة.. وقلت له إن الفكرة رائدة وأبشرك أن أسباب النجاح متوفرة مع شيء من الجهد والإصرار على تنفيذها، فذكر لي أنه شرع في تكوين الأعضاء للمجمع واختيارهم من نخبة من المتخصصين في علوم العربية المعروفين بتعمقهم فيها أو ببحوثهم في فقهها ولهجاتها مع الحرص على النوع في الجغرافيا العربية.

تعد اللّغة العربية واحدة من أرقى اللغات السامية، وأدقها تصريفا ونحوا وأكثرها تطورا وقد كانت حين نزل بها القرآن صافية عذبة رقراقة كماء زمزم، وسعت علوم الكتاب المقدس واستوعبت المعارف البشرية ونقلت للإنسانية حضارة بنيت عليها حضاراتِ الغربيين.. ثم أصيبت هذه اللغة الشريفة بداء التلوث اللغوي وهو داء مزمن ألم بها منذ زمن العباسيين وتفاقم الداء في الأعصر المتلاحقة حتى كاد أن يرديَها قتيلة، لكن هذه اللغة لم تستسلم لدائها لما فيها من مناعة وقوة، فلم تزل قادرة على التعافي والنمو والتجدد والعطاء، فهي ليست لغة هامدة، بل هي كائن حي، كسائر اللغات الحية تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وتتطور بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي، ويتغير في ثبات وسكينة؛ ولكن مسيرة هذه اللغة لم تخل من العقبات، وأكبر عقباتها وأخطرها وجدت في هذا العصر المتلاطم بالمستحدثات، والمصطلحات والغزو الخارجي المركز من أعدائها فأحاطها أبناؤها بما يدفع عنها عوادي الزمن ويحفظ لها شبابها الدائم.

وفي هذا العصرِ المليءِ بالتحدياتِ اللغوية يبرزُ دورُ المجامعِ اللغوية والمراكزِ والمؤسساتِ، ويبرزُ كذلك دورُ الأقسامِ اللغويةِ المتخصصةِ في الجامعات، كل حسب طاقته وجهده، ولكن دور المجامع اللغوية هو الدور الريادي لأن أهل العلم يرون أن المجمع يحقق لهم المرجعية اللغوية التي يثقون فيها، وقد تحققت تلك المرجعية في عدد من مجامعنا، وعلى رأسها مجمع اللغة بالقاهرة صاحب القرارات اللغوية المعروفة.

وهذا المجمع اللغوي في الفضاء الإلكتروني الذي ينشأ ويتكون حديثا في أطهر بقعة من الأرض (مكة المكرمة) لهو جدير بالتعضيد والاهتمام والدعم من لدن الجميع فهدفه نبيل وخطير في هذا الوقت الذي تواجه فيه لغتنا الشريفة تحديات عديدة..

فماذا نريد من هذا المجمع؟

نريد مجمعًا لغويًا واعيًا بدوره مشاركا في قضايا اللغة العربية المعاصرة صاحب موقف ونظر في المنطوق والمكتوب من عربيتنا المعاصرة وأساليبنا ولهجاتنا، وأن يكون واعيا بأن اللغة كائن حي متطور ومتجدد، وأن الفصحى الخالدة المخلدة المحفوظة بحفظ الله لها لا تحارب التطور اللغوي بل تدعو إليه وقد فعلته هي على مدى عصورها التاريخية وذلك ما يجعلها تبدو فتية قوية واعية ومستوعبة لكل جديد على الرغم مما تعانيه من تلوث..

وأتمنى من أخي الدكتور عبد العزيز أن يفيد من تجارب مجامع اللغة العربية وأن يتلافى أخطاءها قدر الإمكان.. وأنا أعرف أن هذا المجمع نشأ بجهود ذاتية فردية وأن أمامه الكثير من العمل وأنه في حاجة إلى

الدعم الحكومي والاجتماعي، فيجب علينا نحن المتخصصين في علـوم اللغة وآدابها أن نكون عونا وسندا ورافدا لهذا المجمع بما لدينا من علـم ومشاركة تخدم لغتنا الشريفة التي هي هويتنـا ولسـاننا المفصـح عمـا في ضمائرنا ..

أ.د. عبد الرّزّاق بن فرّاج الصّاعديّ

عضو المَجْمَع

عميد كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سعدت كثيرا حين علمت بفكرة هذا المجمع لاحتياجنا إليه، فهو بعد اطلاعي على أهدافه ومبادئه وتنظيمه ميدان لغوي متكامل، ولقد كان الأخ الفاضل العالم عبد العزيز الحربي موفقا حين طرح الفكرة وقام بتحقيقها فظهرت في حلة قشيبة مزهوة كزهو العربية، وأملي كبير في أن يكون هذا المجمع عالميا في أهدافه اللغوية، وعالميا في قضاياه الفكرية، وعالميا في أبعاده الإنسانية، كالإسلام الذي بزغ فجره من هذا المكان المبارك فأضاء الدنيا نورًا، وأفاد البشرية نفعًا وخيرًا، ولعله يكون مجمعا فيه مجامع وخزانة تحتوي على نفائس يجد فيه الناشئة ما يطلبون ويسطر فيه المحققون ما فيه نفع مما يؤلفون، أدعو الله أن يكلل هذه الجهود بالنجاح، وأن يوفقنا جميعا إلى كلّ ما فيه الخير

والشكر الجزيل لفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز ولكل القائمين على هذا المجمع العتيد المظفر بعون الله وحوله وقوته

مع أطيب تحياتي.

أ. د رياض الخوام

عضو المَجْمَع

أستاذ النحو بجامعة أمّ القرى

الانطلاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ..

هذا مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية ينطلق اليوم (السبت ١/٥/١٤٣٣هـ) من قلب العالم عند ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهو الذي جعله الله ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ ، وكلمة (قياما) تساوي معنى كلمة (الحياة) بل تزيد، بل تزيد، لأن الحياة تصدق على مطلق الحياة ولو كانت في أدنى مراتبها التي لا يكون بعدها غير الفناء، وأما (القيام) فحياة لا قعود فيها ولا كسل، ولا فتور ولا وَنى، والقيام هنا للناس كل الناس، عربهم وعجمهم، وقاصيهم ودانيهم على اختلاف مشاربهم وسعة مساربهم.

وإنا لنعدّ مجمعنا هذا بركة من بركات هذا البلد الأمين والحرم الآمن الذي تجبى إليه ثمرات كل شيء، والعلم ثمرة وكذلك أهله، فهو منه فكرة ونشأة، وعملا وإعدادا، وانطلاقا وإمدادا.

أيها المجمعيون الفضلاء النبلاء:

إن مجمعكم اللغوي لفخور بكم متطلع إلى أن يكون غاية من الغايات التي تستشرف إليها النفوس، وتشرئب إليها الأعناق.. ولئن كان أبو الطيب قد قال حين أحسّ ممن حوله الخذلان:

وحيد من الخلان في كل بلدة   إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

فإني أقول:

حفيّ بي الخلان من كل بلدة   إذا عظم المطلوب جل المساعد

نعم: إن الخطب لجلل، وإن المساعد لأجل.

أيها الأجلة، وذوي التَّجِلَّة:

إننا اليوم - في عصر العولمة - في حاجة ملحة لخدمة لغتنا الخالدة الباقية بقاء الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وإنا لعلى هدى وعلى يقين أن كل من جرّد نفسه الخلاقة لبيان أسرار العربية والدفاع عنها وفضح الكائدين لها هو ممن استعمله الله لخدمة دينه ورسالته وخدمة قومه.. إننا ونحن في فاتحة انطلاق هذا الموقع (الذي هو وسيلة سباقة ونافذة واسعة) لنعلم عظم المسؤولية وجلالة قدرها، وإنا لواثقون بتوفيق الله وتأييده، وعونه وتسديده عالمون بقدْركم وقدرتكم، وهمّكم وهِممكم، وبأن مجمعكم إن كان ينوء بالعصبة أولي القوة، فإنكم أشد قوة وأكثر جمعا، وإن توكلنا عليه وثقتنا به ومجاهدة أنفسنا في العمل له ليزيدنا عملا وأملا، وليس لهمتنا أمد في ذلك ولا منتهى، ما دامت آمالنا منوطة بقول الحق ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.

أيها الناس (من الأعضاء والزائرين):

إن هذا المجمع أنشئ لكم ومن أجلكم وإنه لذكر لكم، فأعينونا بقوةِ مشاركاتكم، وحسن إقبالكم، ونافع أسئلتكم وجميل توقيعاتكم، وجليل تعاونكم، وسترون غدا - بعون الله - مجمعكم حدائق ذات بهجة، تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل، وسترون من خلاله وجه اللغة العربية

الوضّاء، ومحيّاها الوضاح، ولتروُنّ لها في كل حين جمالاً يتجدد، وإشراقا يتمدّد، ووجها لا يتخدد.

ولتعلمُنّ منها ما ينفعكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، ولتقولنّ: يا ويلتنا إنا كنا عن هذا غافلين.

ذلك بأن التفقه في لغة القرآن مقرونا بالقرآن وبلاغة سيد البلغاء، وكلام بواقع الشعراء ومصاقع الخطباء، شيء آخر غير الذي عرفه كثير من الناس، فالمناهج اليوم وطرق تدريسها - إلا قليلا - لا تكسب إلا معرفة ظاهرة، لا تنمّي ملكة، ولا تذكي مهارة، ولا تغرس حكمة، وآية ذلك أن تلاميذنا يدرسون قواعد النحو نحوا من خمسة عشر عاما، من الرابعة الابتدائية إلى حصولهم على شهادة الجامعة ثم لا يعلمون منها إلا ما تبخّر من أذهانهم حين اختبارهم في كل عام مرة أو مرتين، وهم يخرجون منها بأمور ثلاثة أو بعضها:

١. بغض العربية. ٢. رميها بالعقم. ٣. الجهل المطبق.

وأما المنتفعون بما تلقّوه في دراستهم فقليل أو نادر، أو هو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، ولا نبالغ في هذا ولا نتزيّد، ومن الواقع دليل عليه، وشاهد منه فيه.

لهذا كان الحمل على عاتق العارفين كبيرا.

وقد علمنا عظم ذلك، كعلمنا بأن توفيق الله أكبر، وعونه أعظم، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

د. عبدالعزيز بن علي الحربي

رئيس المجمع

القسم الثاني:

القرارات والتنبيهات

رجب ١٤٣٤هـ
مايو ٢٠١٣م

الإصدار الأول

الموضوع الأول

الاسم المنسوب مع العلم المؤنث

(فلانة بنت زيد العربي، أم العربية ؟)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد؛

فقد ألقي إلى المجمع سؤال عن اسم الأنثى المقترن بها اسم أبيها أو أحد آبائها .. هل يذكّر الاسم الذي تنتسب إليه فيقال: فاطمة بنت زيد العربي، وصفًا لأبيها ؟ أم يؤنث فيقال: فاطمة بنت زيد العربية وصفا لها؟

وقد عرض موضوع السؤال على أعضاء المجمع في جلسته الأولى بمكة المكرمة بتاريخ١٥/٧/١٤٣٣هـ، وقرر المجلس إحالة الموضوع إلى سعادة الدكتور: حماد بن محمد الثمالي- عضو المجمع - فكتب فيه بحثا مختصرا .. قال فيه:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

فقد سأل بعض السائلين عن صحة الاستخدام المشهور في مخاطبات الناس بل وفي كتاباتهم وهو قولهم: حضرت فاطمة بنت سعد العربي، أو قالت هند بنت عتبة القرشي بتذكير العربي والقرشي بدلا من العربية والقرشية.

والحقيقة أن النسب نحو: العربي و القرشي في هذا الاستعمال صفة للاسم الواقع قبلها، ومن المعلوم أن الصفة تتبع الموصوف في التذكير والتأنيث وغيرهما ،فمن جعل العربي والقرشي وغيرهما وهما مذكران صفة لمؤنث فقد حاد عن الصواب، فعليه أن يؤنث فيقول العربية والقرشية لتتطابق الصفة مع الموصوف. ألا ترى أ نه لا يجوز لك أن تجرد الفعل من تاء التأنيث الساكنة، مع فاعله المؤنث، فلا تقول: قال فاطمة، فإذا امتنع ذلك كان خلفًا من القول أن تؤنث الشيء وتذكره وهو ليس من أهله وقد نص النحاة على أن الصفة والموصوف يلزمهما ما يلزم الفعل وفاعله من التطابق في التأنيث والتذكير، ففاطمة مؤنث لا غير، فيلزم أن تؤنث صفتها، فتقول: قالت فاطمة العربية لا العربي.

ومع ذلك فإن في المسألة تفصيلا يبيح التذكير لكن على وجه لا يخرجها عن قاعدة المطابقة؛ وذلك أنه قد يقترن الاسم المؤنث بالأب كالمثالين السابقين؛ حضرت فاطمة بنت سعد العربي، أو قالت هند بنت زيد البغدادي، فعند اقتران الاسم المؤنث بالأب يجوز التذكير فتقول: قالت فاطمة بنت سعد العربي .. ...، لأن العربي سيكون صفة لسعد لا لفاطمة والأولى التأنيث، وأما عند عدم الاقتران بالأب فلا يصح أن نقول قالت فاطمة العربي بل يتحتم أن نقول العربية، فعندئذ نعود إلى أصل القاعدة من مراعاة التطابق بين الموصوف وصفته تأنيثا وتذكيرا.

قلت قد يقول قائل: إنه يمكن أن نقول: قالت: فاطمة العربي أو البغدادي لأن التذكير هنا مراعاة لحذف موصوف هو أبو فاطمة ؛ فيصبح اسم النسب صفة للمذكر المحذوف.

قلت هذا مردود؛ لأن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه يشترط فيه أن يكون المحذوف معلوما؛ أي أن في الصفة دلالة عليه، وليس في الصفة دلالة على المحذوف. والله أعلم

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ثم عرض ما كتبه سعادة الدكتور حماد على الأعضاء المجمعيّين المعنيّين بالنظر فيما يصدر المجمع من قرارات، وهم:

أ.د. إسماعيل بن أحمد العمايرة

أ.د. عبدالرحمن بودرع

أ.د. صالح بن سعيد الزهراني

أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان

أ.د. محمد جمال صقر

د. نوال بنت إبراهيم الحلوة

أ.د. نهاد بن ياسين الموسى

أ.د. سعد بن حمدان الغامدي

د. خالد بن قاسم الجريّان

أ.د. عبدالرحمن بن حسن العارف

وقد وافق المجمعيون المذكورون على ما رآه عضو المجمع الدكتور حماد الثمالي، ولبعضهم زيادة تنبيه أو تفصيل، ولهذا نستنسخ جميع ما قاله كلّ واحد منهم للفائدة وزيادة في التوثيق.

قال عضو المجمع الأستاذ الدكتور إسماعيل بن أحمد العمايرة :

النسب إذا وقع بعد الاسم المؤنث في نحو: ليلى بنت زيد العربي، أو: ليلى العربي.

الذي أراه - أيها الأعزاء- أن (العربي) في الجملتين السابقتين ينطبق عليهما أحكام التذكير والتأنيث من حيث تبعية الصفة للموصوف تذكيرا أو تأنيثا، إذا كان المقصود بـ (العربي) صفة لـ (ليلى) وليس علما يطلق على أسرتها. وعليه تكون كلمة (العربي) في حكم كلمة المجتهد أو الوسيم ،فنقول: ليلى بنت زيد المجتهدة ،صفة لـ (ليلى)، و(المجتهد) إذا كانت الصفة لأبيها.

أما إذا كانت كلمة (العربي) اسما للعائلة، وهي علم عليها، فهي لم تعد صفة، ولا أرى أنها تأخذ أحكام الصّفة. فنقول مثلاً: جاءت ليلى الصالحي، إذا كانت من أسرة الصالحي. ونقول: جاءت ليلى الصالحي ومعها زميلتها ليلى الصالحية. وعندئذ تصبح الصالحية غير الصالحي، وهما من أسرتين مختلفتين.

فأحكام الاسمية غير أحكام الصّفة، وإن كان الاسم منقولاً عن الصفة والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور سعد بن حمدان الغامدي :

مع تقديري لاجتهاد الزميل الفاضل د حمّاد الثماليّ؛ فإنّي أرى أنّ الاسم المنسوب بعد الأعلام المؤنثة ينظر فيه إلى الشائع على الألسنة مع

مراعاة أن يخلو الاستعمال من اللبس، وعلى هذا فالناس تقول: فاطمة القرشيّ وعلياء الغامديّ، وكذلك يقولون فاطمة القرشيّة وعلياء الغامدية. وإذ لا لبس فلا بأس، ولا داعي لاستحضار قاعدة المطابقة.

ولكن عندما يكون العَلَمُ المؤنث منقولا من مذكّر أو مشتركا بين المذكّر والمؤنث - ومع انعدام سياق يوضح ويزيل اللبس - فلا بدَّ من التأنيث، فيقال مثلا: بَدْر القرشية، وصباح القرشية، وهكذا.

وأخالف الدكتور الفاضل حمادا عندما تشدّد في تطبيق قاعدة المطابقة في فاطمة القرشية، لأنّ قاعدة المطابقة قد تُخالف لأدنى مناسبة يمتنع معها اللبس، وجاءت هذه المخالفة في أساليب فصيحة وفي القرآن الكريم، وللنحاة تأويلات ولكن يبقى الاستعمال المنتمي إلى الفصحاء هو الحكَم.

ويكاد الناسُ في مثل (فاطمة بنت سعد) لا يقولون سوى (القرشيّ)، وعلى هذا بطاقات الأحوال وسائر المكاتبات الرسمية، ولو قالوا القرشية فلا ضير؛ إذْ لا لبس البتة، ففاطمة من الأسماء الخالصة للمؤنث كما أن استعمال كلمة (بنت) أو (ابنة) وهذه موانع لبس.

وتبقى مشكلة في هذا الاستعمال عندما يكون العلَم من المشترك في الاستعمال بين المذكر والمؤنث وتغيب مزيلات اللبس؛ إذْ قد يقع اللّبْس في مثل (بدر سعد القرشي) للمؤنث، فنحن بحاجة إلى التفريق باستعمال (القرشيّة) في المكتوب والمنطوق إلا في سياق يزيل اللبس من مثل (المواطنة بدر سعد القرشي، أو تقدّمت وجاءت بدر القرشيّ، أو بدر بنت سعد القرشيّ) فكلمات مثل: المواطنة، وتقدّمت وسائر الأفعال

والعوامل الملحق بها علامة تأنيث، وبنت أو ابنة، أو يكون المتحدث عنه الذي اسمه (بدر) في مقام يعرف فيه أنه مؤنث. أقول: في كلّ ذلك ونحوه مما تتوفر فيه مزيلات اللبس فإنه لا ضيرَ من استعمال القرشي ونحوها من الأسماء المنسوبة مذكّرة.

وما ذكره الدكتور حمّاد من أنّ اقتران العلم المؤنث بالأب يسمح باستعمال المنسوب المذكر، ليس على كلّ حال، فالناس في أكثر كلامها لا تستعمل ابنة أو بنت، بل تقول: فاطمة سعد، وهذه واضحة، ولكنهم يقولون أيضا (بدر سعد) فلا موضّح، فلا بدّ من (القرشية) حينئذ.

ومن استعمالات الناس المُلْبسة تسميتهم بدْر، وإلهام، وصباح، وعطيّة، ونحوها للمذكر والمؤنث، وعدم استعمالهم كلمة ابن وابنة وبنت عندما يرد اسم الأب.

ويبقى أنه لو حُذف الاسم العلم وذُكر الاسم المنسوب فما الذي يجوز وما الذي يمتنع؟

أعتقد أنّ الجواب سيكون على النحو الآتي:

القرشيّ ستحضر الامتحان، أل عهدية، وهي قرينة مع الفعل المبدوء بالتاء ستحضر، ولذلك الاستعمال جائز، ولو قلنا: (القرشيّة) بدل القرشيّ لكان أولى، ومثلها: القرشيّ مجتهدة، والقرشيّ حضرت، وجاءت القرشيّ.

الفتاة القرشيّ ذكيّة، صحيحة إذا أريد فتاة بعينها وأل العهد، أما إذا أريد بها أل الجنسية فتأنيث الصفة أليق بإزالة اللبس، وإيصال المراد.

وهكذا إذا أعملنا القاعدة التوجيهية الكبرى: (مراعاة أمن اللبس في الكتابة أو الكلام) ولو جارينا ما هو مستعمل مع صحته وعدم إلتباسه فإنّه سيتحقق الاتساع في الاستعمال، وذاك من مقاصد العرب في كلامها. والله أعلم

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور صالح بن سعيد الزهراني:

الجواب الذي أعدَّه سعادة الدكتور حماد الثمالي جواب شاف كاف، فيه تفصيل مركز ووعي عميق ولا مزيد لدي على ما ذكر.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بودرع:

اطّلعْتُ على ما وَرَدَ في جَواب الأستاذ د. حمّاد بن محمّد الثّمالي من بيان لمسألة صفة النسب أهي للمؤنث المذكور في الأوّل أم هي للمذكّر المُجاوِر.

والحقيقةُ أنّ جَوابَه مُفصّلٌ شافٍ لأنّه نَظَرَ إلى احتمالاتِ المَعْنى، الكامنة في هذا التعبير، وما يُوافقُها من عبارةٍ لفظيّةٍ، مع تَرْجيحِ الأوجه الصَّحيحَةِ، وهي أوجُهٌ تابعةٌ لمرادِ المتكلّمِ وقصدِه من الكَلامِ، وتابعةٌ أيضاً لما صحّ في العربيّةِ من أوجه لفظيّةٍ.

وخُلاصةُ ما جاءَ في جوابِه أنّ مُطابقَةَ الاسمِ المنسوب، أي الذي اقْترَنَت به ياءُ النّسَب، للاسمِ الموصوفِ قبلَه لا يَخْلو أمرُها إمّا أن تكونَ

مُطابقةَ صفةٍ لموصوفٍ مُجاور [فاطمة بنت سعد العربيّ] إذا أُريدَ أنّ العربيّ هو سَعْد، أو مُطابقةَ صفةٍ لموصوفٍ بَعيد فَصَلَ بيْنهُما فاصلٌ [فاطمة بنت سَعْد العربيّة] إذا أُريدَ للعربيّةِ أن تكونَ صفةً لفاطمةَ وليس لسعد.

وقَد جَرى في كَلام العرَب أنّ الصّفةَ المقرونَةَ بياء نَسَب، إنّما تكونُ للموصوفِ الأوّل، وإن فَصَلَ بينه وبيْنَها فواصلُ؛ نحو قولِهم: ولَدَتْ فاطمَةُ بنتُ الخرشبِّ الأنماريّةُ الكَمَلَةَ من بَني عَبْسٍ. وقول رُواةِ الشّعرِ وأصحابِ التّراجِمِ عن قائلِ بيت الشّعرِ:

شُلَّتْ يَمينُكَ إنْ قَتَلْتَ لمُسلمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المتَعَمِّدِ

«البيت لعاتكةَ بنتِ زيدِ بنِ عَمرو بنِ نُفَيلٍ القُرَشيّةِ العَدَويّةِ، ترثي زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، وتدعو على عمرو بن جرموز قاتله» فالأنماريّة صفةٌ لفاطمةَ، والقُرشيّةُ العَدَويّةُ صفةٌ لعاتكةَ.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور / محمد جمال صقر :

مطابقة اللقب

على رغم حاجة الباحث إلى توضيح وضع المسألة نفسها عند إسقاط (ابن، وابنة أو بنت)، من البَيْن في أسلوب المعاصرين، كما في مثل: فاطمة محمد زيد العربي- وعندئذ تذوب الأجزاء في مركب مزجي حديث، ويضيع سمتها القديم أصلا - أوافق على الاقتراح، وأنبه على جرّ (العربي)، في مثل: فاطمة بنت زيدٍ العربيِّ، ليتبع النعت المنعوت.

ولقد صدر قرار عماني رسمي، بتأنيث هذا اللقب للاسم الأول المؤنث، كما في: فاطمة بن محمد بن زيد العربية، وجرى به العمل في كل مكان من سلطنة عمان[١].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الدكتور خالد بن قاسم الجريّان:

ما ذهب إليه الأستاذ حماد الثمالي عضو المجمع من تأنيث الصفة للاسم المؤنث المقرون بالأب كما في ليلى بنت زيد العربي، والقول ليلى بنت زيد العربية عين الصواب وهو الأسلم .. كما أشار في بحثه .. والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقالت عضو المجمع الدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة :

أما موضوع النسب للأستاذ حماد الثمالي فأنا أميل للراي الثاني وهو إباحة تذكير النسب في الاسم المؤنث حملا على اقترانه بالاسم المذكر، ولاسيما أن هذا سيحافظ على الاسم دون تغيير، فلو قلت القرشية مثلا فسأخالف ما هو مثبت في الحفيظة والأوراق الرسمية مما يوقع المتلقي في اللبس. هذا والله أعلم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) اتخاذ قرار نظامي رسمي في هذه المسألة دليل على شأن هذه المسألة وعلاقتها، وداعٍ إلى البحث فيها.

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور / نهاد بن ياسين الموسى :

الوجه فيها عندي - كما هو عندكم و عند الزميل الفاضل - واضح، إذ لا وجه لأن يكون العربي وصفا لفاطمة.

أما فاطمة العربي فالوجه ما رآه إلا أن تجري العبارة على الإضافة فلا تمتنع عند ذلك و ما أكثر ما أصبح العربي و نظائره من الأسماء والأسماء المنسوبة أعلاما على المذكر وخاصة في أعراف التسمية في بعض بلدان المشرق و كثير من بلدان المغرب العربي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وقال عضو المجمع الأستاذ الدكتور إبراهيم بن سليمان الشمسان :

اطلعت على ما كتبه الدكتور حماد بن محمد الثمالي عن النعت بصفة النسب .وهو صحيح ولكن يحتاج إلى شيء من الإجمال بالاقتصار على بيان الحكم في المسألة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وشاركهم في ذلك : د. عبدالعزيز بن علي الحربي، فقال :

إذا قيل: ليلى بنت زيد العربي؛ بالتذكير وصفًا لأبيها فليس في قانون العربية ما يمنع ذلك، وليس فيها ما يمنع من التأنيث وصفا لها هي، كالوصف لأحد المتضايفين، تقول: جاء غلام زيد العالمُ، أو العالمِ، كقوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج]، قرئ في المتواتر برفع (المجيد) وبالخفض. ومما يشبه ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي

لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ [البروج]، قرئ برفع (محفوظ) على أنه نعت لـ (القرآن) وبالخفض على أنه نعت للّوح، وكذلك قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ [سبأ: ٥]، قرأه بعض السبعة برفع أليم، نعتا لـ (عذاب) وقرأه بعضهم بالخفض، نعتا للرجز. وهل الأصل التذكير أو التأنيث ؟ الظاهر أن كلّ واحد منهما أصل، فالتأنيث روعي فيه من سِيقَ له الكلام، والتذكير روعي فيه من سِيق إليه .. والبلاغة ترجح أحدهما في مقام، وترجح الآخر في مقام آخر، فمن كان غرضه الإخبار عن الأنثى وأراد التعريف بها فالأولى في كلامه التأنيث، ومن لمح انضواءها في ثوب أبيها أو أحد آبائها ذكّر.

هذا من حيث الصّنعةُ وقوانين اللغة .. و أمّا النقل فكتب المتقدمين في النسب واللّغة طافحة بالوجهين، وفي بعضها ما يغلب فيه أحد الوجهين، ففي كتاب (نسب معدّ)، لمحمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) عشرات الأمثلة على التذكير، كقوله في (٤٨/١): «مارية بنت أبي الأسود اليشكري»، وفي (١٣٦/١): «عائشة بنت ذي يزن الحميريّ»، وكذلك صنيع أبي عبدالله الزبيري في كتابه (نسب قريش)، كقوله في (٩/١): «أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيميّ»، وفي (١٨٠/١): نائلة بنت الأحوص الكلبيّ»، وفي كتاب (أنساب الأشراف للبلاذري ٢٠٠/١): «بركة بنت يسار الأسديّ»، ثم قال في (٢٠٨/١): «ضباعة بنت عامر القشيرية». وفي كتاب (الاشتقاق) لابن دريد: «سلمى بنت عمر النَّجّارية»، وفي كتاب (الزّاهر) لأبي بكر الأنباري (٢٧٧/٢): «وقال زرارة بن عدس يخاطب ابنه لقيط بن زرارة: كأنك أصبت ابنة قيس بن خالد الشيباني».

والأمر في ذلك واضح، ولا يختلف فيه ذوق ولا قاعدة ولا نقل.

وقد يختلف في اسم الأنثى إذا لم يذكر معها أبوها، نحو: ليلى العربية، هل يجوز التذكير ؟ وهل ورد مثله ؟

أمّا الورود فلم أجد، و أما تخريج ذلك على قوانين العربية فممكن.

والوجه فيه: أنه من باب حذف المنعوت وبقاء نعته، وهو جائز، وورد مثله في القرآن كثيرا، كقوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١١]، أي دروعا سابغات .. غير أن مسألتنا تخالف هذا من وجهين:

أحدهما: أن المنعوت وهو الأب ههنا مبهم، ومن شروط جواز حذف المنعوت وبقاء نعته أن يكون معقولا، كما عقده ابن مالك بقوله:

وما من المنعوتِ والنَّعتِ عُقِلْ   يجوز حذفُه وفي النعت يقلْ

الثاني: اقترن النعت باسم حاضر لفظه، فلأيِّ معنى عُدل عنه إلى نعتِ منعوتٍ غير ظاهر ولا حاضر ؟

والجواب عن الوجه الأول: المنعوت المحذوف هنا معقول، متصوَّر نوعه وإن لم يعرف لفظه، والنّعت فيه يدلّ على منعوته، وأنه رجل تنسب إليه ابنته، وتبادُر الذهن إلى ذلك حين سماعه شاهد على أنه معقول ومعلوم من حيث الجملة.

وفي الجواب عن الثاني يقال: لا نخالف في أنّ الأولى في مثل هذا هو نعت الاسم الظاهر، ولكنه عدل عن ذلك لمعنى من المعاني، منها: الاختصار، ومنها: الإعلام بأنها ذات أب معلوم ينتسب إلى معلوم.

واللجوء إلى تخريج هذه المسألة حتمي؛ لأن هذا الأسلوب مما عمّت به البلوى في زماننا هذا، كلهم أو جلّهم يقول: ليلى العربي، وفاطمة المكي، وعائشة القحطاني، والمنهج الأوفق -ولا أظن إخواني المجمعيين يخالفون فيه- هو البحث في هذا ونحوه عن تخريج لا تضيق به سعة اللّغة العربية وعبقريتها، على نحو ما ذكرته وعلى نحو ما ذكره الزملاء الأفاضل، لا سيما أ.د/ سعد بن حمدان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وبعد دراسة جميع ما كتب في هذه المسألة من قبل الأعضاء المجمعيين المذكورة أسماؤهم اتّخذ بشأنها القرار الآتي:

القرار الأول لمجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية
(غرة شهر صفر من عام١٤٣٤هـ)
الاسمُ المنسوبُ مع العلم المؤنّثِ

يرى المجمع أنّ قولهم:

فاطمة بنت زيد العربي.

أو: فاطمة بنت زيد العربية.

أو: فاطمة العربية.

أو: فاطمة العربي.

أساليب صحيحة جائزة، وأن الاسم المنسوب حين يذكَّر يراد به الأب، سواء ذُكِر اسمه أم لم يُذْكر، وأن الأولى حين لا يُذْكَر هو التأنيث.

وأما إذا كان الاسم مشتركا بين الذكر والأنثى، نحو: إحسان، وشمس، ونور، ولا قرينة - ثَمَّ - لفظية ولا حسيّة ولا ذهنية فالتأنيث واجب، فيقال: إحسان العربية، وشمس المكيّة، ونور المدنية.

ويدعو المجمع إلى عدم اسقاط (ابنة، وبنت، وكذلك ابن) عند ذكر الأسماء المقرونة بالآباء.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

مجمع اللّغة العربية على الشبكة العالمية

تنبيهـــات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآلـه الطيـبين، وصـحابته أجمعـين، ومـن تـبعهم بإحسـان إلى يـوم الـدين، أمّا بعد:

فقد اعتزم المجمع على إصدار سلسـلة مـن التنبيهـات علـى بعـض الأخطاء الشائعة على الألسنة في ميادين الإعلام ومنابر الخطابة؛ تحقيقـا للرسالة التي يسعى المجمع إلى تحقيق الأهداف الموصلة إليها، وسـوف ينشرها المجمع تباعًـا بعـد موافقـة الأعضـاء المعنـيين بعـون الله تعـالى وتوفيقه.

التَّنبيهُ الأوَّل

ينبّه المجمع إلى الغلط الشـائع في النطـق بـالأحرف اللّثويَّـة (الظـاء والذال والثاء) وإخراجها من غير مخرجها، بجعـل الظـاء والـذال زايـا، وجعل الثاء سينا، كقول بعضهم في (كثير) و(ثلاثة) و(المبثوث): كسير، وسلاسة، والمبسـوس. وقـولهم في (عـذب) و(إذا) و(لذيـذ): عـزْب، وإزا، ولزيز. وقولهم في: (ظهر) و(الظالم) و(يتلظّى): زهـر، والـزّالم، ويتلزّى، بزاي مفخَّمة.

وكلّ ذلك مما يبطل المعنى ويخرج اللّفظ عن الكلام العربيّ، ويكون الخطأ أشنع إذا كان في مقام النطـق بالفصـحى، كميـادين المحاضـرات والخطابة والتعليم .. ويزداد قبحا إذا كان ذلك في القرآن الكريم.

وإنّ المجمع ليعلم أنّ مثل هذا الخطإ مما تعمّ به البلوى وأنه زلل يقع لكثير من الفصحاء عن غفلة واعتياد لا عن جهل وعجز؛ ولكن العذر يضيق على القادرين على التّمام، من أهل العلم والمعرفة والبيان.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

التنبيه الثاني

لا تقولوا : مِن ثُمَّ . . وقولوا : مِن ثَمَّ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ينبه المجمع إلى غلط شائع يقع على ألسنة كثير من المثقفين حين يضمُّونَ الثاء في (ثَمَّ) التي بمعنى (هناك) في نحو: ومن ثَمَّ حصل كذا وكذا، أو: ومِن ثَمَّ كان كذا وكذا .. ومن ثَمَّ لم يقع كذا وكذا .. الخ.

وسبب هذا الخطأ هو الخلط بين (ثُمَّ) التي تكون للعطف وبين (ثَمَّ) التي لظرف المكان بمعنى (هناك) كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان]، أي: وإذا رأيت هناك. والكلام لا يستقيم مع ضمّ الثاء في الجمل المتقدّمة ونحوها .. لهذا لزِم التنبيه.

ويأتي تنبيه المجمع على هذه اللفظة وأمثالها غيرة على لغـة الضّـاد، وصونًا لها عن الخطـأ والتشـويه، وتحقيقـا لهـدفها المتمثـل في حراسـة العربية ... والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط،،،

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

القسم الثالث:

البحوث والمقالات

الإصدار الأول

رجب ١٤٣٤هـ
مايو ٢٠١٣م

رجب ١٤٣٤هـ
مايو ٢٠١٣م

الإصدار الأول

أولًا: البحوث

السيرة العلمية:

أ.د. عباس السوسوة

- ماجستير في كلية الآداب في جامعة القـاهرة في علـم الأصوات عام ١٩٨٤م.
- دكتوراه في كلية الآداب في جامعة القاهرة قسم اللغة التاريخي.
- يعمل الآن أستاذاً معاراً في جامعـة الملـك خالـد في أبها.
- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

الترجمة العربية الأولى لمتن التلمود[(١)]

ترجمة: مصطفى عبد المعبود

أستاذ مشارك

قسم اللغات الشرقية - آداب القاهرة

عرض ونقد: أ. د. عباس السوسوة

أستاذ اللّسانيات

جامعة تعز - اليمن

أمور الترجمة في العالم العربي تثير الحسرات، فربما ظهرت ثلاث ترجمات مختلفات في عام واحد لمصنف ما، وربما ظل كتاب ما مهم في فنّه وبابه لا تحن قلوب المترجمين لنقله إلى العربية، وكثيرا ما يظل المختصون يغرفون منه دون أن يذكروه أصلا، ليدلوا على القراء بعلمهم. ولو كان كثير من هذه الكتب الأمهات مترجما إلى العربية، لكان سوق النهب العلمي والسرقة قد خفّ كثيرًا. ولسقط كثير من أقنعة الأستاذية والريادة العلمية وما إلى ذلك. ففي مجال الأسلوبية نجد من (يؤلف) عن الخطاب وعلم النص متخذا سمت أنبياء العهد القديم، ثم لا نلبث أن نكتشف أن الكتاب هما كتابان لجون كوين وهنريش بليث، مع مونتاج يسير. والأمثلة أكثر من أحصيها لك في هذا السياق.

---

(١) متن التلمود (المشنا)، ترجمة مصطفى عبد المعبود، الجيزة: مكتبة النافذة ٢٠٠٧-٢٠٠٩م القسم الأول: الزروع - زراعيم = ٣٤٥ص. القسم الثاني: الأعياد: مُوعيد ٣٦١ص. القسم الثالث: ناشيم - النساء ٣٥٤ص، القسم الرابع: نزيقين- الأضرار ٣٤٤ص، القسم الخامس: قداشيم - المقدسات ٤٢٠ص. القسم السادس: طهاروت - الطهارات ٥٥٧ص. وحدث خطأ في الغلاف الأيسر، في خمسة من الستة، إذ جاء: الزروع – زروع وصوابه: زراعيم.

وأما الترجمة في مجال الساميات فالكتب الأمهات لم تترجم وترجم صغارها، أو ملخصاتها. خذ عندك مثلا تُرجم لتيودور نولدكه "اللغات السامية" وهو مجرد مقالة طويلة، وتُرجم لكارل بروكلمان " فقه اللغات السامية " وهو اختصاره لكتابه الضخم : الأساس في فقه اللغات السامية المقارن المعروف بـGrundriss الذي لم يترجم قط. كذلك لم يترجم كتاب ديلمان عن النحو الحبشي ولا معجم جزينيوس للكتاب المقدس، ولا كتاب فون زودن عن الأكّادية، ولا كتاب ماريا هوفنر عن العربية الجنوبية، إلى آخر المؤلفات الأمهات عن كل لغة على حدة.

وبعض ما ترجم كانت محاولة التعمية على القارئ المهتم - غير المتخصص - واضحة، خذ عندك. نقل المرحوم د. عبد السميع محمد أحمد كتاب قوانين الملوك من الحبشية القديمة، فلم يخطئ ولو مرةً واحدة في نقل جملة واحدة أو عبارة بحروف عربية، أو بالرموز اللاتينية المعدلة التي تواضع عليها المختصون، بحيث تسهل المتابعة. ومثل ذلك أغلب الأبحاث والمقالات التي تدرس ظاهرة أو جزئية في هذه اللغات ،حتى إذا وصل المؤلفون (!) إلى الأكادية فزعوا إلى الرموز اللاتينية المعدلة مكرهين لا أبطالاً، لكثرة المقاطع المسمارية في كتابتها.

فإن كانوا يريدون الخروج من (جيتو) التخصص الضيق فليعرّفوا أصحاب التخصصات المقاربة بنتائج دراساتهم ليستفيدوا منها، فالعلم رحم مشتركة بين جميع أهله.

وتقرأ في ترجمات بعض رواد الساميات العرب أن (فلانا) يعرف أكثر من ثلاثين لغة (!) وبعضهم يعرف أكثر من عشر، لكنك عندما تأتي إلى الطِحن بعد هذه الجعجعة لا ترى بالعربية شيئا ذا بال. وأكثر من ذلك أنك تجد

مبالغات تجعلهم كأقطاب الصوفية أصحاب الخطوة، ورِد الواحد من النوافل في الليلة ألف ركعةٍ حدًّا أدنى(٢).

ليس ما قدمناه استطرادًا، بل له علاقة بالعمل الذي نتناوله. ذلك أن د. مصطفى عبد المعبود استشعر المسئولية العلمية التي ينبغي لدكتور الجامعة أن يتحلى بها، فقام بترجمة المشنا (نص التلمود) إلى اللغة العربية لأول مرة منذ تأليفه. ولطالما قرأنا كتبا ومقالات تتحدث عن المِشنا والجِمارا (متن التلمود وشروحه) فيها من الأوهام والتخاريف والغموض الشيء الكثير. وأصحاب هذه الكتابات يتحدثون عنه حديث الواثق مما يقول. في حين أنهم لم يطلعوا عليه أصلا لا بالعبرية ولا بأي لغة أخرى.

ود. مصطفى بعمله هذا قد جعل القارئ العربي على اطلاع مباشر على هذا النص الديني المنظم حقيقة للحياة اليهودية والمفسر للتوراة وبقية العهد القديم عند الموسويين، كما يقول مقدم الكتاب د. محمد خليفة حسن. وهذا يفتح المجال للدرس المقارن مع الشرائع والقوانين الأخرى. وهو جهد يستحق عليه الثناء والتشجيع، في زمن عزّ فيه وجود المترجم المتخصص الذي يسد ثغرة في الحياة الثقافية ،كما عزّ فيه وجود الناشر الجرئ والقارئ الفاحص. ويكفي أن تعلم أن عدد صفحات هذا العمل وصل إلى ألفين وثلاثمئة وإحدى وثمانين صفحة (٢٣٨١ص). وقد سبق للمترجم عمل ممهد لترجمته، إذ

(٢) جاء في موقع ويكبيديا العربي عن احد تلاميذ الرواد، بعد ذكر كتبه وتحقيقاته كتبا تراثيه، وذكر مترجماته أنه نشر ١٣٠بحثا علميا وأشرف على أكثر ألف رسالة ماجستير ودكتوراه في مصر والعالم العربي وأوربا وناقش ما يزيد على ثلاثة آلاف رسالة علمية في جامعات مصر والعالم العربي وأوربا !!! أقول لو جمعنا كل الرسائل اللغوية في كل الجامعات العربية –لغيره- ما وصلت إلى هذا الرقم في الحقبة ١٩٧١-٢٠٠١ ،ولو أنه صدر ثلاثة آلاف تذكرة طيران في هذه المدة لكان كثيراً عليه.

ترجم كتاب الحاخام عادين شتينزلتس «معجم المصطلحات التلمودية»، وكثيرا ما يشير إليه في تعليقاته(٣).

في بداية كل قسم من الأقسام الستة للمشنا نجد أمرين يتكرران :

الأول: تقديم د. محمد خليفة حسن لهذا العمل في صفحتين ونصف. والثاني: عرض المترجم للمشنا لغة بأنها من الفعل شانا = ثنى، وكرر/ودرس، ثم اصطلاحًا، ومنزلتها عند اليهود، وكيف نشأت بعد فترة السبي البابلي في القرن ٥ق.م (عصر الكتبة = هسوفريم)، ثم تلاها عصر الكتبة الذين كانوا اثنين اثنين (عصر الأزواج = هتنائيم) وهو عصر الجمع الفعلي لها. واشهر هؤلاء هليل ثم رابي عقيبا في بداية القرن الثاني الميلادي، ثم رابي مئير في القرن الثاني، ثم يهودا هنّاسي (١٣٢-٢١٧م) الذي حرر المشنا في شكلها النهائي الذي أجمع عليه معظم اليهود، بعد ذلك يتحدث عن لغة المشنا التي علت على لغة العامة ونزلت عن اللغة القديمة وتأثرها باللغة الآرامية. وذكر أن أسلوب لغة المشنا يتميز باستخدام التلطف في التعبير عن ألفاظ الموت والدمار والعورات، ويتميز بطغيان التراكيب الشرطية والتكرار والاستفهام والاستطراد والإجمال بعد التفصيل. بعد ذلك يعرض المترجم محتويات الأقسام الستة، ثم يفرد القسم المعين بعرض خاص. كل هذا في حدود عشرين صفحة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

يحسب للمترجم الكثير من الحسنات منها:

١- عمله أول ترجمة عربية للمشنا منذ كتبت.

---

(٣) نشره مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة.

٢- قلما خلت صفحة من كل الأقسام، من هوامش شارحة وموضحة حتى لنكاد نحسب المترجم حاخامًا من كتبة الجمارا، فهو يذكر - مثلا - أن هذه الفقرة منطلقها سفر اللاويين أو العدد أو الخروج أو سفرروث في الإصحاح كذا، ويشرح ما غمض من ألفاظ وعبارات، واعتراضات، ويذكر الأحكام المشابهة في مواضع سلفت أو ستأتي. بل لعله بالغ في هذا.

٣- لغته- في عمومها - واضحة ،يغلب عليها الصحة النحوية والتعبيرية، واستعماله لعلامات الترقيم صحيح.

٤- تواضعه وطلبه نقد القراء «ويطيب للمترجم في هذا المقام أن يتقدم بخالص شكره وتقديره لكل من يهدي إليه عيوبه، التي قد يكون وقع فيها في ترجمة هذا القسم - وسائر أقسام المشنا - سواء جهلاً أو سهوًا. ويهيب المترجم بالقراء الكرام أن يوافوه بتصويباتهم وتعليقاتهم واقتراحاتهم، حتى يتسنى الإفادة منها لتلافي هذه الأخطاء في الطبعات القادمة» (ص٢٦) من التقديم للعمل. ونحن نقول له: لبيك .. لبيك !

ويحسب عليه إجمالاً ما يلي :

١- لم يذكر في المقدمة أي طبعات المشنا هي المنقولة ولا بياناتها.

٢- لم يذكر موقفه من الألفاظ والجمل التي جاءت بين قوسين ( ) وهي كثرة كاثرة. أهي من عنده؟ أم موجودة في النص المشنوي؟ فإن كانت من عنده فذلك لا يجوز له، لأنه سيصير كرابي جمليئل وهنّاسي وغيرهم. قلنا ذلك لأن بعض الفقرات ثلثاها أقواس.

٣- في لغته الشارحة والمفسرة في المقدمات والهوامش حشو لا يزيد في الدلالة شيئًا، وحذفه في رأينا - أفضل.

٤- له في الهوامش ترجيحات لآراء على آراء لم يذكر لها مصدرًا[١/ ٨٠].

٥- بعض الهوامش يطول ليتجاوز صفحتين، وربما جاء في المتون القادمة مثله. فما لزومه؟ وبعضه مكرر وهذا مسوغ إذا طال عهد القارئ بها في قسم سابق، أما في قسم واحدٍ فلا.

٦- تناثرت في المتن أسماء رابي اليعيزر بن يعقوب، رابي يهوشوع، شمعون بن جمليئل، العازر برصادوق، ابن ننوس .... وغيرهم كثير. وهؤلاء لم يعرفنا بهم باستثناء العازر بن ديناي الذي ترجم له في (حـ٣/ ٢٧٤) دون ذكر مصادر. فإن كانوا في زمن واحد وذوي اتجاه واحد ذكرهم في البداية دفعة واحدة.

٧- سها المترجم أن عصر المشنا ليس القرن العشرين أو الحادي والعشرين، فأتى بألفاظ لا يصح أن تكون من عصر المشنا. كما أتى بقراءات (اشكنازية) لألفاظ مشنوية شرقية.

٨- في بعض المواطن تعابير وجمل لم يوفق فيها، فجاءت متعاظلة، وفيها خلل وأخطاء صرفية ونحوية.

٩- في بَعض تعريفاته للنباتات والأدوات وما إليها نظر.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

وسنقسم عرضنا لهذا العمل العلمي العظيم كما يلي :

أولا : هنات اللغة عند مقدم العمل، وعند المترجم في تقديمه (زراعيم).

ثانيا : عرض محتويات المشنا في أقسامها الستة بلغتنا.

ثالثا : أخطاء الرسم والضبط والتصريف.

رابعا : أخطاء في الاعراب والظواهر النحوية.

خامسًا : هنات التعبير والتفسير والسهو.

سادسًا : في العبريات والاشكنازيات.

سابعًا : في هوامش تزيد عن الحاجة.

وننبه على أن الرقم الأول قبل / لرقم قسم المشنا، فـ١/ لزراعيم و٢/ لموعيد ... الخ ثم الرقم الثاني بعد الخط المائل للصفحة واذا تلاها خطيط مستقيم – فما بعده فلرقم السطر في الصفحة، و(ف) للفقرة، و(هـ) للهامش. فمثلا ٣/٦٦هـ٢ : القسم الثالث الذي هو ناشيم صفحة ٦٦ هامش ٢. أما الخطوط المائلة في عرضنا محتويات المشنا فتعنى أنها قراءة / قراءات مقترحة منا.

أولا : هنات اللغة عند مقدم العمل، وعند المترجم في تقديمه (زراعيم).

– قال د. محمد خليفة حسن: «أما النصوص الدينية الأخرى في اليهودية فلا تزال حتى الآن لا توجد لها ترجمة عربية فأصبح». صوابه : فليس لها ترجمة عربية حتى الآن، أو : فلا توجد لها ترجمة عربية حتى الآن.

– «ولذلك أتت الترجمة واضحة ومباشرة وقوية في لغتها مما يتناسب مع أهمية المشنا كنص ديني. وعمله هذا يتناسب مع أهمية المشنا كنص ديني. وعمله هذا ... ».

نقترح : جاءت ترجمته واضحة ومباشرة، وهو أمر يتناسب مع أهمية المشنا نصًّا دينيًا.

– وجاء عند ابن عبد المعبود ما يلي:

٨-١٠ والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال x صوابه : تنوقلت.

٩-٢ , ٣٠ وإنما تم استنباطها قياسيًا عن طريق الحاخامات x صوابه : بل استنبطها الحاخامات قياسًا.

٩-٧ تحتل المشنا مكانة بالغة الأثر في التراث اليهودي وعلى كافة الاتجاهات x صوابه بحذف الواو.

٩-١٦و١٧ وكان من نتاج محاولات تقديس المشنا من قبل رجال الدين اليهودي أن اقتنع بعض اليهود بها وقدسوها بالفعل. ١.هـ. قلت : جملة معقدة

فيها معاظلة. ونقترح : وكان من نتاج تقديس رجال الدين اليهودي للمشنا أن اقتنع بها بعض اليهود وقدسوها.

١٠-٢و٣ الرأي القائل بتقديس المشنا لم تقبله جميع الفرق اليهودية، بل رفضه بعض هذه الفرق الدينية.١.هـ. ونقترح : .. .. .. لم تقبله جميع الفرق اليهودية بل رفضه بعضها.

١٦-١٨و١٩ لذلك فان اليهود لا يعتدون كثيراً بالتلمود الفلسطيني، بينما يعد التلمود البابلي هو الأكثر شيوعا وتداولاً عند اليهود.١ه.

نقترح : لذلك لا يعتد اليهود بالتلمود الفلسطيني كثيرًا، إذا التلمود البابلي اكثر تداولاً.

١٩-٣ فإن أخلافهم الذين وضعوا شروحًا .. x صوابه خلفاءَهم.

٢٠ف٤ «فلغة المشنا في حقيقتها تعد تطورا للغة العبرية القديمة ومنشأ للعبرية الحديثة. وتتمثل مجالات التطور اللغوي في المشنا في كافة مستويات البحث اللغوي .. ..١.هـ.

قلت : كنا ننتظر ولو صفحة واحدة يذكر فيها اتجاهات هذا التطور وبعض نماذج.

٢٣ف٢ براخوت-البركات : وهو عبارة عن الصلوات والأدعية اليهودية المختلفة وسائر البركات الخاصة بكل عمل يقوم به اليهودي والأوقات الخاصة بها. وقد تناول هذا المبحث أحكام الصلوات والأدعية وما يتعلق بها في تسعة فصول.١.هـ.

قلت : حذف ما تحته خط أفضل، لأنه حشو.

٢٣ السطر الأخير: وقد تناول هذا المبحث في ثمانية فصول.١.هـ. نقترح يقع في٨ فصول.

وهكذا يعمل في نهاية كلامه عن كل مبحث.

أفردنا مقدمتي المقدم والمترجم لتكررهما في بداية كل مجلد.

ثانيا : عرض محتويات المشنا في أقسامها الستة

تقع المشنا في ستة أقسام هي : زراعيم = الزروع، موعيد = الاعياد، ناشيم = النساء، نِزيقين = الاضرار، قداشيم = المقدسات، طهاروت = الطهارات.

أولا : زراعيم = الزروع (١١مبحثا)

١- براخوت = البركات (٩ فصول) الصلوات والأدعية المختلفة وسائر البركات الخاصة بكل عمل يقوم به اليهودي وأوقاتها.

٢- بيئاه = ركن الحقل (٨ فصول) : الشرائع الخاصة بتحديد الحدود بين الحقول، وأحكام الحصاد وجني الثمار، وترك ما تبقى منها في أركان الحقل ليلتقطه الفقراء، اعتماداً على ما جاء في سفر اللاويين وسفر التثنية.

٣- دماي = المشكوك في إخراج عُشره (٧ فصول) : يتناول أحكام المحاصيل الزراعية وحقيقة إخراج أصحابها عشرها، وأنواع المحاصيل المعفاة من أحكام (الدماي)، والمحاصيل الواجب إخراج عشرها، وأحكام بيعها وشرائها.

٤- كَلأَيِم = الخلط (٩ فصول): يستند في أحكامه على ما في اللاويين والتثنية. يتضمن أحكام النهى عن خلط النبات والحيوان عند الإنتاج أو البيع، أو زراعة صنفين في حقل واحد، أو الجمع بين جنسين من المواد في ثوب واحد.

٥- شڤيعيت = السنة السابعة / السبتية (١٠ فصول) : يستند إلى ما جاء في أسفار الخروج واللاويين والتثنية ويتناول أحكام إراحة الأرض والإبراء من الديون في السنة السبتية، وتحريم جني ثمار الأشجار فيها.

٦- تروموت = التقدمات (١١فصلاً) : يتناول أحكام التبرعات والنذور من المحاصيل التي تقدم للكهنة ونوعها، وشروط صلاحيتها، استنادا الى ما جاء في سفري العدد والتثنية.

٧- مَعسُروت = العُشر(٥ فصول) : يقصد به العشر الأول، إذ أعطت الشريعة اليهودية عشر محصول الحقل للكهنة، وجاء هذا المبحث ليؤكدها ويفصلها اعتمادا على سفري اللاويين والعدد.

٨- معسرِ شيني = العُشر الثاني (٥ فصول) : يحدد وجود عشر ثان للمحصول بعد إخراج العشر الأول للكهنة، يكون حق الانتفاع به لصاحب المحصول وعائلته، للحج إلى بيت المقدس.

٩- حلاّه = قرص العجين (٤ فصول) : يحدد القدر الواجب إعطاؤه للكاهن من عجين غلال الحقل، استنادا إلى سفر العدد.

١٠- عُرله = الغُرلة (٣ فصول) : يبحث تحريم أكل الثمار من الأشجار في سنواتها الثلاث الأولى، وإخراج ثمار السنة الرابعة زكاة للرب

على أن تكون هذه الثمار حلالاً في السنة الخامسة لصاحب الشجرة، وأساسه ما ورد في سفر اللاويين.

١١- بكوريم = بواكير الثمار (٣ فصول): يعتمد على ما جاء في سفري الخروج والتثنية من أحكام متعلقة بتقديم الثمار الأولي من المحاصيل للهيكل، متضمنة الشعائر التي تلزم.

ثانيا : موعيد = الأعياد (١٢مبحثا)

١- شَبّوُت = السبت (٢٤فصلاً) له قدسية خاصة، لذا خصص له هذا المبحث، يتناول كيفية الاحتفال به والاستعداد له من غروب شمس الجمعة إلى غروب شمس السبت. وتحرم الشريعة اليهودية أى نوع من العمل حتى إيقاد النار، لذا يسهب في المحظورات نهار السبت ويعد هذا المبحث تفصيلا لما ورد في سفر التكوين عن تقديس هذا اليوم الذي استراح فيه الرب بعد خلق العالم في ستة أيام.

٢- عيروفين / عيروبين = تداخل الحدود (١٠ فصول) : ولا سند له من فقرات العهد القديم، بل هو من اجتهاد الحاخامات. ويعد امتداد لمبحث السبت، إذ يبحث في الأحكام الخاصة بما يُسمح لليهودي به، كتعيين الحدود والمسافات التي يمكنه أن يتحرك فيها، ويحرم نقل الأشياء من مكان خاص إلى مكان عام في السبت.

٣- فساحيم / پساحيم = عيد الفصح (١٠ فصول) : يتناول الطقوس والشعائر التي تمارس احتفالا بالفصح، وأوامره ونواهيه، ومواصفات القرابين وتحريم استعمال الخمائر في فطائر الفصح.

٤- شقاليم = الشواقل = النقود (٨ فصول) : اعتمد على ما ورد في سفر الخروج، ويتناول أحكام المال المدفوع للمعبد وللتكفير، وأحكام

تبادل النقود ومواعيدها، والرهون وأنواعها وممن تؤخذ، ويفصل في الأشياء التي تنفق فيها النقود، وأسماء كبار العاملين الرسميين في الهيكل.

٥- يوما = اليوم (٨ فصول) : مرجع أحكامه إلى سفري اللاويين والعدد. ويتناول شعائر وطقوس الاحتفال بيوم الغفران، ويصف الاحتفالات التي كان يرأسها الكاهن الأعلى، ويناقش أحكام صيام هذا اليوم.

٦- سوكا / سُكاه = المظلة (٥ فصول) : مرجعه ما ورد في سفر اللاويين. ويتحدث عن أحكام عيد المظال، وكيفية إقامة المظلة أو الخيمة والسكن تحتها سبعة أيام. وكذا شعائر هذا العيد وطقوسه وصلواته وأدعيته.

٧- بِيصاه = البيضة (٥ فصول) : يختص بأحكام المباح والمحظور في الاحتفالات الدينية، ويحدد أنواع الأطعمة التي تعد فيها. وهو فيها مستند إلى ما ورد عنها في سفري الخروج واللاويين.

٨- روش هاشاناه / هَشَنَا = رأس السنة (٤ فصول) : يتناول كيفية تحديد رأس السنة، لأهميته في تحديد باقي المواسم ومواعيد إخراج عشور الكهنة والهيكل. ويتضمن كذلك طرق الاحتفال بهذا العيد وصلواته وأدعيته وطقوس الاستعداد له، والأوقات التي يجب أن تؤدى فيها. وأساسه ما ورد في سفري اللاويين والعدد.

٩- تَعنيت = الصيام (٤ فصول) : يبحث أحكام الصوم : كيفيته وأنواعه وشروطه ومواعيده ومبطلاته فرديا واجتماعيا، وصلواته وأدعيته.

١٠- مجِلاّه = المجلّة = اللفافة (٤ فصول) : محور هذا المبحث سِفر إستير، لأنه يتناول أحكام قراءة قصة إستير في عيد البوريم، وكيفية

الاحتفال به، وبعض الأحكام العامة المتعلقة بقراءة نصوص معينة من التوراة أثناء العبادات العامة.

١١- موعيد قاطان / قَطان=العيد الصغير (٣ فصول) : يوضح أحكام الأيام الواقعة بين اليومين : الأول والأخير من عيدي الفصح والمظال، والاحتفالات والطقوس الواجب إقامتها في تلك الفترة. ويناقش الإرشادات المتعلقة ببعض العادات التي يجب أن يؤديها اليهود صباحًا، ويشرح الفرائض المتعلقة بأحوال الحزن والِحداد.

١٢- حجيجاه / حجيجا = الحج / زيارة الهيكل (٣ فصول) : يتناول أحكام القرابين التي تقدم في الأعياد، وفريضة زيارة الهيكل في السنة ثلاث مرات، وما ينبغي أن يقدم من قرابين في تلك المناسبات، ويشير إلى أحكام طقوس التطهر السابقة لزيارة الهيكل. واعتماد هذا المبحث على ما ورد في سفري الخروج والتثنية.

ثالثًا : ناشيم = النساء (٧مباحث)

١- يباموت/يفاموت/ يڤاموت= الأرامل (١٦فصلا) : مفرد الكلمة يباماه، وهي أرملة أخ لم ينجب، فيجب على أخيه الحي أن يتزوجها وينسب المولود الأول لأخيه المتوفى. والمبحث يستعرض الأحكام الواجب اتباعها إزاء تلك القضية من جميع جوانبها، وافق الأخ الحي على الزواج منها أو رفض. وأساسه ما ورد في سفر التثنية.

٢- كتوبوت/كتوڤون/كتوفوت = كتابات عقود الزواج (١٣فصلا) : يختص بجميع الخطوات التشريعية لإتمام إجراءات الزواج وتوثيقه، والحقوق والواجبات المتعلقة به، وما يجب فعله في حالة رفض الأب للزواج، اعتمادا على ما ورد في سفر الخروج.

٣- نداريم = النذور(١١فصلا) :يتناول أحكام النذور بمختلف أشكالها، ويحدد أنواعها وكيفية أدائها أو إلغائها، وما يترتب على ذلك، كما يتحدث عن طريقه تقديم نذور النساء وأنواعها، وكيف ينفذها الحاخام، وكيف يبطلها الأب أو الزوج. كل ذلك استنادًا إلى ماورد في سفر العدد.

٤- نازير = الناذِر/الناسك (٩ فصول) : يشبه المبحث السابق، ويتناول الأحكام الخاصة بمن ينذر نذرًا معينا، وما يحرم على المرء من الأعمال إلى أن يفي به. وكذا الطقوس التي تمارس يوم الوفاء بالنذر، اعتمادا على ما ورد في سفر العدد.

٥- سوطا/سُوطاه= الخائنة/المشتبه في خيانتها (٩ فصول) : فيه أحكام التي يشتبه زوجها في خيانتها ويتهمها بالزنا، والعقوبات التي توقع عليها إذا صدق اتهامه، وكافة الإجراءات المتخذة حيال هذا الموضوع. كذلك عرض الأحكام الخاصة بالخروج للحرب !! وأساس المبحث عائد إلى ما ورد في سفر العدد.

٦- جِطين = وثائق الطلاق (٥ فصول) : فيه تتم مناقشة الطلاق وشروطه وكيفية توثيقه ومواعيده وأنواعه، كما يشتمل على الحكم الخاص بحق الرجل في الطلاق دون مراعاة لرأي المرأة. واعتماد المبحث في ذلك على ما ورد في سفر التثنية.

٧- قيد وشين/قدوشين = الخِطبة/عقد القران/عقد الزواج (٤ فصول) : يتناول طقوس الخطبة التي تسبق الزواج وتكريس الفتاة وحجزها للزواج من شخص معين، وما يترتب على الخطبة من حقوق وواجبات، ويتعرض لطرق فسخ الخطبة وشروطها. و يشتمل المبحث على كيفية اقتناء العبيد والأراضي والعقار والحيوان

اقتناء شرعيا يوثق بعقد شرعي، إضافة إلى اشتماله على بعض المسائل الأخلاقية.

رابعًا : نزيقين = الأضرار (١٠ مباحث)

١- باباقاما = الباب الاول (١٠ فصول) : يناقش أحكام الأضرار التي يسببها المرء لغيره بطريق غير مباشر، أى عن طريق ما يقع تحت سلطته المتمثلة في الثور والبئر والبهيمة والنار. أما الثور فقد يكون مشهورا بأنه نطّاح أو أنه ثور عادي، وما يتعلق بذلك من عقوبات قد تصل إلى رجم الثور وقتل صاحبه كذلك. وأما البئر فترد العقوبات الخاصة بمن يحفر بئرًا دون أن يعلم الناس بها أو يغطيها، والأحوال المترتبة على وقوع أناس أو بهائم، وما يتعلق بذلك من عقوبات أغلبها تعويض مادي ،والأمر نفسه ينطبق على أحكام البهائم التي تضر حقل الغير. إما بأكلها منه أو بسيرها على المحصول فتتلفه. وهناك أحكام إشعال النار التي تتسبب في إحراق محاصيل الغير أو ما يتعلق بأملاكه، وحدود إشعال النار داخل الملكية الخاصة والعامة وعقوباتها.

ويشرح أيضا الأحكام الخاصة بالأضرار التي يسببها الإنسان لغيره عن طريق السرقة والسلب والتخريب، وأحكام التعويضات المختلفة في كل حالة، ومتى يحكم بمضاعفة التعويض بعد رد راس المال، ويبدأ التعويض بدفع الخمس من رأس المال وتتدرج حتى تصل إلى خمسة أضعاف.

٢- بابا مصيعا = الباب الأوسط (١٠ فصول) : في الفصلين الأولين أحكام اللقى وأنواعها وأحكام فقدان المرء لممتلكاته، وفي الثالث

أحكام الوديعة، وحالات الزام المؤتمن برد الودائع أو إعفاؤه في حالة تلفها أو سلبها منه، وحكم اليمين والشهود والتعويضات. وفي الرابع أحكام شراء المنقولات والغش في البيع والشراء. وفي الخامس أحكام الربا والمرابحة والفرق بينهما، وتحريم الربا بين اليهود وإباحة ذلك مع غيرهم. وفي السادس والسابع أحكام حقوق العمال في أجورهم وحمايتهم من تحايل أصحاب العمل والأحكام المتعلقة بأنواع الحراس ومسئولية كل منهم عن حراسته وحالات إعفائه. وفي الثامن والتاسع أحكام إيجار الحقول والعقارات ومسئولية المالك والمستأجر، وأحكام الرهن. وفي الفصل الأخير أحكام الاشتراك في ملكية البيوت والحقول والحدائق، وحق الشريكين في إنهاء الشراكة، وعقوبات الإخلال بالاتفاق وما يتعلق بذلك من تعويضات.

٣- بابابَترا = الباب الأخير (١٠ فصول) : يختص الفصل الأول بأحكام المشاركة في الممتلكات كالسور والفناء والحديقة، ومسئوليات الجارين أو الشريكين، ويركز الثاني بأمثلة للقاعدة التي تحرم المنفعة التي يجلبها الشخص لنفسه على حساب إلحاق الضرر بالغير. وفي الثالث ترد أحكام وضع اليد وطرق إثبات الملكية والمدة التي يثبت بها الحق. وتتضمن الفصول ٤-٧أحكام بيع المنازل والأفنية ومعاصر الخمر والزيتون والسفن والحقول والمحاصيل والبهائم، ويعرض لأحكام المقاييس والموازيين والمكاييل، وأحكام انتفاع البائع ببعض الأشياء الخاصة التي باعها بالفعل شريطة موافقة المشتري على ذلك، كانتفاع بائع بيته بسطحه أو بسردابه أو البئر، وما يتعلق بذلك من أحوال مختلفة. ويختص الفصلان الثامن والتاسع بقضايا الميراث

وأنواعه ومستحقي الميراث وترتيبهم وأنصبتهم. وختم هذا المبحث بأحكام السندات والوثائق وشروط تحريرها، التي أهمها وجود الأطراف المشاركة في موضوع معين، والتغاضي عن هذا الشرط في حالة الطلاق، إذ لا يشترط وجود الزوجة، وفي حالة إبراء الزوج لا يشترط وجوده عندما تحرر الزوجة هذه الوثيقة.

٤- سَنهدرين - المحكمة العليا (١١فصلاً): يختص المبحث بأمور تشكيل المحاكم وأنواعها وما يتعلق بكل منها من أحكام وقضايا، ومن ثم تتنوع أحكام العقوبات تبعا لتنوع الجرائم وشدتها، وتدرج هذه المحاكم، والأحكام الخاصة بالملك والكاهن الكبير، كما تعالج أحكام التقاضي ومن يصلح للحكم وللشهادة ومن يبطل عنهم هذا الحق، ثم يورد وسائل فحص شهادة الشهود، وبعد ذلك ترد أحكام تنفيذ الإعدام بالرجم، والحرق، والقتل ثم الخنق. بعد ذلك ترد الآثام الثمانية عشر التي تستوجب عقوبة الرجم وأخطرها التجديف على الرب وعبادة الأوثان. ثم تسرد أحكام عقوبة الموت عن طريق الحرق والقتل، ثم تستطرد في الحديث عن الآخرة والحساب. ويختتم المبحث في فصله الأخير بأحكام الإعدام خنقًا.

٥- مكَوت = الجلدات/الضربات (٣ فصول) : يختص بأحكام الجلد والضرب عقوبة على بعض الجرائم ؛ ومنها حكم ٤٠جلدة لشاهد الزور، وأحكام التحقق من صدق الشهادة أو تزويرها، ومنها حكم مدن الملجأ المحددة بست، وحكم القاتل عن غير عمد ومتى يرجع إلى مدينته. ويختتم بإحصاء للحالات التي تقتضي الجلد بإسهاب، وكيفية الجلد وأوصاف السوط وحساب الأربعين جلدة. وينتهي بقول

رابي حنانيا بن عقشيا إن الحكمة من كثرة الشرائع والوصايا التوراتية هي محبة الرب لبنى إسرائيل لأنه يريد أن ينقيهم من الآثام والخطايا.

٦- شفوعوت/شڤوعوت = الأيمان (٨ فصول): يبدأ بأحكام الكفارات الخاصة بنجاسة الهيكل ومقدساته، ثم الإفراط في يمين اللغو، أو اليمين الكاذبة تعمدًا أو خطأ، فعقوبة الخطأ تقديم القربان، وعقوبة العمد الجلد، كما يتناول حالة الشهادة في النزاعات المالية، وأحكام تضارب أقوال الشهود، ثم يتناول الحلف على الوديعة عن طريق المودع أو المؤتمن وتقدير المحكمة لصدق احدهما وكذب الآخر، وكذا حكم الاعتراف على النفس بين تنفيذ العقوبة والإعفاء، بعدها تأتي أحكام الحلف عن طريق المحكمة، والأشياء التي لا يجوز الحلف عليها، وأحوال الحلف مع الأصم والأبكم والأبله والصغير، ويختتم المبحث بتحليف الحراس على براءتهم من فقدان ما يحرسونه.

٧- عيديوت = الشهادات (٨ فصول) : تشعبت الموضوعات في هذا المبحث، ويقصد بالشهادات هنا تدوين حفظ الشرائع والوصايا من الضياع لذلك رتب مبحث عيديوت تبعًا لأسماء الحاخامين حافظي الشريعة. ومعظم الشهادات قد ورد في سائر مباحث المشنا تبعا لموضوعها العام.

٨- عفوداه زاراه/عبوداه زاراه/عڤوداه زاراه= العبادة الوثنية (٥ فصول) : يختص بالوثنيين وشعائرهم وطقوسهم وأعيادهم، والظروف الخاصة التي تستدعي التعامل معهم، والعقوبة التي تنتظر من يخالف حظر التعامل معهم. وجاء هذا المبحث ليقضى تماما على كل وجوده التعامل والاتصال مع الوثنيين.

٩- آبوت/آڤوت= الآباء (٦ فصول) : ليس مضمونه أحكاما تشريعية، إنما يتركز مضمونه على الحكم والمواعظ والوصايا الأخلاقية المتناقلة خلفًا عن سلف. وتنتهي فصوله الستة بتمجيد حفظ التوراة ومراعاة أحكامها.

١٠- هواريوت = القرارات (٣ فصول): يختص بالقرارات التي تصدرها المحكمة عن طريق الخطأ، وأحكام اتباع الجمهور لهذه القرارات، وما يترتب على ذلك من مخالفات وتعديات على الوصايا التشريعية، ويفصل في أنواع القرارات التي تصدرها المحكمة سواء تعلقت بالأمور المالية أم بأحكام الوثنيين.

خامسًا : قداشيم = المقدسات (١١مبحثا)

١- زباحيم = الذبائح [الدينية] (١٤فصلا): يناقش أحكام الذبائح، ومراحل التقديم والظروف التي يجب تهيئتها حتى تصبح التقدمة مقبولة، والعوامل التي تفسر القبول ويفصل طريقة الذبح ومواصفات ذبائح القربان وطرق رش الدماء واحراق اجزاء من الذبيحة، استنادًا إلى سفر اللاويين.

٢- مناحوت = تقدمات الدقيق (١٣فصلا) : فيه يُناقش طرق إعداد تقدمات الطعام والشراب وقواعدها، وأنواعها المختلفة الصالحة للتقديم. وأساسه ما ورد في سفر اللاويين.

٣- حولين = الذبائح الدنيوية (١٢فصلا) : يوضح ما يحل وما يحرم من الذبائح غير الدينية، وطرق الذبح الشرعية واللحوم الصالحة للأكل (كاشير)، كما يتعرض لأحكام الفريسة وهبات الكهنة وكيفية تقديمها.

٤- بكوروت = الأبكار (٩ فصول): فيه أحكام المواليد البكر من الحيوان والإنسان، وضرورة تقديم البكر من الحيوان إلا إذا كان فيه عيب يمنع من ذلك، ثم يتناول حقوق البكور من الأبناء في الميراث، اعتمادا على ما ورد في سفر الخروج.

٥- عراكين = التقديرات (٩ فصول) : فيه أحكام قواعد تقديم المبالغ التي تدفع فداء للإنسان الناذر نذرًا للرب ولم يؤده، وتقدير المبالغ معتمد على السن والجنس وتقييم الشى المنذور ،ويتضمن أحكام اليوبيل، اعتمادا على سفر اللاويين.

٦- تموراه = البدل / العِوَض (٧ فصول) : يختص بالتشريعات المتعلقة باستبدال الذبائح المخصصة لنذر معين بذبائح أخرى وكذا قواعد استبدال تقدمات التكفير عن الذنوب، ومصير الذبائح المستبدلة، وطرق تقديم الذبيحة الجديدة، اعتمادا على ما جاء في سفر اللاويين.

٧- كريتوت=القطع (٦ فصول) : يتناول أحكام قرار القطع على اليهودي الذي يرتكب الذنوب متعمدًا، حسب ما ورد في سفر التكوين، وإجراءات ضمان تنفيذ الحكم وطرد العصاة من المجتمع اليهودي. اما إذا اكتشف انه غير متعمد فيخفف الحكم إلى التكفير بالقربان.

٨- معيلاه = التدنيس / الانتهاك (٦ فصول) : يعالج مسألة انتهاك المحرمات وتدنيس المقدسات لاسيما التابعة للهيكل أو المذبح باستخدامها في أغراض غير دينية، فيذكر الحالات وطرق التكفير عنها، اعتمادا على ما ورد في سفر اللاويين.

٩- تاميد = التقدمة اليومية (٦ فصول): يناقش أحكام التقدمات اليومية، ويفصل طريقة تقديم القرابين في الهيكل صباحًا ومساء، ومختلف

الخدمات المتعلقة بالهيكل، وهذا اعتماداً على سفري الخروج والعدد.

١٠- مدّوت = المقاييس (٥ فصول) : يتحدث عن الإطار العام للهيكل ومقاييس ساحاته وأبوابه وقاعاته أو للمذبح، أو الأجزاء المتصلة به وتقسيماته المعمارية المختلفة وما يلزمه من حراسة وخدمة كهنوتية.

١١- قنيم = الأعشاش / ذبائح الطيور (٣ فصول) : يعد مبحثا للفقراء سواء أكانوا مذنبين ولا يستطيعون تقديم قرابين حيوانية كالأغنياء، أو كانوا غير مذنبين ويجب عليهم قرابين كحالة الولادة مثلا، وفي هذه الحالة تقدم حمام أو عصافير. والمبحث يشرح طرق تقديم الطيور استنادا إلى ما ورد في سفر اللاويين.

سادسا : طهاروت = الطهارات (١٢ مبحثا)

١- كليم =الأدوات (٣٠ مبحثا) : المبحث في محتواه العام يناقش الشرائع والأحكام الخاصة بالأدوات والأواني والأمتعة التي تنجس، ويسهب في أحكامه لدرجة يتعرض فيها لأدق التفاصيل وأقل الأشياء التي يمكن أن تتعلق بالأشياء السابقة.

٢- أوهالوت = الخيام (١٨فصلا) : موضوعه النجاسة التي تنتج عن وجود جثة في المسكن وكافة الأحكام المترتبة عليها وتأثيراتها المختلفة، فأحصت ٢٤٨ عضواً في الإنسان تنقل النجاسة، وذكر بعض طرق نقلها كالملامسة والرفع، وطرق تجنيب الأمتعة النجاسة، ووجود حاجز بين النجس والطاهر، وحكم وفاة المولود وبعض أحكام المقابر.

٣- نجاعيم = البرص (١٤فصلاً) : يتناول مرض البرص ومراحله وأعراضه، ومدة نجاسة المريض به، وشروط الكاهن الذي يفحص الأبرص والفروق بين البرص والأمراض الجلدية، وعن تأثير البرص في أنواع الملابس المختلفة، ونظام تطهر الأبرص بكل طقوسه وشعائره.

٤- باراه/فاراه = البقرة [الحمراء] (١٢فصلا) : يختص بأحكام البقرة الحمراء التي تُحرق بغرض التطهر برمادها بعد معالجته بصورة طقسية معينة.فيذكر مواصفات البقرة من حيث السن وحكم شرائها من غير اليهود ثم الطقوس التطهرية التي سيمر بها الكاهن الذي سيذبحها ويحرقها في جبل الزيتون، والأحكام التي تبطل ذلك. ثم يناقش تقديس مياه الخطيئة منذ ملئها في الأواني وما يفسدها، وأحكام الرماد، وحكم الرش منه.

٥- طهاروت = التطهيرات (١٠ فصول) : أحسن المترجم صنعًا إذ جعله التطهيرات لا الطهارات (وهو اسم القسم بأكمله).وهذا المبحث يتناول النجاسات البسيطة التي تنتهي بغروب شمس اليوم، فيذكر أحكام نجاسة الأطعمة والأشربة المختلفة ودرجات النجاسة المؤثرة. كما يتناول أحكام الشك في النجاسة سواء على الملكية الخاصة أو العامة، ثم يتحدث عن نجاسة الجاهل بالتوراة وأحكامها، ثم أحكام نجاسة الزيتون والعنب في مراحل عصرهما المختلفة، وطهارة المعصرة والعاملين بها.

٦- مقفاءوت = المطاهر (١٠ فصول) : موضوعه – عامة- المياه بمختلف أنواعها سواء كانت مياه آبار أو عيون أو برك أو قنوات، فيعالجها أحكام طهارتها ونجاستها ومدى صلاحيتها وسائل للتطهير،

وحكم اختلاط ماء المطر بماء الطهارة، وكذا مياه البحار، وتعميم الجسد بالماء والمواضع التي لا يشترط وصول الماء إليها، وتغطيس الأمتعة والأدوات والأواني التي لحقت بها النجاسة.

٧- نده/نِداه = الحيض (١٠ فصول) : فيه جميع الأحكام الخاصة بنجاسة النساء أثناء الحيض، وما يجب أن يقمن به وما يتجنبن، والأحكام التعامل معهن طيلة هذه الفترة. وترد أحكام نجاسة الدم وأنواعه، ويعرض لدم الولادة، والأحكام المشتركة بين الحائض والوالدة، كما ترد أحكام الولادة المتعسرة وعلامات بلوغ الولد والبنت، وتأخر زمن الحيض.

٨- مَكشرين = الإعداد/السوائل (٦ فصول) : يختص بإعداد الحبوب والفاكهة والثمار عن طريق سبعة سوائل (الندى، الماء، الخمر، الزيت، الدم، اللبن، العسل) حتى تقبل النجاسة، اعتمادا على ما جاء في سفر اللاويين. ويسرد أحكام المياه الطاهرة التي لا تنجس ما تقع عليه.

٩- زابيم=السيلان/سلس البول (٥ فصول):يذكر احكام رؤية السلس أول مرة وطرق فحصه، ومتى يعد وقتيا لاتسرى بسببه نجاسة، وطرق نقل المريض لها،وانتقال نجاسته رأسًا أو بطريق أدواته الخاصة.

١٠- طبول يوم = الغاطس نهارًا (٤ فصول): يبحث أحكام الاغتسال من النجاسة نهارا وأنواع النجاسات التي لا يتم التطهر منها إلا بعد غروب الشمس، وحكم ملامسة الغاطس نهارا لتقدمات الهيكل، وقواعد تعامله مع الأشياء المقدسة أو الدنيوية.

١١- يَدايِم = اليدان (٤ فصول) : يناقش قواعد تطهير اليدين ومقدار الماء اللازم لذلك ومواصفات الآنية الصالحة لذلك، كما تسرد أنواع المياه وصلاحيتها إن شرب منها حيوان أو سقط فيها شيء أدى إلى تغير لونها، ثم كيفية غسل اليدين وأحكام الشك في نجاستهما، وطرق تنجسها، كما يذكر نجاسة الكتب المقدسة لليدين وآراء الحاخامات المختلفة حول ذلك الحكم.

١٢- عوقصين = سيقان النباتات وقشورها (٣ فصول) :يسرد أحكام نجاسة الألياف والقشور وسيقان الثمار، وتسرى قاعدة نجاسة الثمار بكاملها حتى لو لحقت النجاسة بجزء صغير منها كأوراق الزيتون وحبة الزيتون، وقشرة البيض، وقشرة البصل وما إليها. وحكم نجاسة ألبان الحيوان وأقراص العسل، وأحكام خلايا النحل وكيفية نقلها للنجاسة.

ثالثا : أخطاء الرسم والضبط والتصريف

الحقّ يقال إن هذا قليل جداً في عمل بهذا الحجم الكبير. لكن لأن وجودها يشوه العمل أشرنا إلى بعضها.

ملاحظة : ما بعد X هو الصواب.

١/٣٥ تكررت صلاوات وصلوات أيضا، فهل المعنى مختلف فيهما ؟ وإن لم يكن فالتصحيح واجب وانظر ٢٦١/٣.

١/٤٢ يطوف على الماء X يطفو.

١/٤٩ هـ٩٣ كما تذكرها الفكرة x الفقرة

٢/٣٧ بَطُل (مرتين) x بَطَلَ، ومثل ذلك في ٣/٢٧٤

٢/٣٨-١٠ من يطفأ x يطفئ

٢/٤٧هـ٢ التي يعيشن بينهن x يعشن، بحذف الياء الثانية

٢/٤٧هـ٤ حكم نجسة المدراس x نجاسة

٢/٤٨هـ٥ حكم الإعدام على شخ ما x شخص

٢/٦٧هـ١ والوزعة x الوزغة، بالغين المعجمة

٢/٦٧هـ٢ لن هذه طريقة x لأن

٢/٦٧هـ٥+هـ٦ كلمة فيها أربع لامات

٢/١٠٦ف٢ الأذرع الربعة x الأربع أو الأربعة

٢/١٣٥-٧ وعلما كان الخلاف x وعلامَ

٢/٣٣٨ على فراش منصوبة xفُرش، بضمتين

٢/٣٣٨ و ٣٣٩ للنساء أن ينوحن x يَنُحنَ

٣/٥٧ كلمة ضبط حرفها الثالث وشدد خطأ – أربع مرات

٣/٧٣هـ ـ وبعد أن كَبُر x كَبِرَ، بكسر الباء

٣/صص٧٦ و ٧٧ تكررت عشر كلمات متوالية دون مسوغ.

٣/٩١-٤ أجازتم لها الجماع x أجزتم

٣/١١٣ مَثُلت أمام المحكمة x مَثَلت، بثلاث فتحات.

٣/١٧١ أعيرنى بقرتك x أعرني

٣/١٩٢ نُحْنَّ x نُحنَ. التشديد خطأ

٤/٦٢ أو عفاه من x أعفاه

٤/٦٥ إذا جاء احدهم بدُنه. وردت مرتين بالضم والصواب بفتح الدال وتشديد النون

٥/١٦٦ و ١٦٧ أم البهائم .... أم البهيمة الصغيرة x أمّا. التي وظيفتها التقسيم والتفصيل.

٦/٤٢٥ والعفيفات تجهزن ثوبا ثالثا x يجهزن، بالياء.

والقسم السادس طهاروت لا يخلو فصل منه ولا صفحة من (يتنجس، ومحكم الغلق). وصوابهما : ينُجس، ومحكم الإغلاق. والأولى تعنى صار نجسا، والثانية فعلها رباعي أغلق ومصدره إغلاق.

ختامًا: لم نذكر ما هو نتيجة انتقال نظر من الطابع بنقل حرف مكان حرف.

رابعا : أخطاء في الإعراب والظواهر النحوية

أ- في الإعراب عامة رفعا ونصبا وجرًا وجزما

١/٣٧هـــ٦٦ على الرغم من أن اجيال متعددة قد يفهمونه x اجيالاً ومثله في ٢/٤٦هـــــ، ٢/٩٤ف٣ و١/٦١، ٧٥-١٣، ٢/١٨، ٤٢ف، ٧٨-١٠، ٨٤-٢، ٢١٠ هـــــ ٤و٣/٢٥٦٦ ١٢٥، ١٤٥، ١٨٩، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٢.

وقد ينصب الفاعل وحقه الرفع١/٦٢-٣و٥/٥٢.

وقد يأتي بالمفعول به ساكنا وحقه النصب كما في٢/٩٤:٨٩هـ١٩٩هــ٣، ١٠١و٣/١٢٠ وفي الأفعال الخمسة قد يثبت النون وحقها أن تحذف لأنه الأفعال منصوبة أو مجزومة، ويفعل العكس إذ يحذفها وحقها الإثبات لأن الفعل في حالة رفع ٢/٩٥ف هــ ،٩٩هـــ١، ٢٥٧، ٣٣٠ و٣/١٢٧، ٢٦٣، ٢٧٤، ٣٣١.

ب- وفي الأسماء الخمسة مثل ٢/٢٩٣-٨ إنّ من أجاب أبينا إبراهيم x أبانا وفي ٣/٣٣-٥ وأم حماه x أم حميه. وانظر ٣/٣٤، ٧٩، ٩٢، ١٢٨، ١٦٤، ١٩٩و٥/٣٥ .. ...الخ.

ج- وفي خبر كان قد يرفعه وحقه النصب كما في ٣/٣٧، ٤٣، ٤٤، ١٧٣، و٥/٢٣١.

د- وفي إن وأخواتها كما في ٣/٦١، ١٢٨(سبع مرات)، ٢٧٥، ٢٩٣.

هــ- في التذكير والتأنيث كما في ١/٥٧هـــ١٠٤، ٥٨-١٧، ٢/٣٢، ٣/٥٧هـــ١، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩، ٢٧٣، و٣/٢٧٥ و٤/٢١، ٢٤ و٥/٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ١٠٩هــ٤و٦/٣١.

و- الأعداد قد يجعلها ساكنة أو مرفوعة وحقها النصب ففي٢/صصـــ ٢١٦-١٧ خمس عشرة مّرة ! وانظر ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٩٠ و٤/٤١.

ز- وقد يخلط في الموصولات مثل٣/١١٠هــ٢ قيمة التعويض التي يجب أن يدفعه x التعويض الذي وانظر ٣/١٣٨، ١٤٠، ١٤١و ١٣٠/٥هــ١و الحق يقال أن ذلك نادر عنده.

ح- لا يحذف نون المضاف كما في ٣/١١٦مائتي دينار .. ..مائتين زوز ومثله في ٣/١١٨و٤/٤١، ٩٦ وهذا نادر عنده.

ط- وهو يطابق في العدد بين الفعل وما أسند إليه، وحقه في العربية الفصحى الإفراد، ومنه١/٧٥-٤ ويقرون أتباع مدرسة شماي x ويقر أتباع .. .. وفي٥/٣٨١ف٢: " حيث يلف من اليسار ويسألونه الداخلون : لماذا تلف من اليسار فيجيبهم : لأني في حِداد، فيردون عليه " ١. هــ.

قلت : صوابه : ويسأله الداخلون.

والحقّ أن هذا من المرات القلائل التي وقع فيها.

ي- في غير ذلك ٤٣ف١ يخرج الحمار بالبردعة في حالة إذا ما كانت مربوطة عليه.١. هـ.

صوابه : يخرج الحمار بالبردعة إن كانت مربوطة عليه.

٢/٢١٠ هــ ٤ فوجدوا الباب الأول مغلق x مغلقًا (مفعول ثان).

خامسًا : هنات التعبير والتفسير والسهو

١- تكثر عنده (عبارة عن) تسبق تعريف الشيء، وهذه إذا قرأتَ الجملة خالية منها لن تتأثر الدلالة البتة. بالتأكيد ليس المترجم مبتكرها ،فأغلب

المؤلفين العرب مبتلون بها، وهي غير موجودة في عصر الاحتجاج باللغة ولا بعده حتى القرن السادس الهجري ،تجدها عند المؤلفين في المصطلحات، ثم ما نشب هذا التركيب أن دخل في أنواع أخرى من التأليف. وهذه الظاهرة كثيرة عند صاحبنا، فندعوه إلى تركها. ومن أمثلتها :

١/٣٥هـ٣ وهى عبارة عن الصلاة الرئيسة.

١/٣٨هـ٦٧ المزوزا عبارة عن قطعة جلد مكتوب عليها ....

١/٨١هـ١٤٦ والعشور عبارة عن مجموعة مفروزة.

١/١٠٣هـ١٩١ الزعرور عبارة عن شجر مثمر.

سبحان الله ! جاءت عنده بدونها في ١/٢٤٨ هـ ٤٠٨ «الزعرور هو شجر مثمر»، وانظر ٢/٣٥، ٤٤، ٤٥، ٦٧، ١٣٤، ١٤٥و٣/٤٥، ٤٨ ..... الخ.

٢- تكثر عنده (طالما) شرطية، في حين أنها فعل غير متصرف بمعنى كثيرًا ما. ويمكن بسلاسة أن تحل (مادام) محلها، مع السمكرة الواجبة في الضمائر والأفعال. ومنها.

١/٦ طالما لم يبزغ الفجر فإنكم ملزمون بقراءة الشَمَعX مادام الفجر لم يبزغ .. ...

٢/٤٣ طالما يوجد (مكان) لجماعة المدينة ... X مادام يوجد ......

٣/٣٧ طالما أنها من المحارم، فلا يسري عليها حكما الخلع واليبوم X مادامت من المحارم ...

٣٩/٣ هـــ ١ طالما أن أخاه قد تزوج الثانية ...x مادام أخوه قد تزوج.

وانظـــــــــر ١/١٢٣و٢/٣٦، ١٠٦، ١١٩، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧ و٣/٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٩و٤/٣٦و٥/٤٠٨. هذه أمثلة لا إحصاء مستقص.

٣- الواو عنده زائدة قبل الموصولات وأشباه الجمل وتعبيرات أخرى، فإذا تأملتها لم تجدها عاطفة ولا استئنافية (مع أني لا أومن بها) ولا حالية. ندعو المترجم إلى حذفها وقراءة الجمل بدونها. مثل :

١/٣٥هـــ٣ ... أنه توجد فيها صلاة الثمان عشرة بركة والتي يضيفون إليها ... ويصلون وقوفا وفي صمت.

٢/٤٩ هـــ ١ آف ملاخا والذي عنى اب العمل x آف ملاخا الذي يعني أبا العمل.

٢/١٥٠ هـــ ٣ فإذا حل يوم السبت والذي حلْ بدوره.

٣/٣٨ هـــ ٥ لذلك ودرءاً للشك.

وانظر أيضا ٢/١٨٣، ٢٩٤، ٢٩٧و٣/٤٨، ١٣٢، ١٨٣و٤/١٨، ١٩، ٢١، ٢٤و٥/١٩١.هذه أمثلة لا إحصاء مستقص.

٤- في المتن والهوامش مواضع لم يوفق في التعبير عنها، منها :

أ- ١/٣١-١٠ وعرضت نفسي للخطر من قبل اللصوص x وعرضت نفسي لخطر النهابين. ذلك أن السارق هو الذي يسرق الشيء خفية من حرز، وغيره، أما (اللص) فليست عربية الأصل رغم انتشارها، وليس لها فعل من مادتها. وانظر ٤/ ,٦٥

ب- ٣٩/١ إذ رأى مريض السيلان منيا، أو إذا ... الخ.

قلت : يتكرر (السيلان) في كل المجلدات وفي كل المباحث والفصول، واراها غير صحيحة. ذلك أن القارئ المعاصر لا يفهم منها غير المرض الجنسي المعدي [gonorrhea]، في حين أن السياقات تدل على أنه سلس البول [Incontinence of Urine]. فليستبدل بالسيلان سلس البول فهو الصحيح.

جـ- ٥٨/١-١ يجفف يديه بالفوطة x بالمنشفة، فالمنشفة هي الأشيع في البلدان العربية، أما الفوطة فإزار نصفي.

د- ٧٥ف٣ من يقتلع البصل الطازج(ليبيعه) في السوق، ويبقي (في حقله بعضه) ليجف (حتى موعد) البيدر فعليه أن ...

قلت : كلمة (البيدر) لا تناسب البصل والثوم ولا الخضر والفواكه وما في حكمها، ذلك أن دلالتها كدلالة الجرن في مصر والمِجران في اليمن، وهي البيدر في بلاد الشام عامة ،كلها بمعنى : مكان تجميع سنابل الحبوب كالقمح والذرة والشعير بعد حصادها بقصد فصل الحبوب عنها. فالصواب : حتى موعد الجني.

هـ - ٧٥/١ف٤ (يعد حكم ترك) الركن على بذور البصل واجبا.

قلت : للمترجم خيارات : جذور البصل، ثماره، حبّاته، رءوسه.

و- ٣٧/٢ هـ ١ «تكثر في الواحات الصحراوية» قلت :لا لزوم لوصف الواحات بالصحراوية لأن الواحة أصلا لا تكون إلا في الصحراء ،إذ لا توجد واحات بحرية ولا جبلية.

ز-٤١/٢ف١ «مرر أهل طبرية ماسورة مياه ... إذا مررتم الماسورة ... وإذا جُرفت من السماور جمراته ...» قلت : لم يكن البشر أيامذاك يعرفون الماسورة، فالأولي أن يقال (الأنبوب). أما (السماور) فكلمة روسية حظيت ببعض انتشار عند ترجمة أعمال روائية في القرن العشرين. اللهم إلاّ إذا ذكرت بحروفها في المشنا، فهذا يعنى ان الروس- دون غيرهم من البشر – قد أخذوها من المشنا.

ح- ٤٢/٢ف١ بمشط الكتان(مرتين)X بمشاقة الكتان.

ط- ٤٣/٢ف ج لا يخرج الجمل بوسادة على سنامة ولا مكبلا باحدى رجليه X ولا معقولاً.

ي- ٤٧/٢ف٤ وإذا كان في العكاز تجويف لحاشية فإنه يعد نجساX لحشيّة.

ك- ٥٥/٢ف٣ «ويلزم بذبيحة الخطيئة كذلك كل من يخرج بولاً أو صودا ... أو بوتاسا». قلت: هذه ألفاظ حديثة كالسماور، والواجب معرفة الألفاظ على وجهها الصحيح. وانظر في ٤٥٠/٦كربونات الصوديوم !

ل-٨٤/٢ف٢ وسمك الأسقمري الاسباني .... قلت ما مدخل (اسباني) واسبانيا لفظ لم يكن معروفا حينذاك.

م-١٣٨/٢ هـ ١ [الحروست] هو خليط من الفاكهة المتبلة بالتوابل والجوز والخمر تؤكل عشية عيد الفصح رمزًا للعمل الشاق الذي فرضه الفراعنة على اليهود (!!) وخاصة العمل في اللبن والتبن للبناء.

قلت : على خطورة هذا الكلام لم يذكر له مصدرا موثوقا. ثم كيف تكون الفاكهة بالتوابل متبلة مع أن (متبلة) مشتقة من التوابل !

ن- ٢/١٣٩-٢و٣ ... والـــبيرة الميديـــة، والخـــل الأدومـــي، والجعـــة المصرية.١.هـ. قلت : البيرة مرادفة للجعة ،وإن كان بينهما فرق فليوضحه.

س- ٢/١٤٤ف١ أن يأخـذوا الأدوات لـورش المهـني ويحضـرونها مـن هناكx أن يأخذوا الأدوات إلى حانوت المهني ويحضروها.

ف- ٢/٢٠٤ هـــ١ كفل الذبيحة هو الجزء الخلفي منها مع اللية والكليـتين X الألية.

ص- ٣/٦٥ف٣ علامتا الذكورة والأنوثة (مرتين) x عضوا.

ق- ٣/١٢٠ف٢ فإنها مجبرة لغزل الصوفxمجبرة على.

ر- ٣/١٢٩ف٢ الـذين يرغمـون علـى الطـلاق : المصـاب بالـدمامل والمصـاب بـالجيوب الأنفيـة. قلـت : أكـان هـذا التركيـب الوصـفي متـداولاً حينذاك؟

ش-٣/١٢١ تباع كأخشاب و٣/١٣٥كبائعة و٣/١٥٦ يقدمـه كقربـان. في كل ذلك الكاف خطأ يجب حذفها ونصب الأسماء التي بعدها. وانظـر ٥/٢٧، ٣١، ١٤٩، ١٥٩.

ت- ٣/١٨٥-٢ حتى تلف سكاكين جني الـتين ... وفي الهـامش : حيـث يلفون السكاكين الخاصة بقطع التين للعام القادم١.هـــ. قلـت : أعلـم أن الـتين يقطف باليد لا بالسكين. فهل هي تقنية زراعية خاصة ببني إسرائيل.

ث- ٣/١٩٤هـ١ «إن دراسـي الشـريعة في حاليـا ليسـوا مميـزين ١.هـــ». قلت: في الكلام سقط لم يتبين لي وجهة.

خ- ٣٢١/٣ف١ ما هي قيمة الفروطا؟ ثمن الإيسار الايطالي ١.هـ. قلت: أكانت كلمة (ايطاليا) معروفة في زمن تدوين التلمود ؟ ومثله في حـ١٧٠/٥.

ذ- ١٣٥/٦ف١ إذا اعتبرت أن كل ما يكون تحت سقف واحد مع الجثة يعد نجسا ١.هـ. قلت : صوابه بحذف أن + يعد، فاعتبر بمعنى عدّ.

ض- ٤٩/٦ هـ١ يفتخر أنه بدلا من الترجمة الحرفية لتعبير (آبوت هطومئوت) بآباء النجاسة، ترجمه دلاليا فقال: النجاسة الرئيسة، الذي تستعمله المشنا للدلالة على الأشياء الكبيرة.

قلت: أحسن عمومًا، لكن كيف غاب عنه النجاسة المغلظة عند فقهاء المسلمين.

ظ- ١٤٥/٦-٤ " وكذلك صندل لاديكي على غرارها " ١.هـ. وفي هـ٣للمترجم : صندل اشتهرت بصناعته مدينة لوديكا في سوريا ١.هـ .. قلت : صوابه مدينة اللاذقية.

٥- في بعض هوامشه سوء تفسير. ومن ذلك :

أ- ٦٨/٢-٥ لعلاج اليرقان قال في هـ٦: اليرقان مرض فسيولوجي يصيب النبات !! فيصفر، ويعد كذلك حالة مرضية تمنع الصفراء من بلوغ المعي بسهولة ... الخ.

قلت : لا وجه في السياق للنبات أصلا، ولا يقصد غير أحد أمراض الكبد التي تصيب الإنسان.

ب- ١٧١/١هـ الخشخاش نبات يستخرج الأفيون من أحد اصنافه، وتذكر بعض التفاسير أنه يشبه الرمان وممتلئ بالبذر ،أو أنه نوع من الدُخن ١.هـ.

أقول: الخشخاش شجيرة تنبت في رءوس أغصانها كريات كالرمان الصغار مملوءة بالبذور التى تؤكل نُقلا كاللوز والجوز، وإذا غليت البذور وشربت نفعت في تهدئة المغص عند الأطفال، أما إذا دخنت عن طريق الفم والأنف فهي مخدر كالحشيشة. وهذه الكريات من جميع الأصناف إذا خُدشت بآلة حادة، وهي رطبة، خرج منها لبن مائل للصفرة هي الأفيون. والأفيون يتحول بطريقة كيماوية إلى كوكايين وهيروين.

أما الدُخن فمن فصيلة الذرة، حبوبه تميل إلى اللون الأسود أو البني، تنبت في كوز رفيع اسفنجي لا غلاف له. تؤكل مشوية بالنار أو تطحن ويصنع منها العصيدة والخبز.

ج- ٤٣/٢هـ٢ " الخطام هو الحلقة التي توضع في أنف البعير". قلت : في لسان العرب (خ.ط.م) صص ١٢٠٣-١٢٠٤ .. ..الخطام: الحبل يجعل في طرفه حلقة ثم يقلد البعير ثم يثني على مَخطِمِه (= أنفه).

د- ٦٨/١هـ [السماق]:شجرة من الفصيلة البطمية تستعمل أوراقها للدباغة sumach.

قلت : جاء في لسان العرب (س.م.ق) ص٢٠٩٩ السُمّاق بالتشديد من شجر القفاف والجبال (لعلها الحبال بالمهملة) وله ثمر حامض عناقيد، فيها حبّ صغار يطبخ. حكاه ابو حنيفة، ولا أعلمه ينبت بشيء من أرض العرب إلاّ ما كان بالشأم. قال وهو شديد الحمرة ... التهذيب : وأما الحبة الحامضة التي يقال لها العَبرَب فهو السمّاق، الواحدة سمّاقة ١.هـ.

قال عباس : لا تناقض بين استخدام اوراق الشجرة في الدباغة، وطباخة بذورها الحامضة في الطعام. وجاء في معجم ويبستر(Ruhs) [ينطق روس] أنه في اللاتينية سُماك من الإغريقية وهو منّكه ومطيّب ومُبَهِّر للطعام.

وفي إيران وقسم من العراق يكون السمّاق مصاحبا لأكل اللحوم والـدهون ليكسر حدتها وتأثيرها غير الطيب.

هـ- ١٠٣/١هـ١٩٤[عن الكسبرة] يعرف كذلك باسم كزبـرة أو جُلجُـلان ١.هـ. قلت : نعم كسبرة وكزبرة واحد. أما الجلجلان فهو السمسم.

٦- في بعض هوامشه سهو. ومنه:

أ- ١٤٦/٢ه١ ...بالمحرقة المسائية كما ورد الخروجX كما ورد في سـفر الخروج.

ب- ١٨١/٢ف١ مكتوب عليهـا الحـروف اليونانيـة : ألفـا بيتـا جمـلا X جاما.

ج- ١٩٣/٣هـ٥ البالغـة هـي الـتي يزيـد عمرهـا علـى أثـني عشـر شـهرًا ونصف١.هـ. قلت : مرّ أنها التي يزيد عمرها على اثني عشر عاما ونصف.

د- ١٢٧/٦هـ١ حرف كي اليوناني هو حرفX والمقصـود أن الحصـير إذا صنع من قصب بصورة متقاطعة مثل هذا الحرف فانه يعد طاهرًا١.هــ. أقـول : هذا في اليونانية خـاء، وحـتى في الكتابـة الصـوتية الدوليـة هـو رمـز للخـاء : الصامت اللهوي أو الطبقي المهموس الاحتكاكي.

سادسا : في العبريات والاشكنازيات

بينهما علاقة اشتمال، على أننـا قصـدنا بـالأولى الألفـاظ العبريـة حسـب النطق القديم الموروث الذي يتوافق مع نطق أصوات اللغـات السـامية الأخـرى والعربية من بينها، وليس كذلك الاشكنازيات المتأثرة بنطق يهـود أوربـا الـذين تخلّـوا - ضـمن أمـور عديـدة - عـن بعـض أصـوات الاطبـاق ومنـها الصـاد

(=صادي) وصار صوتا مزدوجًا(= تس). وعلى كل فالتلمود لم يدونه الاشكناز قطعا. وهنا نأخذ على المترجم الميل الصريح للاشكناز.

وفي العبريات قالوا إن أصوات (بجدكفت)تتغير في سياقات صوتية معينة، فالباء المجهورة تصبح فاء مجهورة والكاف تتحول خافا(=خاء)، والفاء تتحول باء مهموسة. وهنا لم نر المترجم راعى ذلك دائما بل أحيانا.وقد نكون تسرعنا في حكمنا على بعض الألفاظ لاعتمادنا على علامات الضبط وحدها. فليغفر لنا تطفلنا إذا أثبتنا قراءتنا الاجتهادية إلى جوار ترجماته في عرض الأقسام. وهنا نذكر بعضها.

١/٣١هـ٤٧ يوتسير اور بمعنى خالق النور ... قلت : صوابه (يوصير أور) ذلك أن الصادي مازال في المشنا صادًا، ولم يكن هنّاسي ورفاقه اشكنازيين.

١/٣٢هـ٤٩ إِمت فيتسيفx صوابه إِمت وصيف.

١/٣٢هـ٥١ امت فاموناه x امت وامّوناه (الواو ليست فاء).

١/١٠٣هـ١٩٠ عام هأرتس xعام ها إرِص وانظر صفحات ١٠٤، ١٨٣، ٣٥٠، ٣٥٥و٣/٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩و٦/٣٧٣، ٣٧٣، ,٥٢٠

١/١٣-١٢بيتسا- البيضة x بِيصاه أو بِيصا- البيضة وانظر ٢/٢٥، ٢٥١، ٢/صصـ١٣٣-١٤٠حاميتس x حاميص وانظر ٢/٢٥٣

٣/٥٧هـ٢ موكات عيتس .. ... المضروبة بالعصاx عِيص.

٣/٥٩ عبيد تسون برزيل (٤مرات)x صون

١٦٢/٣ أنذر عتسمي xعصمي.وهو عِصِم : العَظم. وفيها عَصمو= نفسه، ذاته عينه.

١٣/١-١٠ شبات – السبت x شَبّوت، بتضعيف الباء تليها واومد مائلة مفخمة وانظر ٢٣/٢و,٢٩

٣٥٣/٢ آف أفوت هطومئاه. قلت إما أن تكون الفاء مثلثة مجهورة /٧/ أو بالباء العربية، ومثل ذلك شفوع بمعنى اسبوع١٨٣/٣ولا فان بمعنى لبن ٣٣٠,/٢

١٣/١-١ بساحيم - عيد الفصح١.هـ. قلت : إما أن تكون الباء مهموسة /p/أو ترجع إلى الفَسح الذي هو السماح والإجازة والعيد فتعود فاء/F/.

سابعًا : في هوامش تزيد عن الحاجة

- ٣٧/١هـ٦٦ من ١٦سطرًا، وقد أتعب نفسه في حين أنه مذكور في متن ص٣٨.
- ١٨٩/٢-٢ «كان هناك ثلاثة عشر صندوقا على شكل الشوفار»١.هـ. قلت : لم يشرحه وأراه بوقا على شكل قرن ينفخ فيه في المناسبات الدينية. وكان معروفا عند اللغويين العرب القدماء بالشبّور (وهذا ما أرجح نطقه). جاء في شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبى أحمد العسكري، صـ١٣٤تحقيق عبدالعزيز أحمد، مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٦٣، وجـ١صـ١٦٥-١٦٦تحقيق السيد محمد يوسف وأحمد راتب النفاخ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م : «والله لونفخت في ألف شبّور ... تكلم بكلام النمل وأصِب». وانظر: لسان العرب مادة (ج د ع: ٥٦٨).

- في ٢/صـ٢٦٩-٢٧٠ هامش على مدار صفحتين عن الأعياد، وسيذكر في المتن لاحقًا ! وبعضه ذكر سابقًا !

- في ٢/صـ٣٢٩-٣٣٠هـ٥ مرّ من قبل.

- في ٣/١٨٣هـ١ ذكر أن المشنا استخدمت شبات (الصحيح شبّوت) بمعنى السبت للدلالة على الأسبوع. قلت: العربية في عصر الاحتجاج استعملت (جمعة) مرادفًا للأسبوع قال الشاعر [انظر: البيان للجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون، جـ٢/٢٤٤]:

خلقَ السماء وأهلها في جمعة وأبوك يمدر حوضه في عام

ولا يتسع المجال هنا لذكر شواهد هذا الاستعمال حتى عصرنا.

- ٣/٣١٤ هامش عن الناتين، وقد مرّ.

- ٣/صـ٣٢٣-٣٢٤ هامش طويل عن اليوبيل وقد مرّ في الجزء الثاني وسيكرره في ٥/ ,٢٣٩

- ٥٧/٧٦هـ١ للمرة الخامسة يعرف الفروطا : عملة نحاسية تعد أقل العملات الإسرائيلية قيمة وهي تعادل ١.هـ.

قلت : للفائدة. هذا ما تبقى في لهجات الشام الحديثة : الفراطة : الفرق بين العملة الكبيرة والاصغر منها.وهي تقابل في مصر الفكةّ، وفي اليمن والسعودية الصرف.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في الختام أقول : هذه المؤاخذات لا تؤثر بحال من الأحوال في أهمية هذه الترجمة، ولا تقلل من شأن المترجم وجهده. فقد كان أمّةً وحده. نسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وأن يغفر لنا ما فَرَط منّا. والسلام.

وكتب أبو محمود في ٢٤من شوال ١٤٣٢هـ

الموافق ٢٢من سبتمبر ٢٠١١م

تعز - الحوبان

قسم البحث العلمي بالمجمع

الحمد لله وحدَه، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بهديه، واستنَّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد؛

فهذا بحث بعنوان (**طريقة نطق العلَم المختوم بـ « ويه »** .. دراسة تأصيلية لغوية)[1].

وأصل البحث: ندبٌ من شيخنا الموسوعي: أبي محمد عبد العزيز ابن علي الحربي (رئيس مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، والمشرف على موقعه) - حفظه الله تعالى ونفع به -.

والبحث الأساس يشتمل على أربعة أقسام رئيسة:

١- المقدّمة، وفيها ثلاثة مطالب.

٢- التمهيد، وفيه مطلبان.

٣- المباحث والمطالب، وفيه عشرة مباحث، تحت كل مبحث مطلبان فأكثر.

٤- الخاتمة، وفيها ثلاثة مطالب.

---

(١) وهذا البحث خُلاصة بحث مطوّل لا يسع المجلة أن تدرجه ضمنها لطوله أعدَّه قسم البحث العلمي للمجمع، بعنوان: (**العلَم المختوم بـ « ويه »** .. دراسة تأصيلية، استقرائية: شرعية، لغوية، تاريخية، أدبية).

وقد أُفردت هذه المسألة من عموم البحث ؛ لتشعبه، وكونها هي المقصود الأساس، وهي فيه في المبحث التاسع: طريقة نطقه وضبطه، والتأصيل له. وفيه ثلاثة مطالب.

وقد جعل هذا البحث على ثلاثة أقسام رئيسة:

١- المقدمة.

٢- مطالب البحث.

٣- الخاتمة.

وبالله التوفيق ومنه التسديد.

القسم الأول : المقدمة

وفيها ثلاثة مطالب:

١- أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

٢- الدراسات السابقة.

٣- خُطَّة البحث.

المطلب الأول
أهمية الموضوع، وأسباب اختياره

تتجلى أهمية موضوع البحث، وأسباب البحث فيه في عدة أمور، منها:

١- صلته باللغات وتاريخها ؛ لكون الاسم في الأصل فارسيًا، ثم دخل في اللغة العربية واشتهر وانتشر، وغيرت العربُ في ضبط الكلمة عما كانت عليه ؛ لتتفق مع أوزان لسانهم وسَنَنهم في كلامهم.

٢- تعلقه بأسماء وتراجم جملة من مشاهير الأعلام، من مختلف العلوم، وعلى رأسهم: سيبويه (إمام النحاة)، وإسحاق ابن راهويه (من أئمة الحديث والفقه)، وغيرهم كثير.

٣- خلو كتب اللغة والنحو من بحث المسألة (طريقة النطق، وكيفية الضبط)، بل خلت حتى من مجرد الإشارة إليها، ولو عرَضًا، مما يزيد العبء في بحثها.

٤- حصول الخلاف في طريقة ضبطه ونطقه بين النحويين واللغويين، وبين بعض المحدِّثين، ولكلٍّ من الفريقين دليله، وحجته. وقد أصبحت طريقة نطقها عند كلٍّ من الفريقين شعارًا عليهم. وبقية أرباب العلوم تابعون لهم في هذا، ولا سيما اللغويين.

وهي من المسائل الغريبة ؛ لتدخل بعض المحدِّثين في مسألة لغوية، بنظرة شرعية، مع اختلاف الجهة بين العلمين وانفكاكها. وعلى هذا يُمكن عدُّها – على صغر حجمها – من المسائل الخلافية المشتركة بين علم اللغة وعلم الحديث. ولا يزال الخلاف بين الطائفتين مستمرًا إلى يوم الناس هذا، مما يوجب ضرورةَ بيانه، أو الفصل فيه.

وبما أن الخلاف في المسألة قوي ومعتبر، ولكلِّ فريق حجته وبرهانه، فإنه ينبغي النظر فيه ؛ لتحقيق القول فيه، والتوصل للراجح منهما بدليله، وهذا عكس الخلاف الضعيف الذي لا يُلتفت إليه، ولا يعوَّل عليه.

فليس كلُّ خلافٍ جاء معتبرا إلا خلافٌ له حظٌّ من النظرِ

المطلب الثاني
الدراسات السابقة

لم أقف - بعد البحث والتحري - على بحث - أو دراسة، أو كتاب - يتعلق بموضوع ما خُتم بويه، لا من حيث التأصيلُ والتنظير، ولا من حيث التفريع، فضلاً عن المسألة موضوع البحث طريقة ضبطه ونطقه ؛ ولعل مرد ذلك لصغر حجم الموضوع (نسبيًا)، ولا سيما حين يُنظر له من حيثية واحدة.

ويوجد بحث مفرد موجز بعنوان: (الأسماء المركَّبة: أنواعها وإعرابها .. دراسة نحوية)، تأليف: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله

الحميدي[١]. وهو يتعلق بالأسماء المركَّبة عمومًا، بما فيها الأعلام المركَّبة بأقسامها الثلاثة، والتي تعد هذه المسألة جزءًا من مباحث النوع الثاني، من القسم الثالث منه.

ولم يتعرض للمسألة (موضوع البحث) لا من قريب ولا من بعيد.

بل إن كتب اللغة، والنحو لا تفردها بالبحث، بل ولا تتعرض لها ! وإنما يأتي الكلام عنها عرضًا في كتب التاريخ، والتراجم، وأصول الحديث.

وتوجد معلومات كثيرة وثرية تتصل بموضوع البحث عمومًا، من عدة نواحٍ، سواء في ذلك المباحث اللغوية، أو النحوية، أو التاريخية، أو غيرها.

المطلب الثالث
خـطَّــــة البحث

وقد تمّ تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول : المقدِّمة.

وفيها ثلاثة مطالب:

---

(١) نشر في مجلة الدرعية [العدد: ٢٩]، وهو - أيضًا - منشور على الشبكة العالمية، في موقع الألوكة العلمي، بإشراف د. سعد بن عبد الله الحمِيد.
رابط الموضوع: http://www.alukah.net/Literature_Language/0/5481/

المطلب الأول: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

المطلب الثاني: الدراسات السابقة.

المطلب الثالث: خُطة البحث.

القسم الثاني : مطالب البحث.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه الاتفاق في نطق الحرفين في أوله.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في كيفية نطق التركيب.

المطلب الثالث: الترجيح في كيفية نطقه، وأوجه الرّجحان.

القسم الثالث : الخاتمة.

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خلاصة البحث.

المطلب الثاني: أهم نتائج البحث.

المطلب الثالث: أهم توصيات البحث، ومقترحاته.

القسم الثاني: مطالب البحث

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه الاتفاق في نطق الحرفين في أوله.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في كيفية نطق التركيب.

المطلب الثالث: الترجيح في كيفية نطقه، وأوجه الرّجحان.

المطلب الأول
أوجه الاتفاق في نطق الحرفين في أوله

وقد حصل الاتفاق في نطق الحرفين الأولين في صدر التركيب:

أما الحرف الأول: فكل اسم بحسب ما هو عليه، سواء بدئ بالكسر كـ: سِيْبَويه، ونِفْطَويه، أو بدئ بالفتح، كـ: رَاهَويه، وخَالَويه.

وأما الحرف الثاني: فساكن في الجميع بكل حال.

تنبيه : أما حرف الهاء في آخره، فمختلف فيه على قولين :

الأول: أنه يُنطق بالسكون بكل حال، حتى في حال الوصل ودرج الكلام، وهو مذهب بعض المحدثين المخالفين في طريقة نطقه.

الثاني: أنه يُبنى على الكسر بكل حال، وهو قول اللغويين والنحويين.

والخلاف في ضبط الحرف الأخير مبني على الخلاف في طريقة ضبط العلم ونطقه.

المطلب الثاني
اختلاف العلماء في كيفية نطق التركيب

للعلماء مذهبان في طريقة نطق ما آخره لفظ: (ويه) في وسط الكلمة، وحرف قبلها:

المذهب الأول : مذهب اللغويين، والنحويين.

أ- طريقة النطق عندهم: (سِيبَوَيْهِ) – بفتح الباء الموحدة التحتية، والواو، وإسكان الياء المثناة التحتية، وبكسر الهاء المهملة في آخره -.

ب- نسبة القول:

نسب هذا القول للغويين جماعة من الأعلام، منهم:

١- ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦) - رحمه الله تعالى - في معجم الأدباء.

٢- المؤرخ ابن خلِّكانَ (ت: ٦٨١)، قال - رحمه الله تعالى -: «وسيبويه: بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء ألبتة. وهو لقب فارسي، معناه بالعربية رائحة التفاح. هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره، مثل: نفطويه، وعمرويه وغيرهما. والعجم يقولون: (سيبويه) بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة بعدها؛ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة "ويه"؛ لأنها للنُّدبة ..»(١).

٣- الرحَّالة الأندلسي ابن رشيد (ت: ٧٢١) في رحلته.

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -: «وفي فوائد رحلة ابن رشيد: مذهب النحاة في هذا وفي نظائره: فتح الواو وما قبلها وسكون الياء ثم هاء، والمحدثون ينحون به نحو الفارسية، فيقولون هو بضم ما

(١) وفيات الأعيان (٣/٤٦٥).

قبل الواو وسكونها وفتح الياء وإسكان الهاء، فهي هاء على كل حال، والتاء خطأ»[(١)].

ت - دليهم وتعليلهم: الأصل اللغوي، وهو أن العرب تتصرف فيما تنقله عن لغة العجم، فتغيِّر في لفظه، وتخضعه لأوزان كلام العرب، سواء كان من أسماء الأشخاص والذوات، أو الأماكن، والآلات، ولا سيما مع اختلاف جملة من الحروف في اللغات، كالضاد، والصاد، والقاف، ونحوها.

ومن أقرب الأمثلة: أسماء الأنبياء في اللغة العربية وغيرها، كموسى، يقال له في العبرية: موشيه، وعيسى: يسوع، وفي الإنجليزية المعاصرة: جِيْسِس، ويحيى، يقال له: يوحنَّا[(٢)]، وداوود، يقال له في العبرية: داويد، وفي العبرية الحديثة: دافيد، ويقال ليوسف: جوزيف في اللغة الإنجليزية (أمريكا، وأوربا)، وخوسيه باللاتيني (الأسبان، ودول أمريكا الجنوبية)، ونحوها.

وقد استخدموا كلمة (وَيْهِ) التي هي اسم من أسماء الصوت، وقاسوا الأسماء عليها.

وهذا التقرير قيل بناء على ما حكاه بعضهم: أن العجم ينطقونها (سيْبُويَه) - كما ينطقها المحدِّثون -، ويوجد شكٌّ في هذا، ولا يُسلَّم، وإنما قيل من باب التنزل.

---

(١) تدريب الراوي (١/٣٣٨). وينظر: الرحلة ابن رشيد، المسماة (ملء العيبة فيما جُمع بطول الغَيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة).

(٢) ألف جمال الدين شرقاوي كتابًا بعنوان (يحيى أم يوحنا ؟!).

ومما يزيد الشك في النقل: أنهم يُطلقون الاسم المفرد (بُوَيَه) ويضبطونها بهذا اللفظ - كما ينطقها اللغويون -، ويقال في النسبة إليهم البويهيون، بلا خلاف في الوجهين.

المذهب الثاني : مذهب المحدثين.

أ- طريقة النطق: (سِيبُوْيَهْ) - بضم الباء الموحدة التحتية، وسكون الواو، وفتح الياء المثناة التحتية، وسكون الهاء المهملة -.

ب- نسبة القول:

نسب هذا القول للمحدثين جماعة، منهم:

١- ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦) في معجم الأدباء.

٢- الرحَّالة ابن رشيد (ت: ٧٢١) في رحلته.

٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢).

٤- الحافظ الموسوعي السيوطي (ت: ٩١١)[١].

ت- دليلهم وتعليلهم.

دليلهم مبني على أصلين:

الأصل الأول : الأصل اللغوي.

وهو: أن أصلها كذلك في اللغة الفارسية، فتُنطَق بناء على الأصل؛ لأنه لا يوجد مقتضٍ للتغيير، ولا موجب للتحوير.

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، في ترجمة نفطويه (١/٤٢٨).

وقد قرر أن هذا أصل نطق الفرس جماعة من الأعلام، منهم:

١- العلامة المؤرخ ابن خلِّكانَ (ت: ٦٨١)[1].

٢- الرحَّالة ابن رشيد (ت: ٧٢١).

الأصل الثاني: النظر الشرعي، (وهو ضعيف).

ومرده لأمرين (وبينهما ارتباط):

الأمر الأول: ما فيه من ختم الكلمة بلفظٍ مستكرَه، وهو (ويه)، وهي لفظ أو صوت يُستعمل للنُّدبة، والتوجُّع، وهي من الأمور المذمومة.

ولذا قال بعض المشايخ: ويه من الشيطان، يعني مثل: (لو، من عمل الشيطان).

لكن قد يورد على هذا: أنه نوع من التشاؤم بالأسماء، والتشاؤم منهي عنه شرعًا.

ويجاب: أن المقصود كون هذا اللفظ (ويه) المختومة به هذه الأعلام يتوافق في اللفظ مع اسم الصوت (ويه)، ويُستعمل: للصراخ على الميت.

وقد أتى الشرع بالنهي عن استعمال الألفاظ المشتركة المحتملة المعنى، والمشابهة للمذموم، وإن كانت في أصلها لا محذور فيها،

(١) وفيات الأعيان (٣/٤٦٥).

فتمنع للمشابهة والمشاكلة، كالنهي عن استعمال لفظ (راعنا) لاحتمالها الذم، كما في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ [البقرة].

الأمر الثاني: ما روي أن: (وَيْه) اسم من أسماء الشيطان.

وقد وردت فيه أحاديث مرفوعة لا تصح، وبعض الآثار الموقوفة على بعض الصحابة، أو المقطوعة عن بعض التابعين.

ويمكن تقسيم الأخبار في هذا المقام إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الحديث المرفوع إلى النبيّ ﷺ.

النوع الثاني: الآثار الموقوفة على بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

النوع الثالث: الآثار المقطوعة على بعض التابعين وأتباعهم - رحمهم الله تعالى -.

وبيانها فيما يلي:

النوع الأول

الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ.

وهو من الأحاديث المشتهرة شهرة نسبية: على ألسنة علماء الحديث بعد القرن الثالث.

أ- لفظ الخبر: ويه اسم الشيطان.

ب- مصدره: لم أقف - بعد البحث والتحري - على مصدر هذا الحديث في كتب الحديث، لا العامة كـ: الصِّحاح، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، ولا المفردة في بعض أنواع علوم الأحاديث، كالمفردة في الأحاديث الموضوعة، والأحاديث المشتهرة، وغيرها.

وقد أشار الحافظ السيوطي (ت:٩١١) - رحمه الله تعالى - لكونه ورد حديثًا، فقال: «وهذا اصطلاح للمحدثين في كل اسم بهذه الصفة .. وإنما عدلوا إلى ذلك بحديث ورد أن: (ويه اسم شيطان)، فعدلوا عنه؛ كراهة له»[1].

وقد عقب عليه الشيخ إسماعيل العجلوني (ت: ١١٦٢) - رحمه الله تعالى - بقوله: «فيؤخذ منه أنه حديث عن النبي ﷺ. فليُتأمل»[2].

فتعقبه شيخنا الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩) - رحمه الله تعالى -، بقوله عن كلام السيوطي: «ولا يُفهم من هذا الصنيع صحة رفع ذلك إلى النبي ﷺ - كما فهمه العجلوني في كشف الخفاء - لكن هذا العدول إنما كان للهرب من أمر شاع بين الناس»[3].

وهو أن (ويه) اسم شيطان، والأشبه كونه هو من خرافات العامة وأساطيرهم.

ت- درجته: نص جماعة من المحدثين على بطلان نسبة هذا الحديث مرفوعًا، وهو من الأحاديث الموضوعة، بل لا أصل له، ولا يوجد له سند في كتب الحديث (كما سبق).

---

(١) بغية الوعاة (٤٢٨/١).

(٢) كشف الخفا ومزيل الإلباس: [رقم: ٢٩٢٤]، (٣٤٠/٢).

(٣) تمييز الطيب من الخبيث (ص: ١٨٣)، ووقع سقط في الطبعة الخانجي [عام: ١٣٢٤]، (ص: ٢٣١)، بلفظ: (و اسم شيطان، يروى من قول ....).

وممن انتهج هذا النهج:

- الحافظ السخاوي، واقتصر على نسبته لابن عمر موقوفًا، ولإبراهيم النخعي مقطوعًا، مما يدل على أنه لا أصل له عنده مرفوعًا [١].

تنبيهان:

التنبيه الأول: أن هذا التعقيب متعقَّب - أيضًا -؛ لأن كلامَ العجلوني كان عن تقرير نوع الحديث، وهو أنه حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، وليس موقوفًا، كما يُفهم من إطلاق الحافظ السيوطي - رحمه الله - عليه مصطلح «الحديث»، ولم يكن كلام العجلوني عن رتبة الحديث أو صحته، فلا وجه للاعتراض عليه بقول: «ولا يُفهم من هذا الصنيع صحة رفع ذلك إلى النبيﷺ، كما فهمه العجلوني»، فهو لم يقل بصحته، ولا بصحة رفعه، وإنما تكلم عن نوعه، فلا إشكال. رحمة الله عليهم جميعًا.

التنبيه الثاني: قد يُفهم من كلام الشيخ بكر – رحمه الله - في المعجم: أن الشيخ ابن الدِّيبع الشيباني هو الذي تعقب العجلوني، ونص كلامه: «ولا يُفهم من هذا الصنيع صحة رفع ذلك إلى النبي ﷺ - كما فهمه العجلوني في كشف الخفاء - لكن هذا العدول إنما كان للهرب من أمر شاع بين الناس. انتهى بواسطة (تمييز الطيب من الخبيث)».

وهذا المعنى المتبادر غير ممكن، أو غير مراد، ولعله وهم؛ لأن ابن الدِّيبع (ت: ٩٤٤) سابق على العجلوني (ت: ١١٦٢) بأكثر من قرنين،

(١) المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة: [رقم: ١٢٧٣]، (ص: ٧٠٨).

وهو من تلامذة السخاوي (صاحب المقاصد) (ت: ٩٠٢) - رحمة الله عليهم أجمعين -، وكتاب ابن الدِّيبع واحد من مختصرات «المقاصد» السبعة، ثم إن كلامه عن الحديث مختصر جدًا في أقل من سطر(١).

النوع الثاني

الآثار الموقوفة على بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وفيه أثران موقوفان:

الأثر الأول: عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أ- لفظه: قال: «ويه اسم شيطان».

ب- مصدره: لم أقف على مخرج لهذا الأثر.

وممن أورده وذكره:

- الشيخ الملا علي القاري.

- وعنه العجلوني(٢).

ت- درجته: أورده بعض المحدثين بصيغة التمريض والتضعيف: (يُروى)، مما يدل على تضعيفه عنده، وممن فعل ذلك الشيخ الملا علي القاري، فيما نقل عنه العجلوني(٣).

---

(١) تمييز الطيب من الخبيث (ص: ١٨٣). ووقع سقط في طبعة الخانجي [عام: ١٣٢٤]، (ص: ٢٣١)، وفي طبعة دار الكتاب العربي [عام: ١٤٠٥]،(ص: ١٨٨)، بلفظ: «و[يه] اسم شيطان، يروى من قول ابن عمر، وإبراهيم النخعي» اهـ، في الطبعتين بدون ما بين المعقوفين، وهي محل الشاهد!

(٢) كشف الخفا [رقم: ٢٩٢٤]، (٢/٣٤٠).

(٣) المصدر السابق، الموضع نفسه.

الأثر الثاني : عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :

أ- لفظه: «ويه اسم شيطان».

ب- مصدره: أخرجه أبو عمرو النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين.

وممن أورده وذكره:

- الحافظ السخاوي [١].

- والحافظ السيوطي [٢].

النوع الثالث

الآثار المقطوعة على بعض التابعين وأتباعهم - رحمهم الله تعالى -

وفيه أثران مقطوعان:

الأثر الأول : عن إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى -.

أ- لفظه: قال: ويه اسم شيطان.

ب- وممن أورده وذكره:

- الحافظ السخاوي [٣].

- محمد بن درويش الحوت في أسنى المطالب [٤].

(١) المقاصد الحسنة [رقم: ١٢٧٣]، (ص: ٧٠٨).
(٢) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ٢١).
(٣) المقاصد الحسنة [رقم: ١٢٧٣]، (ص: ٧٠٨).
(٤) أحاديث مختلفة المراتب [رقم: ١٦٥٢]، (ص: ٣١٣).

جـ- درجته:

أورده بعض المحدثين بصيغة التمريض والتضعيف: (يُروى)، مما يدل على تضعيفه عنده، وممن فعل ذلك الشيخ الملا علي القاري، فيما نقل عنه العجلوني [١].

الأثر الثاني : عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - :

أ- لفظه: أنه كره كلَّ شيء يكون آخره ويه.

ب- مصدره: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف:

وممن أورده وذكره: الحافظ السيوطي [٢].

ت- درجته:

* وممن قال بمضمون هذه الأخبار:

١- الحافظ أبو العلاء العطار.

قال الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى -: «وفي فوائد رحلة ابن رشيد: مذهب النحاة في هذا وفي نظائره: فتح الواو وما قبلها وسكون الياء ثم هاء، والمحدثون ينحون به نحو الفارسية، فيقولون هو بضم ما قبل الواو وسكونها وفتح الياء وإسكان الهاء، فهي هاء على كل حال، والتاء خطأ، قال: وكان الحافظ أبو العلاء العطاء يقول: أهل الحديث

(١) كشف الخفا [رقم: ٢٩٢٤]، (٢/٣٤٠).
(٢) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ٢١).

لا يحبون ويه، قال شيخ الإسلام: ولهم في ذلك سلف، رويناه في كتاب (معاشرة الأهلين): عن أبي عمرو عن إبراهيم النخعي: أن ويه اسم شيطان. قلت: ذكر ياقوت في (معجم الأدباء) نحو ما ذكره ابن رشيد، وقال: قد صيره ابن بسام بسكون الواو وفتح الياء، فقال في نفطويه:

رأيت في النوم أبي آدما ... صلى عليه الله ذو الفضل

فقال أبلغ ولدي كلهم ... من كان في حزن وفي سهل

بأنّ حوّا أمَّهم طالقٌ ... إن كان نفطُويةَ من نسلي»[(١)]

٢- السيوطي - رحمه الله تعالى -، قال في (بغية الوعاة) في ترجمة نفطويه: وهذا اصطلاح للمحدثين في كل اسم بهذه الصفة، قال: وإنما عدلوا إلى ذلك بحديث ورد أن " ويه " اسم شيطان، فعدلوا عنه كراهة له[(٢)].

٣- الشيخ الملا علي القاري، قال: يروى من قول عمر وإبراهيم النخعي فعلى هذا يكره التسمية بنحو سيبويه ونفطويه[(٣)].

تنبيهان :

التنبيه الأول : عن تحقيق مذهب المحدثين في المسألة.

والظاهر: أنه لا يمكن التعميم في نسبة هذا القول بإطلاقه لعموم المحدثين.

(١) تدريب الراوي (١/٣٣٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٢٢). وينظر: الرحلة ابن رشيد، المسماة: ملء العيبة فيما جُمع بطول الغَيبة فق الرحلة إلى مكة وطيبة.
(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا [رقم: ٢٩٢٤]، (٢/٣٤٠).
(٣) المصدر نفسه.

ويمكن أن يقال: إن لهم في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: كراهة ذلك بإطلاق، وهو المشهور عنهم من الناحية النظرية، كما حكاه عن المحدثين عمومًا: الحافظ أبو العلاء[١]، وابن رشيد الرحّالة، والحافظ ابن حجر، والسيوطي[٢].

القول الثاني: التفصيل والتفريق بين الأعلام المختومة بويه في النطق، ونسبه الحافظ المزي للمحدثين.

قال الحافظ جمال الدين المزّي (ت: ٧٤٢) – رحمه الله تعالى -: «غالب ما عند المحدّثين (فعلويه) - بضم ما قبل الواو - إلاّ (راهويه)، فالأغلب فيه عندهم فتح ما قبل الواو. وفي (نفطويه) الوجهان، والآكد الفتح»[٣].

القول الثالث: من المحدثين قديمًا وحديثًا من مشى على مذهب اللغويين، بل منهم من أيده ونصره.

ولا يصح تعميم نسبة هذا القول للمحدثين، وإن كان مشتهرًا عندهم، والمحدثون عبر القرون قد يصلون إلى مئات الآلاف، وقد أدرك الناس جماعة من المحدثين في عصرنا هذا وغيره، ولا يُعرف عنهم النطق به بغير الطريقة المألوفة، ومجرد حكايته عن بعض المحدثين لا يقتضي موافقة غيرهم، ولا سيما أن أكثرهم قد لا يكون تعرض له تأصيلاً بالكلية.

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/١٢٩- ١٣١).
(٢) الوافي بالوفيات (٢/٢٦٥)، ولسان الميزان (:)، بغية الوعاة (١/٤٢٨).
(٣) تهذيب الكمال، للجمال المزي (١/ ١٧٦).
وينظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح، للزركشي (١/ ١٢٩- ١٣١).

بل صرح جماعة من محققي المحدِّثين بترجيح مذهب اللغويين في نطقه، ومنهم شيخنا العلامة: أ د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الإمام).

التنبيه الثاني: قال العلامة الصفدي (ت: ٧٦٤) - رحمه الله تعالى: «قال ياقوت في معجم الأدباء: وقد صيره ابن بسام نفطُوْيَه بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء، فقال:

رأيت في النوم أبي آدمًا صلى عليه الله ذو الفضل
فقال أبلغ ولدي كلهم من كان في حزن وفي سهل
بأن حوا أمَّهم طالقٌ إن كان نفطويةَ من نسلي

انتهى كلام ياقوت رحمه الله. استغرب ما وقع من ابن بسام، وهذه عادة المحدثين فإنهم لا ينطقون بهذه الأسماء التي أخراها ويه إلا على هذه الصيغة، - ما خلا إسحاق بن راهويه فإنهم لا يقولون إلا إسحاق بن راهويه - بفتح الواو وسكون الياء، على أنه اسم صوت، فرأوا التجنب من التلفظ بلفظة ويه، فيقولون: سيبويه، وحمويه، وزنجويه، ودرستويه»[١].

وكلامه ملتبس، ولا وجه لاستثناء راهويه.

وقد وقع ابن بسام في ثلاث ضرورات ؛ ولجأ إليها حفاظًا على الوزن، وهي:

- نطقه بطريق المحدِّثين، مع كون الشعراء في نطق الألفاظ تبعًا للغويين.

(١) الوافي بالوفيات (٢: ٢٦٥).

٢- جعله بالتاء المربوطة، وهذه ضرورة ثانية.

٣- بناؤه على الفتح على التاء المربوطة، وهذه ضرورة ثالثة !

على أنه لم يوافق في نطقه موافقة كاملة لا للغويين ولا للمحدثين؛ لأن اللغويين يبنونه على الكسر، أو يعربونه إعراب ما لا ينصرف، والمحدثين يبنونه على السكون، وجميعهم ينطقونه بالهاء المهملة.

المطلب الثالث
الترجيح في كيفية نطقه، وأوجه الرجحان

الذي يظهر في الأصل جواز الأمرين.

ويوجد تقارب بين دليلي الفريقين من حيث الأصل اللغوي.

لكن الأقوى من حيث الدليل: اختيار اللغويين في النطق، ولا سيما أن القضية لغوية، والأصل تقديم أهل كل اختصاص في فنهم.

وإن لم يكن ذلك على إطلاقه ؛ لأن أكثر أرباب العلوم مقلدون: يسيرون في ركاب سالفيهم، وكأنهم نسخ مكررة لكتابٍ واحد، وأهل التحقيق قليل - أو نادر- في العلوم كلها، وفي العصور جميعها ؛ ولذا قد يأتي تصويب بعض قضايا العلوم من غير أهلها، كما يصوب البلاغيون بعض مسائل النحو أو اللغة، بناء على الاستقراء لفروع التأصيل اللغوي المشترك بينهما، وكما يصحح المناطقة بعض مسائل الأصول، وكما يصحح الأصوليون بعض مسائل مصطلح الحديث، وهكذا.

ومن المسلَّمات والبدهيات الأولية: أن العلوم ناقصة في ذاتها وليست كاملة، بل إن العلوم جميعًا تبدأ صغيرةً ثم تكبَر، وقليلةً ثم تكثُر ؛ والسبب في ذلك: أن العلوم جميعها من المدركات النظرية: المكتسبة بطريق النظر والاستدلال، وليست من الأمور الضرورية التي تُدرك بأول وهلة، بل تأتي بطريقة تراكمية، واستدلالية ؛ ولذا يأتي كل جيل بزيادة على الجيل السابق، سواء في الجوهر والمعنى والمضمون، أو في الشكل والقالَب، وهو يختلف بحسب العلوم، والأعصار، بين زيادة ونقص، أو ارتفاع وانحطاط.

ومعلوم: أن جميع العلوم والفنون مبنية على الاستقراء (١)، سواء في أصولها وقواعدها النظرية، أو في فروعها (وتطبيقاتها) الجزئية، وذلك: بالانتقال من مفردات العلم الجزئية للوصول إلى الأصول الجامعة والقواعد الكلية، سواء علوم الشريعة الأصلية المقصودة، أو علوم الآلة الخادمة، أو غيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية.

وإذا لم يتحقق لآحاد العلوم الكمالُ في ذاتها فلا أقل من تحقق التكامل لها بالعلوم الأخرى ؛ ولعل مثل ذلك مما يدخل تحت قاعدة الإمام الحجة: الشافعي - رضي الله عنه، وأرضاه - في الأثر السائر المنسوب له، بقوله: «العلم رحمٌ بين أهله».

والنقد من غير أرباب العلوم (المؤهلين في التأصيل العلمي) هو الذي يُسمّى في البرمجة العقلية العصبية: النقد من الخارج، أو من خارج

---

(١) والاستقراء دليل من أدلة الفقه الإجمالية المختلف فيها، وهي نحو عشرين دليلاً، وفيه كتب ورسائل مفردة.

الذات، وكثيرًا ما يكون سديدًا ؛ لأن الناقد بصير عمومًا، ولأن النقد يكون متوجهًا - أو مركزًا - على جانبٍ معين قد يكون مغفَلاً في هذا العلم، أو ذلك الفن.

ولأن أرباب العلم الواحد جرى أكثرهم على تقديس أئمتهم، وتعظيم سالفيهم، وكذا مجاملة معاصريهم، أو تحاشيهم؛ خوفًا من التشنيع عليهم، أو التأليب عليهم (إسقاطهم - كما يقال في المصطلح العصري- ويقال له: إسقاط الرموز، أو حرب النجوم !!) ؛ لأجل ذلك كله قلَّ - بل ندر - انتقاد ونقد أرباب العلوم لبعضهم، ومشى كثيرٌ منهم على سلوك منهج السلامة، والبعد عن التوجيه فضلاً عن المواجهة.

ولا يكاد يوجد النقد بين أرباب العلم الواحد إلا إذا اختلفت مدارسه، حتى أصبح كأنه عدة علوم مختلفة، كعلم الفقه بين أرباب المذاهب المتبوعة الثمانية (الخمسة السنية، والثلاثة من غيرهم)، وكالمدارس النحوية المتقدمة (الكوفة، والبصرة)، أو المتأخرة (الأندلسية، والمصرية).

وعلى كلٍّ: فلا شك أن الأصل والغالب تقديم قول أرباب العلوم في قضاياها، كما في هذه المسألة ؛ لأنهم أدرى بها. ومعلوم أن الاعتداد إنما هو بالكثير الغالب، ولا عبرة [!] بالقليل النادر، والحكم إنما يعلَّق ويُناط بالغالب، والنادر - أو الشاذ - لا حكم له. ولذا يقدَّم - غالبًا - صاحبُ العلم الواحد على صاحب العلوم، وهو ما يقتضيه التخصص في العلوم، كما تقرره مناهج البحث.

والحاصل: أن الراجح هو مذهب اللغويين ؛ لعدة وجوه - إضافة لما سبق -، منها:

الوجه الأول: قوة دليلهم، مع ضعف دليل مخالفيهم، مقارنة بدليلهم.

ودليل اللغويين: أن عادة العرب وقاعدتهم: إخضاع المعرَّب من ألفاظ غيرهم لسَنَن العرب في كلامهم، ومن ذلك الأسماء ، سواء: أسماء الذوات والأعلام، أو المواضع والأماكن، أو الآت، وغيرها، ولا وجود لمثل هذا الوزن (بُوْيَهْ) في لسان العرب، فكان لزامًا أن يخضع لأوزان العرب في كلامها، وتسري عليه قواعدها وسَنَنُها.

وقد استدل المخالفون للغويين (بعض المحدثين) بدليلين، وبيان بطلانها - موجزًا - فيما يلي:

أن الأول: وإن كان مسلَّمًا من حيث الأصل، لكنه لا يلزم في هذا التركيب - أو الوزن - لأمرين:

١- أن هذا الأصل جوازي، وليس مطردًا ولازمًا في كل الألفاظ المعرَّبة، ولهذا نظائر كثيرة مما لهجت به العرب، وأبقته على أصله، من أسماء الذوات والأشخاص، أو المواضع والأماكن والبلدان، أو المعاني، أو أسماء الآلات.

٢- أن العرب إنما تتصرف في وزن اللفظ العجمي ليوافق أوزان لسان العرب لسبب وعلة، وليس اعتباطًا وتحكمًا، فتغيره لثقله وطلب تخفيفه، أو لكونه لا يوافق أوزان العرب، فتُخضعه لها.

وأما الثاني: فالأخبار والآثار الواردة فيه باطلة، ولا ثبت من حيث السند، بأنواعها الثلاثة: لا المرفوعة إلى النبي ﷺ، ولا الموقوفة على الصحابي، ولا المقطوعة على التابعي.

والذي يظهر: أن مذهب المحدثين - في الغالب - مبني على هذا الخبر الباطل، واعتمادهم على الأصل اللغوي الفارسي إنما أتى تبعًا؛ لأن أغلبهم - والحكم له - قد يجهلون أصلاً اللغة الفارسية، فاعتمادهم الأساس على الخبر الباطل، وما بُني على باطلٍ فهو مثله، بل قد يكون بطلان الفرع - في مثل هذا - أشدَّ.

الوجه الثاني: كونهم أهل الاختصاص في هذا الشأن ؛ لأن المسألة لغوية.

ولذا رجّح الشيخ عبد الكريم بن عبد الله الخضير (أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الإمام) مذهبَ اللغويين، مع كونه من كبار علماء الحديث في زماننا.

قال - حفظه الله تعالى، ونفع به - في (شرح الموطأ): «أهل الحديث يقولون: إسحاق بن راهويه، ويتحاشون النطق بـ (ويه)، ويزعمون أنه من أسماء الشيطان، ويذكر فيه حديث لكنه لا أصل له، والصواب: أن نطقه على الجادَّة، كما يقال: سيبويه ونفطويه، يقال: راهويه».

الوجه الثالث: أنه يلزم على قول المحدثين: كراهة كل لفظ مختوم بويه، ومن ذلك لفظ (أبويه)، و (أخويه)، ونحوهما - مثنى أب، وأخ - ولا قائل به !!

الوجه الرابع: أن استعمال (ويه) للندبة لا يلتفت إليه ولا يُعتمد عليه في تقرير الأمور العلمية عمومًا، فضلاً عن خصوص الأحكام الشرعية ؛ لأنه ليس إطلاقًا معجميًا في لسان العرب، بل هو دخيل عليها أو مولَّد فيها، وكذا لعل استعماله - بهذا المعنى - في لغة الفرس من الاستعمال العامي الدارج، وليس من أصل لغتها المعجمية المدونة.

قال العلامة عبد السلام هارون (ت: ١٤٠٨) - رحمه الله تعالى -: «وهذه الأعلام تُنطق جميعًا بفتح الواو وسكون الياء. وقد عقد السيوطي في خاتمة بغية الوعاة فصلاً لمن آخر اسمه «ويه». لكن جاء في (وفيات الأعيان) في خاتمة ترجمة سيبويه: «والعجم يقولون سيبويه بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ؛ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة «ويه»؛ لأنها للنُّدبة. وزعمه أن «ويه» تكون للندبة ليس معنىً معجميًا، إنما هو استعمال عاميٌّ، والمعروف في «ويه» أنها كلمة إغراء واستحثاث، كما في (اللسان، والقاموس). تقول وَيْه، للإغراء، ومنهم من يقول: ويهًا للواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث. قال الكميت:

وجاءت حوادث في مثلها   يقال لمثليَ ويهًا فُلُ

وأما ما يستعمل في التفجيع فقولهم: واهًا، وواهَ أيضًا، كما في اللسان عن ابن بري»[١].

الوجه الخامس: أن أصل اشتراك اللفظين - فأكثر - (بين الحسن والسيئ) لا يقتضي حظر استعماله بالكلية، ما لم توجد قرينة حالية أو

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه - تقديم (١/٥).

مقالية تستدعي حظره - ولو مؤقتًا -، كلفظ: (راعنا) وغاية ما يُمكن أن يُقال عن لفظ ويه – ولو من باب التنزل -: إنها من المشترك اللفظي، فتُطلق في لغة الفرس على عدة معانٍ، منها الرائحة، والنُّدبة، والتشبيه، والتدليل، والنِّسبة. ولا يتعين المراد منها بالندبة، فلا وجه لحظرها؛ لعدم حصرها.

الوجه السادس: أن قاعدتهم مضطربة، وليست مطَّردة. ومن أمثلة اطرابهم: الاسم المفرد (بُوَيْه) ولا أظنه يوجد خلاف - حتى من المحدثين - في طريقة نطقه، ومن باب أولى طريقة النِّسبة إليه، بل يُنسب له على اللفظ المشهور، فيُقال: (البُوَيْهي)، و(البُوَيْهِيون)، وفيها - أيضًا - لفظ (وَيْه)، المستكرهة عندهم.

ولو كانت قاعدتهم مطَّردة لقالوا: (البُوْيَهي)، و(البُوْيَهِيُّون) ! ولا قائل به.

وعدم اطراد قاعدتهم، يدل على اضطرابها، وضعفها.

ولا يُمكن اطراد قاعدتهم في الاسم المفرد (بُوَيْه)، وقد يطردونه فيه فيقولون: (بُوْيَه) ؛ لكن يلزمهم محذوران:

١- أنه خلاف ما يُنطق به حتى عند أهل فارس، كما يظهر، وإلا فكيف يُنسب إليه على طريقتهم؟!

٢- أن فيه اشتباهًا وخلطًا بالاسم الآخَر الذي يُنطق بلفظ (بُوْيَه).

ثم إن جماعة من المحدثين أنفسهم فرقوا بين اللفظين - أو الاسمين - في الضبط والنطق، وذكروهما في الكتب المفردة في علم «المؤتلِف

والمختلِف»(١)، وهو: اللفظ الذي تتفق صورته خطًا، وتختلف صيغته لفظًا، وهو من أهم وأدق أنواع علوم الحديث دراية (مصطلح - أو أصول - الحديث).

الوجه السابع: أن النطق باللفظ باللغة الفارسية أثناءَ الكلام العربي يعد من الركاكة في التركيب، ويكون اللفظ نشازًا الكلام، بخلاف ما لو كان هذا اللفظ في سياق كلام فارسي؛ لأنها لغته الأساس، وهذا كمن يتكلم بالعربية الفصحى ويُقحم كلماتٍ عاميةً أثناء حديثه، أو كمن يتحدث العربية ويخلطها بشيءٍ من اللغات الأخرى، كالإنجليزية.

وعلى كلٍّ: فيُمكن أن يقال: إن النطقين صحيحان من حيث الأصل، وكذا الإعرابين، كلٌّ باعتباره، لكن الأصح منهج اللغويين في النطق، وكذا مذهب النحاة - منهم - في الإعراب.

وإذا قيل الأصح فمعنى ذلك: أن الأخرى صحيحة، لكنها دونها في الرتبة؛ لأن التفضيل يدل على الاشتراك في الأصل، وزيادة.

---

(١) ينظر: المؤتلف والمختلف للدارقطني (١/٤٣)، والإكمال لابن ماكولا (١/٣٧١ - ٣٧٣)، وتوضيح المشتبه للحافظ (١/٣٢٣-٣٢٥).

القسم الثالث: الخاتمة:

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خلاصة البحث

المطلب الثاني: أهم نتائج البحث.

المطلب الثالث: أهم توصيات البحث، ومقترحاته.

المطلب الأول
خلاصة البحث

موضوع طريقة نطق العلَم المختوم بويه وضبطه، جُعل الكلام عنه في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه الاتفاق في نطق الحرفين في أوله.

المطلب الثاني: اختلاف العلماء في كيفية نطق التركيب.

ذُكر فيها الخلاف بين اللغويين، والمحدثين في نطق المختوم بويه، وأدلة كل فريق، مع مناقشتها.

المطلب الثالث: الترجيح في كيفية نطقه، وأوجه الرّجحان.

وقد أُورد فيه ثمانية أوجه لترجيح مذهب اللغويين في ضبطه.

المبحث العاشر: الطرائف والمُلح والنوادر (المتصلة بموضوع البحث).

وقد جُعل هذا المبحث كالختام لمطالب البحث، وجعل على مطلبين:

المطلب الأول: عن تقسيم العلم، والتأصيل لملَحه.

المطلب الثاني: عن الطرائف والملح المتصلة بموضوع البحث.

أُوردت فيه جملة من الفوائد والملح المنثورة، من بـاب الإحمـاض في العلم، كما كان عليه هدي السلف الصالح، ومنهج الأعلام السابقين.

المطلب الثاني
أهم نتائج البحث

١- أهمية موضوع البحث، وصلته باللغـات وتاريخهـا ؛ لأن أصـل هذا التركيب (المختوم بويه) فارسـي، ثم عـرب، أو تداولتـه العـرب، وكذا التسمية به فارسية، لكنها اشتهرت وكثرت في العصـر الإسـلامي، ولا سيما بين الفرس المسلمين، والأسماء الواردة على هذا التركيب نحو مئة علَم.

٢- تعلق موضوع البحث بأسماء وتراجم جملة من مشاهير الأعلام، من مختلف العلوم، ولا سيما اللغويين، وكذا المحدثين، وعلى رأسهم: سيبويه (إمام النحاة)، وإسحاق ابن راهويه (مـن كبـار أئمـة الحـديث والفقه)، ونِفْطويه (الإمام النحوي)، وابن مردويه (المحدِّث)، وابن خالويه (النحَوي)، وغيرهم.

٣- الذي يظهر: أنها من المشترك اللفظي (الـذي تعـددت معانيـه، واتحد لفظه)، فتُطلق في لغتـهم علـى عـدة معـانٍ، أهمهـا: الرائحـة، والنُّدبة، والتشبيه، والتدليل، والنِّسبة.

٤- لم أقف بالتحديد - بعد البحث والتحري – على أول مـن تكلـم عن الخلاف في نطق العلَم المركَّب المختوم بـ ويه.

والذي يظهر: أن تاريخ الخلاف في نطقه بين: المحدِّثين، واللغويين إنما حصل متأخرًا بعد القرون الثلاثة، أما مستند المنع من الأخبار - أو الآثار - فالأصل: أنها متقدِّمة على نشوء هذا الخلاف.

٥- تحقيق نسبة الخلاف الوارد بين اللغويين، وبعض المحدثين، وأن هذا المذهب منسوب لجماعة من المحدثين، ولا يصح تعميمه عليهم كلهم، مع ضعف مأخذهم ومستندهم، ولا سيما الأخبار الواردة في هذا الباب بأنواعها الثلاثة (المرفوع، والموقوف، والمقطوع).

٦- ترجيح مذهب اللغويين في طريقة نطقه وضبطه من وجوه متعددة، وقد ذُكر منها في هذا البحث سبعة أوجه.

٧- من ثمرات الخلاف بين الفريقين:

أ- الخلاف في إعرابه:

واللغويون لهم وجهان في إعرابه، أشهرها: البناء على الكسر بكل حال، وقيل: يعرب إعراب ما لا ينصرف.

وبناء على مذهب المحدثين - أو جمهورهم -: يبنى على السكون بكل حال.

ب- نطق الاسم المفرد، وقد تسمى جماعة من المحدِّثين بالاسم المفرد (بويه) على طريقة جمهور المحدثين في نطقها، فيقولون: بُوْيَه، وقد ذكر الحافظ: أن هذا الاسم - بهذا اللفظ -، إنما يوجد فِي المتأخرين بعد الثلاثمِئَة. وهو – فيما يظهر – من آثار الخلاف في هذه المسألة.

المطلب الثالث
أهم توصيات البحث، ومقترحاته

يمكن ذكر بعض المقترحات والتوصيات المرتبطة بموضوع البحث، ومن ذلك:

١- إعداد معجم شامل لجميع من أطلق عليه العلم المختوم بويه، أو تكملة وتتميم المعجم المضمن في هذا البحث، وهو – بوضعه الحالي - موجز جدًا، ولا سيما أنه كتب على عجالة، ولا يزال بحاجة لمزيد من البحث الجامع بين: التقصي والاستقراء، والتحقيق والتمحيص.

٢- دعوة المختصين في اللغة وعلومها لوضع شروط لغوية (معتدلة) للقياس على إطلاق هذا التركيب، إضافة للأسماء الواردة.

٣- النظر في قياس اشتقاق الصفات والألقاب (مدحًا، أو قدحًا) على وزان هذا التركيب.

تم بحمد الله، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

قائمة المصادر والمراجع

- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تـأليف: محمـد بـن درويش بن محمد الحـوت (ت: ١٢٧٧)، دار الكتـب العلميـة، لبنان - بيروت.

- الإكمال في رفع الارتياب عـن المؤتلـف والمختلـف في الأسمـاء والكنى والأنساب، تأليف: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (ت : ٤٧٥)، دار الكتـب العلميـة، لبنـان - بـيروت، الطبعـة الأولى، عام (١٤١١ هـ).

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: عبد الرحمن بـن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، جـلال الـدين، السـيوطي (ت : ٩١١)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم، المكتبـة العصـرية - لبنان/صيدا.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، جـلال الـدين، السـيوطي (ت : ٩١١)، تحقيـق : عبـد الوهـاب بـن عبـد اللطيـف، دار الكتـب العلمية، لبنان – بيروت، الطبعـة الثانيـة، عـام : (١٣٩٩ هــ = 1979 م) .

- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث، تأليف: عبد الرحمن بن علـي ابـن الـدِّيبع، الزبيـدي، الشـيباني، الشافعي (ت : ٩٤٤)، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، عام (١٤٠٥ هـ = 1985 م) .

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تأليف: محمد بن عبد الله بن محمد، شمس الدين، القيسي، الدمشقي، المعروف بـ ابن ناصر الدين (ت : ٨٤٢)، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، عام : (١٩٩٣م).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزيّ (ت : ٧٤٢)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى، عام (١٤٠٠ - ١٩٨٠).
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، جلال الدين، السيوطي (ت: ٩١١).
- طبقات المفسرين، تأليف : محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين، الداودي (ت: ٩٤٥)، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، (بدون رقم، ولا تاريخ) .
- الكتاب في النحو، تأليف: عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب بـ سيبويه (ت : ١٨٠)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان - بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: إسماعيل بن محمد العجلوني (ت : ١١٦٢)، دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
- لسان الميزان، تأليف : أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل، شهاب الدين، العسقلاني، الشافعي [الحافظ]، (ت : ٨٥٢)، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الاسلامية، سوريا - حلب.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، أبو الخير، شمس الدين، السخاوي (ت : ٩٠٢)، تحقيق : محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، عام (١٤٠٥ هـ = 1985م) .

- المؤتلف والمختلف، تأليف: علي بن عمر، أبو الحسن، الدارقطني، البغدادي (ت : ٣٠٦)، تحقيق: د. موفق بن عبد الله ابن عبد القادر، دار الغرب الإسلام .

- النكت على مقدمة ابن الصلاح، تأليف: محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر، أبو عبد الله، بدر الدين، الزركشي (ت: ٧٩٤)، تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، دار أضواء السلف، السعودية - الرياض، الطبعة الأولى، عام : (١٤١٩هـ = 1998م).

- الوافي بالوفيات، تأليف: خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين، الصفدي (ت : ٧٦٤)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى عام (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان، أبو العباس، شمس الدين (ت : ٦٨١)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، لبنان - بيروت، الطبعة الأولى، (طبع في سنوات متفاوتة).

السيرة العلمية:

أ.د. عبد الرحمن السليمان

- ماجستير في الفلسفة والأدب اليوناني (اليونان).
- ماجستير في اللغات والآداب السامية (بلجيكا).
- دكتوراه في الآداب: في إشكالية غريب التوراة في الترجمة والتفسير (بلجيكا).
- دكتوراه في علم الترجمة: في إشكالية التكافؤ الوظيفي عند ترجمة نصوص الأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية. مدونة الأسرة المغربية أنموذجا. (بلجيكا).
- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.
- يعمل حاليًا رئيس قسم اللغة العربية في كلية علوم اللغة التطبيقية، كلية الآداب، جامعة لوفان الكاثوليكية (بلجيكا).

تفكيك مصطلح العلمانية

أ.د. عبد الرحمن السليمان

تمهيد :

ترمي هذه المقالة إلى تفكيك مصطلح العلمانية في اللغة العربية والتأريخ له بتتبع مفاهيمه الأصلية في اللغات الغربية أولا، ثم برصد عملية إدخاله في العربية وتطوره وتطور مفاهيمه فيها ثانيا. ونستهل مقالتنا هذه بكلام للمرحوم عبدالوهاب المسيري من كتابه (العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة)[1]:

"توجد في المعجم العربي ترجمات مختلفة لكلمة "سيكولار" و"لائيك" [كذا، وفي الحقيقة للمصطلحين الإنكليزي secularism والفرنسي laïcité]:

١. "العِلمانية"(بكسر العين) نسبة إلى العِلم.

٢. "العَلمانية"(بفتح العين) نسبة إلى "العَلَم" بمعنى "العالم".

٣. "الدنيوية" أي الإيمان بأنها هي الحياة الدنيا ولا يوجد سواها.

٤. "الزمانية" بمعنى أن كل الظواهر مرتبطة بالزمان وبالدنيا ولا علاقة لها بأية ماورائيات.

---

(١) عبدالوهاب المسيري (١٤٢٣/٢٠٠٢). المجلد الأول، الصفحة ٦١.

٥. وتستخدم أحيانا كلمة "لائيك" ("لائيكي" و"لائيكية)، خصوصا في المغرب ولبنان، دون تغيير".

إذن نحن هنا أمام مفهومين غربيين (laïcité/secularism) فسرا على أنهما مفهوم واحد ترجم إلى العربية بأربعة مرادفات ونقحر ليصبح عدد المقابلات العربية له خمسة.[١] وقد أثار نطق العامة والخاصة كلمة (علمانية) بكسر العين جدلا كبيرا. وفي هذا السياق ينقل المسيري قول فؤاد زكريا التالي، وما بين [ ] من عندي:

"ولا شك في أن الربط بين العلمانية وبين معنى "العالم" أدق من الربط بينها وبين معنى "العِلم". ولو شئنا الدقة الكاملة لقلنا إن الترجمة الصحيحة للكلمة هي "الزمانية"، لأن الكلمة التي تدل عليها في اللغات الأجنبية، أي secular في الإنكليزية مثلا [كذا والصواب: secularism] مشتقة من كلمة [لاتينية] تعني القرن saeculum"[٢]. ويتضح من كلام فؤاد زكريا أنه يقترح اعتماد مصطلح "الزمانية" بدلا من العلمانية على المصطلح الإنكليزي اللاتيني الأصل secularism وليس على المصطلح الفرنسي اليوناني الأصل laïcité، ذلك لأن "الزمان" ليس من معاني هذا الأخير. وهو اقتراح غير صائب لأن معنى

(١) وهذه الظاهرة، ظاهرة وجود مرادفات مصطلحية عربية متعددة إزاء مفهوم غربي واحد، من معضلات الثقافة العربية المعاصرة العويصة، وهي السبب في تشتت جهد الدارسين وكذلك في الكثير من الخلافات بين المثقفين. من ثمة الدعوة المتكررة إلى ضرورة ضبط المصطلح قبل الحديث في مدلولاته. انظر: Alsulaiman A., (2009). صفحة ٨٣ وما يليها.

(٢) عبدالوهاب المسيري (١٤٢٣/٢٠٠٢). المجلد الأول، الصفحة ٦١.

saeculum الأصلي المؤسس للمصطلح secularism هو "الدنيا" وليس "الزمان" كما سيتضح أدناه. وجاء في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة ما نصه: "العَلْماني: نسبة إلى العَلْم أي العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي".[١] وكل المصادر اللغوية العربية على هذا القول أي على أن كلمة (العلمانية) تنسب إلى العالَم بفتح العين وليس إلى العِلم بكسرها، فلا داعي إلى الاستفاضة فيه لوضوحه التام. إنما نحن بحاجة إلى استبيان معاني المفاهيم الأصلية للمصطلحات الغربية التي يُعبّر عنها في كلمتنا (علمانية).

١. المصطلح:

إذن يُفهم من مصطلح (العلمانية) اليوم في العربية أنه "ترجمة" للمصطلحين الفرنسي (laïcité) والإنكليزي (secularism). ومن الضروري أن نعي جيدا أن هذين المصطلحين ليسا مرادفين من حيث المعنى التاريخي والدلالة في العصر الحديث. بكلام آخر: إن المصطلح الفرنسي laïcité ليس مرادفا للمصطلح الإنكليزي secularism. فهذان مصطلحان مختلفان من حيث الدلالة اليوم. فالأول يشير إلى الإيديولوجية العلمانية التي نشأت بعد الثورة الفرنسية. والثاني يشير إلى "الدنيوية" بشكل عام. والأول إيديلوجية حركية تقوم عليها دولة، والآخر تيار مدني إنسني عام غير ملتزم حركيا. وسنتوقف عند ذلك في محطة لاحقة. أما الآن فسنقتصر على النظر والتأمل في المفهوم الأصلي، أو بالأحرى المفاهيم الأصلية لمصطلح (العلمانية) كما جاءت في المصادر

(١) المعجم الوسيط. (مادة علم، صفحة ٦٢٤).

اللغوية الغربية، ثم نبحث في الاشتقاق اللغوي له في العربية، فنتتبع إدخاله في العربية وتعدد مفاهيمه فيها بهدف ضبط معاني مفاهيمه المتعددة.

١,١ . المفاهيم الأصلية القديمة لمصطلح (العلمانية) :

نميز في اللغات الغربية بين ثلاثة جذور اشتق منها مصطلحات كثيرة تشير كلها إلى معاني متقاربة نذكر هنا مصادرها الصناعية وهي: ١. laicism و٢. secularism و٣. profanism.

الـ (**Laicism**) : (قارن الإنكليزية: laicism؛ الفرنسية laïcisme؛ الألمانية Laizismus والهولندية laïcisme). هذا مصطلح مشتق من اليونانية λαϊκός أو laïkos نسبة λαός أو laos "الشعب". وعليه فإن laïkos يعني حرفيا "شعبي". وقد اكتسب هذا اللفظ مفهوما جديدا بعد نشوء الكهنوت النصراني بعد تنصر قسطنطين واعتبار النصرانية دين الإمبراطورية البيزنطية، فصار يستعمل للدلالة على عامة الشعب للتمييز بينهم وبين طبقة الكهنة الذين أصبحوا يشكلون الخاصة. وعليه فلم يعد laïkos هنا يعني "شعبي" فحسب، بل "عامِّي" أيضا، أي الشخص العامي الذي ليس بكهنوتي. وقد تمأسس الفرق بين عامة الشعب و"الرعاة" أو الكهنوت واتخذت العلاقة بينهما مسافة لا يمكن تجاوزها بعدما أصبح القيام بالأسرار الدينية مثل سر التعميد وسر الزواج وغيرهما مقتصرا على الكهنة المكرسين بـ "سر التكريس" (= ordinatio). واتخذت العلاقة، ابتداء من القرن الحادي عشر، بعدا آخر بحرمان الكهنوت من الزواج، بحيث أصبح الفرق بين "عامة المؤمنين" و"خاصة الرعاة" كبيرا جدا.

إذن تعني laicism (ومنها الفعل laicize): "عَوْمَنَة"، أي إخراج الشخص من طبقة الكهنة إلى طبقة العامة، أو المتاع (مثلا "الأرض") من ملكية الكهنوت إلى ملكية العامة. من ثمة تسميتهم الشخص العامي في الإنكليزية laic أو layman وكذا laity ضد الكهنوتي (= cleric)، وفي الفرنسية laïque، وفي الألمانية laie وفي الهولندية leek وley ومثله في سائر اللغات الأوربية. وعلى الرغم من أن هذه الألفاظ كانت تطلق على العامي الجاهل، إلا أنها كانت ولا تزال تستعمل في سياق إيجابي أيضا (كان كالفين يسمي قضاة المحاكم المدنية: juges laïcs أي "قضاة مدنيين" .. فالقضاة ليسوا "عامة")[1]. وهذه المعاني في اللغات الغربية قديمة قدم المؤسسات النصرانية وليست مستحدثة. ويرد المعجم الإنكليزي التأثيلي مفهوم layman بمعنى الشخص العامي غير الكهنوتي في الإنكليزية إلى سنة ١٤٣٢.[2] ويرد المعجم ذاته المفهوم الإنكليزي layman بمعنى الشخص العامي غير الكهنوتي في الإنكليزية إلى الفرنسية القديمة التي تكون فيها هذا المفهوم سنة ١٣٣٠ كما يشير المصدر ذاته. وهذا كله يعود إلى اللاتيني laïcus المأخوذ بدوره عن اليونانية laïkos (λαϊκός) نسبة إلى λαός "شعب" كما تقدم.

وعليه فإن هذا المعنى، معنى "العومنة" أي "جعل الشيء عاميا" بعكس الكهنوتي، يعود إلى بداية الحقبة النصرانية كما تقدم، ويعود اشتقاق الإنكليزية Laicism والفرنسية laïcisme إلى الكلمة اليونانية λαός (laos) التي تعني "شعب"، "عامة"، أي عكس الكهنة. من ثمة صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية "الدنيوية"، بعكس الكهنوتية

---

(١) هيرمان ديلاي: "العلمانية والدين" (De Ley Herman, 2007)، الصفحة ١-٢.
(٢) انظر: http://www.etymonline.com/index.php?term=lay.

"الدينية". وقد اشتق من الكلمة اليونانية λαός (laos) المصطلحُ اليوناني (λαϊκισμός) أو laïkismós "علمانية/عومنة"، وكذلك (λαϊκός) أو laïkos "علماني/عامّي" الذي هو ضد الكهنوتي (κληρικός) أو klyrikos. ونرجح نشوء هذا المصطلح في بيزنطة بعدما نادى قسطنطين بالنصرانية ديانة للدولة البيزنطية في القرن الرابع للميلاد، وهو القرن الذي عرف حضورا قويا للبطارقة والكنيسة في الحياة السياسية والاجتماعية للدولة البيزنطية.

الـ (**Secularism**) : (قارن الإنكليزية: Secularism؛ الفرنسية Sécularisme؛ الألمانية Säkularismus والهولندية Secularisme). تعني كلمة aioon/αἰών في اليونانية، فيما تعني، "الأزل؛ الجيل؛ الزمان؛ الحقبة الزمنية؛ الدنيا". وما يهمنا هنا معناها الأخير "الدنيا". وقد جاءت في الأناجيل كثيرا بالمعنيين المتضادين: "الزمن الأزلي" (= السرمد) و"الزمن المؤقت" (= الحياة الدنيا)، تماما مثل الكلمة العبرية עלָם: /عُولَم/ التي وردت في العهد القديم بالمعنيين المتضادين "الزمن الأزلي" و"الزمن المؤقت" أو الحياة الدنيا.

فنحن نجد עוֹלָם: /عُولَم/ بمعنى "الزمن الأزلي" في المزمور ٤٥ الآية ٧: כִּסְאֲךָ אֱלֹהִים، עוֹלָם וָעֶד "عرشك يا الله إلى الأبد"، ونجدها بمعنى "الزمن المؤقت" أو الحياة الدنيا في سفر الجامعة الإصحاح ٣ الآية ١١ : גַּם אֶת-הָעֹלָם، נָתַן בְּלִבָּם "وجعل حب الدنيا في قلوبهم"، لأن עלָם: /عُولَم/ ههنا تعني "العالم"، "الحياة الدنيا"، وليس "الأزل"[(١)].

(١) أو "الأبدية" كما توهم مترجم العهد القديم إلى العربية الذي ترجم العبارة גַּם אֶת-הָעֹלָם، נָתַן בְּלִבָּם بـ "وَأَيْضًا جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ" ليجعل مجمل الآية غير واضح. انظر Klein E. (1987) مادة עולם (صفحة 473).

فقد جاءت كلمة aioon/αἰών بمعنى "الحياة الأزلية" في إنجيل متى الإصحاح ٢٥ الآية ٤٦: (فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَاب أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ). فـ"حياة أبدية" هنا ترجمة لـ (zo'i /ζωὴν αἰώνιον aionion). وقد ترجمها مترجم الفولغاتا إلى اللاتينية بـ (vitam aeternam) أي "حياة أبدية" أيضا. كما جاءت كلمة aioon/αἰών بمعنى "الحياة الدنيا" في إنجيل متى الإصحاح ٢٨ الآية ٢٠: وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». فـ (انْقِضَاءِ الدَّهْرِ) هذه هي ترجمة لـ (συντελείας τοῦ sinteleias tou aioonos/αἰῶνος). وقد ترجمها مترجم الفولغاتا إلى اللاتينية بـ (consummationem saeculi). وكلمة (saeculi) ههنا ـ وهي مضاف إليه في اللاتينية ومرفوعها هكذا: saeculum، هي ما يهمنا هنا. فهي لا تحتوي على الاشتراك المعنوي الموجود في كلمة aioon/αἰών اليونانية التي تعني "الحياة الأزلية" و"الحياة الدنيا"، وهو الاشتراك الذي أخذته عن الكلمة العبرية עולם: /عُولمَ وهي من الأضداد في العبرية لأنها تحمل معنَيَيْ "الحياة الأزلية" و"الحياة الدنيا" .. فلقد ترجم مترجم الفولغاتا مفهوم "الحياة الأزلية" إلى (vitam aeternam) كما تقدم، بينما ترجم مفهوم "الحياة الفانية" بـ (consummationem saeculi). إذن لا تعني الكلمة اللاتينية "الزمان" و"القرن" فحسب، بل "الحياة الدنيا"، "الحياة الفانية" بالمفهوم الديني لهذا المصطلح كما يفهم منه في النصرانية والإسلام. وهذا باد بوضوح شديد من سياق الأناجيل فأقتصر على المثال التالي:

رسالة يوحنا الرسول الأولى، الإصحاح الثاني، الآيات ١٥-١٨:
١٥لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ

فِيهِ مَحَبَّةُ الآب. [١٦] لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآب بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. [١٧] وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ. [١٨] أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ.

فمفهوم الساعة الأخيرة (novissima hora/ἐσχάτη ὥρα) هنا يشير إلى اقتراب عودة عيسى عليه السلام بعد صلبه في المعتقد النصراني من أجل إنشاء "ملكوت السماء"، وهي ما يسمى في اللاهوت النصراني بـ "المجيء الثاني". وقد عبَّر الإنجيل عن المرحلة الزمنية التي تكون بين مجيء عيسى عليه السلام الأول وصلبه في المعتقد النصراني، وبين مجيئه الثاني فيما بعد لإنشاء "ملكوت السماء"، باللفظة اليونانية aioon/αἰών التي ترجمها مترجم الفولغاتا إلى اللاتينية بـ saeculum، وهذه الأخيرة هي التي تهمنا الآن في سياق بحثنا في مصطلح (العلمانية). فهي تعني المرحلة الزمنية التي تكون بين مجيء عيسى عليه السلام الأول وبين عودته فيما بعد لإنشاء "ملكوت السماء"، أي "الحياة الدنيا". إذن تعني saeculum ـ بالضبط ـ "الحياة الدنيا"، وليس سواها، فنهمل ما سواها من معان ودلالات حمولية أخرى تحملها الكلمة، ونقتصر على معنى "الحياة الدنيا". ومما يزيد هذا المعنى بيانا كون ضد saecularis "العَلماني" بمعنى الشخص العامّي اللاكهنوتي، هو كلمة regularis التي يراد بها كل شخص خاضع لنظام ديني (= regula) معين ويعيش وفقا لقوانينه الداخلية مثل القساوسة والخوارنة وسكان الأديرة من رهبان وراهبات ومن كان بحكمهم.

ومن saeculum اشتق الفعل اللاتيني saecularisatio للتعدية وأداء معنى "عَوْمَنَ" أي جعل الشيء دنيويا بإخراجه من خاصيِّة الكهنوت وملكيته إلى عمومية العامّة وملكيتها. وهو في الأصل مصطلح فني من مصطلحات الشريعة الكنسية الكاثوليكية للتدليل على أملاك الكنيسة التي كان الأمراء والملوك يغتصبونها ويخصصونها لاستعمالهم الخاص أو للاستعمال العام. وتشير المصادر إلى أن أول استعمال لمصطلح (saecularisatio) بهذا المعنى كان سنة ١٦٤٨ بعد التوقيع على صلح وستفالن (Westphalen).[1] وهذا التاريخ مهم لأنه في الحقيقة كان بداية عملية الحد من سلطة الكنيسة وسلطة البابا وتحدي دعواه في ممارسة "القوة المطلقة" (plenitudo potestatis)، وهي العملية التي استمرت منذ صلح وستفالن (Westphalen) حتى قيام الثورة الفرنسية (١٧٩٩-١٩٨٩) التي استكملت عملية الحد من سلطة الكنيسة واغتصاب أملاكها بالكلية تقريبا.

الـ (**Profanism**) : (قارن الإنكليزية: Profanism؛ الفرنسية Profanement؛ الألمانية Profanismus والهولندية Profanisme). إن مصطلح profanism مشتق من اللاتينية profanus المتكون من fanum التي تشير إلى المكان الذي يكرِّسه الكهنة للمعبد المقدس، ومن pro "قبل؛ أمام". وتشير اللفظة في أصلها القديم إلى كل ما يكون خارج المكان المقدس (= المعبد) ومخصصص للاستعمال العام، بما في ذلك كل ما يُخْرَج من المكان المقدس ويُدْخَل في الاستعمال العام مثل لحوم القرابين التي تقرَّب في المعبد ثم تعطى صدقة للناس خارجه. وهذا اللفظ

(١) هيرمان ديلاي: "العلمانية والدين" (De Ley Herman, 2007)، الصفحة ٢.

قديم قدم الديانات وهو موجود في اللاتينية منذ بـداياتها وفي الإنكليزيـة منذ استقلالها لغة جرمانيـة .. ومنـه اشـتق الفعـل اللاتـيني profanare للتعدية ليؤدي معاني مثل: "عَلْمَنَ" أي جعله دنويـا، ومثـل "حـرَمَ" مـن القداسة، و"أخرج من الكهنوت" وجعله مـن العامـة وبالجملـة: إخـراج الشخص من جملة المقدس وجعله عاميا، والشيء من الاستعمال الديني (مـثلا الأرض/البنـاء) وتخصيصـه للاسـتعمال الـدنيوي. وكـان أوائـل النصارى يستعملون الصفة profanus للتدليل على الهراطقـة والزنادقـة وكل ما يعتبر من وجهة نظرهم نجسا. أما اليهود فيريدون به "التجـديف" ذلك أن نطق اسم (يهوه) محرم على اليهود، لذلك يعتـبرون الـتلفظ بـه ضربا من الـ profanism مما يدل على أن المراد بهذا الاستعمال أيضـا على التجديف لأن التلفظ باسم (يهوه) تجديف في الشريعة اليهودية[1].

---

(١) ورد اسم /يهوه/ اسمَ علم للإله المعبود بحق في اليهودية. ولأن لفظ /يهوه/ محرم على اليهود فإن أحدا لا يعرف كيف كان يلفظ، لذلك ينطق اليهود بدلا عنه في أثناء تلاوة التوراة أحد لفظين اثنين هما: השם = /هاشِّم/ أي "الاسم" أو אדני = /أدوناي/ أي "السيد، الرب". أما في أدبيات الكتاب المقدس فيشار إليه بـ Tetragrámmatonمن اليونانية Τετραγράμματο أي "الأحرف الأربعة". وأما نطق الاسم بـ جهوفا (Jehovah)، فهو نطق يفترض أن /يهوه/ هو مضارع الفعل הוה = /هوى/ "كان" في العبرية، وهو الافتراض المبني بدوره على الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من سفر الخروج في التوراة حيث جاء فيهما: וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים אֶל-מֹשֶׁה אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה: /النقحرة: وَيُومِر إِلُوهِيم إِلْ مُوشِه إِهْيِهْ أَشِرْ إِهْيِهْ (ehyeh ašer ehyeh)/ "فقال الإله لموسى: [تقول لهم إن اسمي:] إِهْيِهْ أَشِرْ إِهْيِهْ".

١,٢ . المفاهيم الأصلية الحديثة لمصطلح (العلمانية) :

عالجنا فيما سبق المفاهيم الأصلية القديمة للمصطلحات التي تشير إلى (العلمانية) من حيث هي إخراج الشخص من جملة المقدس وجعله عاميا، والشيء من الاستعمال الديني (مثلا الأرض/البناء) وتخصيصه للاستعمال الدنيوي. وهذا هو المعنى القديم للعلمانية بشكل عام، منذ القديم وحتى الثورة الفرنسية (١٧٩٩-١٩٨٩). وقد اصطلحنا على وضع مصطلح يدل على هذا المفهوم دلالة دقيقة، ألا وهو مصطلح (العَوْمَنَة) أي جعل الشيء عامِّيا. وسنعالج هنا المفاهيم الأصلية الحديثة لمصطلح العلمانية، التي التي نشأت بعد الثورة الفرنسية. ونستعمل كلمة "حديثة" هنا بشيء من التوسع لأن عمر الثورة الفرنسية أكثر من قرنين، ولكنها تبقى علامة فارقة في تاريخ العلمانية، وحركة مؤسسة للإيديولوجية اللائيكية التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر، أي بعد حوالي قرن من قيام الثورة الفرنسية.

إن المفهوم الثاني الذي اكتسبته (العلمانية) هو مفهوم "الدنيوية" (secularism) الذي أدخله في الاستعمال سنة ١٨٥١ الإنكليزي جورج هوليوك (George Holyoake). لا يقصد هوليوك بالدنيوية هنا (العَوْمَنَة) أي جعل الشيء عامِّيا، فهذا المصطلح قديم كما تقدم، بل يرمي به إلى الفصل بين الدين والمجتمع. ففي حين كان يفهم من المصطلح اللاتيني saecularisatio "عومنة" الأشخاص والمتاع بإخراجهم من المجال الديني إلى المجال اللاديني، ومن عالم الكهنة إلى عالم العامَّة، أصبح يفهم من مفهوم "الدنيوية" (secularism) الذي

أدخله جورج هوليوك الحد من تأثير الدين على المجتمع والعلاقات الاجتماعية عموما. فالعومنة حالة محدودة نسبيا لأنها تتعلق بالكهنة وأملاكهم التي تُخرج من عالمهم الكهنوتي إلى المجتمع العلموتي عن طريق القهر والاغتصاب في أكثر الأحيان .. بينما "الدنيوية" (secularism) حركة أريد لها أن تكون شاملة لأنها ترمي إلى العكس من ذلك، أي إلى إخراج الكهنة وما إليهم من ديانة وشريعة وتعاليم وعبادة وأخلاق من المجتمع كليا إلى الكنائس والأديرة ومحاصرتهم فيها .. ولكن حركة جورج هوليوك لم تتبلور لتصبح حركة منظمة ذات أثر بعيد مثل اللائيكية الفرنسية، ولم تتبناها الحكومة البريطانية كما وقع في فرنسا، بل استحالت تيارا مدنيا عاما إلى جانب التيار الديني الحاضر بقوة في السياسة والمجتمع في بريطانيا، وساهمت إلى حد بعيد في علمنة شرائح كبيرة في المجتمع وخلق قيم جديدة اصطلح على تسميتها فيما بعد بالدين المدني (civil religion)، ولكن دون مأسسة العلمانية وأدلجتها وفرضها على الشعب كما حدث في فرنسا.

أما المفهوم الثالث والأخير لمصطلح العلمانية فهو المفهوم الذي نشأ في فرنسا بعد الثورة الفرنسة بقرن تقريبا، وهو مفهوم الـ laïcité الذي يعود تأثيليا إلى اليونانية λαϊκός أو laïkos "شعبي؛ عامِّي" نسبة λαός أو laos "الشعب". إن أول ظهور لكلمة laïcité في المعجم الفرنسي كان سنة ١٨٧١ كما يذكر معجم روبير[١]. وقد بدأت حركة اللائيكية هنا

(١) انظر معجم روبير الكبير للغة الفرنسية. (Le Grand Robert)، المجلد ٥، الصفحة ٩١٥. ويذكر جان بوبريوت في "ولادة مصطلح اللائيكية في الغرب" أن أول

تتبلور في حركة ليئكة التعليم فقط لأن اللائيكية، من حيث هي إيدلوجية فرنسية حركية، تبلورت نهائيا بعد قانون فصل الدين عن الدولة الفرنسي الصادر سنة ١٩٠٥. وأدت ليئكة التعليم هذه إلى إبعاد القساوسة والرهبان من التعليم الابتدائي الحكومي كليا. أما في سنة ١٩٠٥ فقد اتخذ المصطلح بعدا سياسيا مؤسساتيا بإصدار قانون فصل الدين عن الدولة الشهير. من يومها واللائيكية الفرنسية تسيطر سيطرة تامة على مؤسستين تعتبران أهم ركيزتين لها وهما: الدولة والمدرسة (في تركيا: الجيش والمدرسة). فالمدرسة هي المكان التي يتم فيه تكوين الأجيال وأدلجتها وفق إيديولوجيات معينة يأخذ بها النظام السياسي القائم[١].

١,٣. خلاصة:

يتضح مما سبق:

١. أن مفهوم (العلمانية/laicism) بمعنى جعل الشيء عاميا بعكس الكهنوتي (= "عَوْمَنَة")، مفهوم قديم قدم المؤسسات الدينية النصرانية. وقد وُضع مصطلح "العلمانية" في العربية للدلالة على هذا المفهوم بالضبط وليس على غيره كما سنرى أدناه.

ظهور للمصطلح كان في معجم صدر في أجزاء واكتمل سنة ١٨٨٧، وضعه الفرنسي الحائز على جائزة نوبل فرديناند بويسون (Ferdinand Buisson, 1982-1987). انظر (BAUBÉROT, Jean, 1966)، صفحة ١٣. وهذا يناقض ما جاء في معجم روبيرت الكبير وهو أهم مرجع للغة الفرنسية.

(١) وهذا ما يفسر حدة الموقف الفرنسي من حجاب المسلمات في المدارس الفرنسية، بينما لا يشكل ذلك مشكلة على الإطلاق في المدارس البريطانية على سبيل المقارنة.

٢. أن مفهوم (العلمانية/secularism) بمعنى "الدنيوية" مفهوم نشأ في إنكلترا في القرن التاسع عشر (١٨٥١)، وأن الترجمة العربية الدقيقة له هي "الدنيوية" وليس "الزمانية".

٣. أن مفهوم (العلمانية/laïcité) بمعنى "اللائيكية" مفهوم يدل على إيديولوجية ترمي إلى فصل الدين عن الدولة. نشأت هذه الإيديولوجية في فرنسا بعد الثورة الفرنسية بحوالي قرن من الزمان .. وقد أدخل هذا المفهوم في الاستعمال للدلالة على هذه الإيديولوجية في فرنسا سنة ١٨٨٢.

١ . تاريخ مصطلح (العلمانية) في العربية :

إذن تعني كلمة عَلم ـ بفتح العين ـ التي اشتق منها مصطلح (العلمانية) ـ "العالَم" كما تقدم. ويستوقفنا في هذه الكلمة تعريف المعجم الوسيط لها، وخصوصا قوله: (نسبة إلى العَلم أي العالم)، وبالتحديد قوله (أي العالَم) لتفسير كلمة (عَلْم) بفتح العين. فالمعجم الوسيط ومعه مجمع اللغة العربية في القاهرة يريان أنه من الضروري شرح كلمة (العَلْم) وتفسيرها للقراء بالجملة المضافة: (أي العالَم). وضرورة الشرح والتفسير للقراء يعنيان أن الكلمة المراد شرحها وتفسيرها تستعجم على جمهور القراء. ونحن لاحظنا استعجامها على الخاصة قبل العامة في مناسبات كثيرة .. وهذا يجعلنا نتساءل: هل كلمة (عَلْم) ـ بمعنى العالَم ـ عربية؟ وهل وردت (عَلْم) ـ بمعنى العالَم – في مصادر قديمة؟

الجواب لا. ليست كلمة (عَلم) بمعنى العالم عربية، ولم ترد حسبما أفادنا به البحث والاستقصاء في مصادر ومعاجم قديمة[١]. فهي كلمة دخيلة في العربية من السريانية (ܥܠܡܐ: /عَلْما/) التي تعني فيها "العالَم"، "الدنيا". وألف المد في السريانية (عَلْما) هي أداة التعريف في السريانية لأن التعريف في السريانية إنما يكون آخر الكلمة.[٢] ومن الجدير بالذكر أن الجذر الجزيري /ع ل م/ يفيد في جميع اللغات الجزيرية معاني "الدهر، الدينا، العالم، الزمن اللامتناهي"، إذ يجانس كلمة "العالم" عندنا كل من الكلمة العبرية: עולם: /عُولَم/ [وأصلها فيها: عالَم]، والكلمة الحبشية /عالَم/. فالكلمة الجزيرية المشتركة التي تدل على العالم هي (عالَم) بفتح اللام كما وردت في العربية والعبرية والحبشية وكما تقدم أعلاه. أما (عَلما) فليست موروثًا جزيريًا مشتركا بل هي كلمة سريانية دخلت العبرية كما يقر بذلك صاحب المعجم العبري التأثيلي بصريح العبارة[٣]. كما أنها دخلت العربية أيضًا ـ أو بعبارة أدق ـ وُظفت في العربية لنحت كلمة العلمانية منها كما سيتضح لاحقًا. والدليل

(١) لم ترد كلمة (علم) بفتح العين بمعنى (العالم) في المصادر العربية القديمة لأنها كما تقدم مستعارة من السريانية. وأول معجم عربي أوردها هو محيط المحيط للبستاني (١٨٧٠ كما تقدم. وقد وردت كلمة (علم) بفتح العين بمعنى (العالم) أيضًا في (المعجم العربي اللاتيني) لفرايتاغ (**W.FREYTAG, G., 1830-1837**) **حيث جاء في مادة (علم)**: عَلَم: createae, mundus. وأوردها هكذا من بعده كازيميرسكي في معجمه العربي الفرنسي (Kazimirski A., 1860). انظر مادة (علم)

(٢) يلاحظ أن أداة التعريف في الآرامية الفصيحة وكذا في السريانية القديم هي ألف المد وتكون آخر الكلمة. والسريانية مثلها في ذلك مثل الحميرية التي تجعل أداة التعريف ـ وهي النون - في آخر الكلمة أيضًا (مثلا: ذهبن = الذهب)

(٣) انظر (Klein E.: 1987) مادة עולם (صفحة ٤٧٣).

الحاسم علـى ذلـك هـو أن (عَلـم) بفـتح العـين - أي بمعـنى العـالَم - لا تستعمل في العربية بحد ذاتها، واسـتعمالها في العربيـة مقصـور علـى كونها جذرًا اشتق منه مصطلح (العلمانية) فقط[(١)].

ولمعرفة كيف دخلت هذه الكلمة السريانية اللغة العربية وتتبع ذلك نـود أن نشير أولاً إلى إن السريان نصارى يميزون، شـأنهم في ذلـك شـأن سـائر النصارى، بين خاصة الكهنـة وعامَّـة المـؤمنين، بـين الرعـاة والقطيـع ..[(٢)] وكانوا نقلة المعارف اليونانية في العصور الوسطى، وهم أقدم سابقة مـن العرب في الترجمة عن اليونانية بقرون. وبمـا أنهـم نصـارى لهـم رهبـان وكهنة ووثيقي الصلة باليونان، فقد انتقل مفهوم (العلمانية) بمعنى جعـل الشيء عاميًا بعكس الكهنوتي (= "عَوْمَنَة") إليهم من اللاهـوت النصـراني المدون أكثره وقتئذ باللغة اليونانية[(٣)]، مثلما انتقل إلى غيرهم مـن الأمـم

---

(١) وهذا بيان آخر للمتخصصين في اللغات الجزيرية وفقهها: لو كانت السريانية (ܥܠܡܐ: عَلْما) من الموروث الجزيري المشترك لكان مقابلها العبري من ذوات السيغول (حركة عبرية ممالة نحو الكسر)، ذلك أن كل كلمة سريانية على وزن /فَعلا/ يجانسها تأثيليا في العبرية /فِعِل/ بإمالة الفاء والعين نحو الكسر، ويجانسها في العربية /فعل/ على وزن كلب (قارن العربية /كلب/ والسريانية /كلبا/ والعبرية كِلِب). وهذا دليل صرفي وتأثيلي على عدم كينونة الكلمة السريانية (ܥܠܡܐ: عَلْما) من الموروث الجزيري المشترك وأنها أي (عَلم) في العربية دخيلة من السريانية.

(٢) من المعلوم أن الدروز أيضًا يميزون بين (العقال) وهم الخاصة و(الجهال) وهم العامة.

(٣) لن نشغل أنفسنا ههنا بالبحث في السؤال عما إذا كانت لغة الأناجيل – وبالتالي النصرانية – الأولى هي اليونانية أم السريانية، لأنه سؤال غير مهم في هذا السياق فضلاً عن أن الإجابة عليه ستزيد من تعقيد الحديث في هذه المصطلحات فوق ما هو معقد.

النصرانية[١]، ومنهم الفرنسيون (سنة ١٣٣٠) والإنكليز (سنة ١٤٣٢) كما يذكر المعجم الإنكليزي التأثيلي.[٢] فعبروا عن المفهوم اليوناني (λαϊκός/laïkos) نسبة إلى (λαός/laos) "شعب" الذي نشأ مع تمايز الكهنوت المسيحي ابتداء من القرن الرابع الميلادي عن عامة الشعب، بـ ܥܠܡܝܐ: /عَلْمايا/ "عالَماني/عَلْماني" نسبة إلى ܥܠܡܐ: /عَلْما/ "عالَم"، وجعلوا يستعملون ܥܠܡܝܐ: /عَلمايا/ للدلالة على العالم والحياة الدنيا والعوام، وعرَّبوه ـ عند استعرابهم في العهد العباسي ـ إلى

(١) هذه الحقيقة اللغوية التاريخية نبّه عليها أيضًا المستشرق المعروف برنارد لويس في كتابه "أين الخطأ" (في الفصل الخامس "العلمانية والمجتمع المدني"، إذ قال، بعد استعراض جذور هذا المفهوم في الثقافة المسيحية ووجه الاختلاف بينها وبين الثقافة الإسلامية، ما يلي: "ولكن انتشار التأثير الغربي اعتبارًا من القرن التاسع عشر جعل المسيحيين الناطقين بالعربية - والذين كانوا كثيرًا ما يتلقون تعليمهم في المدارس الغربية، والذين كانوا أكثر انفتاحًا على الأفكار الغربية - يضطلعون بدور رئيسي في نقل هذه الأفكار. فكان أن قدَّم المعجمُ العربيُ المسيحيُ جانبًا مهمًا من المفردات الجديدة التي أسهمت في تشكيل العربية المعاصرة. وكان من المصطلحات المسيحية التي شاع استعمالها مصطلح "عالماني" التي تحوّلت فيما بعد إلى" عَلَماني"، وتعني حرفيًا: ما له علاقة بالعالم، أي دنيوي .وأصبحت الكلمة مرادفة لمصطلح :الزمني، وغير الديني، وغير الكنسي جميعاً. وابتدعت في وقت لاحق كلمة دخيلة مترجمة هي "روحاني" المشتقة من "روح" للدلالة على المعنى المضاد. ومن عهد جدّ قريب، نسي الناس أصل كلمة" عالماني "واشتقاقها المسيحيَّيْن، وحرّفوها في النطق إلى "عِلماني "المشتقة من" العِلم ."وأسيء فهمها إذ أصبحت تشير إلى مذهب مَن يزعمون وجود تعارض بين العلم البشري والتنزيل الإلهي". (برنارد لويس ٢٠٠٩ ص ١٥٩). مع الشكر الجزيل للباحث المصري الزميل أحمد الأقطش الذي أضاف هذه الحاشية المهمة إلى هذه المقالة.

(٢) انظر: http://www.etymonline.com/index.php?term=lay.

"عَالَماني" أولاً ـ على أساس أن المكافئ الوظيفي والمعجمي والدلالي العربي للفظة السريانيةܥܠܡܐ : /عَلْما/ هو "العالَم" ـ ثم أدخلوا السرياني (ܥܠܡܐ : /عَلْما/) في العربية وعرَّبوه على "عَلَم" ثانيًا، لينحتوا منه "عَلْماني" بدلاً من "عَالَماني" لخفة انذلاق هذه الأخيرة على لسان الجماعة.[١] ومن السريان انتقل هذا المعنى إلى العرب عن طريق الكتاب العرب النصارى الذين يعرفون السريانية مثل.[٢] والدليل القاطع على ذلك استعارة العرب كلمة (عَلْم) بمعنى (العالَم) من السريانية كما تقدم أعلاه هو أن هذه الكلمة لم ترد في مصادر عربية مكتوبة قبل سنة ١٨٠٠ ولا تستعمل في العربية - حتى يومنا هذا - خارج سياق كونها أصلاً اشتق منه مصطلح (العلمانية) كما تقدم .. ثم اشتقوا منها كلمة (علمانية) على السماع لا على القياس لأن القياس اللغوي يقتضي نحت (عَلْمِية) ـ بفتح

---

(١) انظر بشأن مادة (ܥܠܡܐ: عَلْما) كلا من: Goshen-Gottstein M.H. (1970) صفحة ٥٨؛ و(Brockelmann C. (1928 مادة ܥܠܡܐ وكذلك Brockelmann C. (1925) المختارات الأدبية (Chrestomathie) وكذا مادة ܥܠܡܐ في المسرد.

(٢) جاء أيضا في الصفحة ٣ من كتاب "لغة الإسلام السياسية" للمستشرق برنارد لويس (Lewis B., 1988) بخصوص دخول مصطلح "علمانية" في الاستعمال ما نصه" :في القرن التاسع والقرن العشرين، وتحت تأثير الأفكار والمؤسسات الغربية، نشأت مصلحات جديدة في الإسلام للدلالة على مفهوم تيار الدنيوية، في اللغة التركية أولاً، ثم في العربية ثانيًا. ففي التركية استعمل المصطلح "لاديني" [ladini] أولا، ثم غيّر فيما بعد إلى "لايك" [layk] المستعار من اللغة الفرنسية .أما في العربية فقد أخذ القوم الكلمة عن الاستعمال اللغوي للنصارى العرب. فلقد اشتق النصارى العرب، في استعمالهم اللغوي المخصوص بهم [والتوكيد لي] كلمة "عَلماني" [alamaniﷺ]من "عَلَم"، ثم أعيد تشكيل الكلمة لتصبح "عِلماني" [ilmaniﷺ] من "عِلم".

العين - وليس (عَلْمانية) بإضافة الألف والنون. ويبدو جليًا من لفظة (عالَمِيِّ) التي أوردها دوزي في معجمه (انظر أدناه) ثم ترجمها بـ laïque, séculier أن اللفظتين المقترحتين (عالَمِيِّ) و(عالَمانِي) لم تستقرا وقتها في العربية وأنهما اختفيتا نهائيًا لصاح اللفظة السريانية الأصل والنحت – أي (عَلْماني) – لوثيق صلة هذه الأخيرة، لفظًا ومفهومًا، بالديانة المسيحية وبالتراث اللغوي السرياني.

وقد أفضى بنا البحث والتنقير إلى أن أقدم ورود لمصطلح (عَلْمانية) في المصادر العربية كان في القرن العاشر للميلاد، فلقد جاء في كتاب (مصباح العقل) لساويرس ابن المقفع[1] المتوفى سنة ٩٨٧ ميلادية ما نصه:

«التزويج مختلف عندنا، لأن للكنهة شروطًا ذكرها الكتاب؛ وهي ألا يتزوجوا بأرملة ولا مطلقة ولا زانية. وليس للكاهن أن يتزوج، بعد امرأته الأولى، بغيرها؛ هذا بإجماع النصارى؛ إلا ما ابتدعه طيماثوس الجاثليق من إطلاقه للنسطورية التزويج، بعد امرأته الأولى، بما شاء، واحدة بعدة واحدة، ولو بلغ ذلك سبعة، وكذلك إبراهيم البطريق، صاحب نوبة. والكاهن هو الأسقف والقس والشماس. إلا أنهم مختلفون في أمر آخر؛ لأن الشماس يمكنه أن يتزوج بعد الشماسية، ولا يمكن للأسقف والقس أن يتزوجا بعد الأسقفية والقسيسية، إلا عند الطائفتين اللتين ذكرتهما،

(١) كان ساويرس ابن المقفع يعرف في المصادر الإسلامية باسم "أبى البشر ساورى ابن المقفع"، وهو حبر قبطي مارس، فيما مارس، وظيفة كاتب الدولة أيام حكم الأسرة الإخشيدية.ـ

أعني طيماثوس الجاثليق وإبراهيم البطريق، فإنهما أجازا ذلك للقس والشماس، كما ذكرت آنفا. وقد رأى المتقدمون بعد ذلك رأيا في الأساقفة. أما المصريون فرأوا أن يكون الأسقف، بالإسكندرية خاصة، بتولاً لم يتزوج في حال علمانيته. وأما النسطورية والسريان فرأوا ألا يكون الأسقف البتة ممن تزوج قبل أسقفيته. وأما النوبة فأمرهم على الرسم الأول»[١].

وهذا حسب علمنا أقدم ورود لمصطلح (العلمانية) بالعربية. وهو من التراث العربي المسحي كما ذكرنا. وابن المقفع يستعمل (علمانية) ههنا مقابل (أسقفية) أي الكهنوتية، هكذا دونما شرح، مما يعني بداهة أنه يفترض أن القارئ يدرك معناها جيدًا وأنه ليس أول كاتب استعملها، وأن ديوان النصوص المسيحية العربية الذي يرى النور شيئًا فشيئًا يجب أن يحتوي على نصوص أقدم من نص ابن المقفع جاء فيها هذا المصطلح السرياني الأصل النصراني المفهوم كما أبنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع.

كما أفضى بنا البحث والاستقصاء إلى أن أول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة عربية لكلمة laïque الفرنسية هو "القاموس الفرنسي العربي" الذي وضعه القبطي إليوس بقطر عام ١٨٢٨[٢]. ولترجمة كلمة laïque إلى

(١) ساويرس ابن المقفّع (١٩٧٨:٩٢).

(٢) عنوان المعجم بالفرنسية: Ellious Bocthor (1828-1829), Dictionnaire français-arabe. Revu et augmenté par Caussin de Caussin de Perceval. Paris (3° édition, 1864).

العربية، استعمل بقطر الذي كان مطلعًا على التراث العربي النصراني[١] في معجمه هذا مصطلحًا من هذا التراث العربي النصراني، نقصد مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) الذي أتى ترجمة مستعارة لـ (عَلْمايا) السرياني كما تقدم. وعندنا أن إليوس بقطر أولُ من أخرج مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) من التراث العربي النصراني المخصوص بالنصارى العرب، وأدخله ـ باستعماله إياه ترجمة للمصطلح الفرنسي laïque ـ في الاستعمال اللغوي العام للفصحى، ذلك لأن معجمه هذا أصبح مصدرًا لجميع من استعمل مصطلح (عَالَماني/عَلْماني) من بعده، ومن أقدمهم بطرس البستاني في معجمه (محيط المحيط) الذي يعتبر أول معجم عربي (صدر سنة ١٨٧٠) يقدم تعريفًا للكلمة حيث ورد فيه ما نصه: "العَلْماني: العامِّي الذي ليس بإكليريكي".[٢]وهذا تعريف مهم جدًا لأنه أقدم تعريف ورد في مصدر عربي أصيل ولأن البستاني لا يقصد بحده هذا الإيديولوجية العلمانية الفرنسية (laïcité) التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أي بعد إصدار معجم البستاني بأكثر من عقدين تقريبًا ـ فضلا عن العِلم! ـ بل المفهوم الأقدم للمصطلح كما تقدم وصفه، أي (laïcisme/العَوْمنة) أو جعل الشيء عاميًا، وهو مصطلح نصراني بحت يدل على مفهوم نصراني بحت كما تقدم[٣].

---

(١) انظر الحاشية رقم ١٧.

(٢) انظر بطرس البستاني (١٩٨٧)، ص ٦٢. مادة (علم). وقد يكون البستاني اعتمد أيضًا على كتاب رفاعة الطهطاوي (رفاعة الطهطاوي، ١٩٩٣)

(٣) ومن المثير للانتباه أن عبدالله البستاني صاحب معجم (البستان – صدر سنة ١٩٢٧) ـ وهو مثل معجم محيط المحيط لبطرس البستاني حجما ومادة، ذكر العَلم بفتح العين

وعلى معجم إليوس بقطر المصري كل أصحاب المعاجم الثنائية التي أوردت مادة (عَالَماني/عَلْماني) بالعربية، وأقدمها معجم بارثلمي الصادر سنة ١٩٣٥ (انظر Barthélemy A., 1935). وهذا معجم عربي (للهجات بلاد الشام) فرنسي، جاء فيه (عَلْماني) وترجمه بـ laïque, séculier. وكذلك رينهارت دوزي صاحب المعجم الشهير (تكملة المعاجم العربية)[1] الذي صدر سنة ١٩٨١ والذي جمع فيه أكثر الألفاظ

بمعنى العالم ولم يذكر (علماني). وهذا مثير للتأمل لأنه يعني أن اللفظة في سنة ١٩٢٧ لم تكن موطنة في العربية (باستثناء الاستعمال اللغوي الخاص بالنصارى العرب كما تقدم). عبدالله البستاني (١٩٢٧). مادة (علم).

(١) صدر معجم دوزي سنة ١٨٨١، وهي السنة التي يؤرخ فيها لتاريخ ظهور المصطلح الفرنسي laïcité (لائيكية). وهذا التاريخ مهم جداً أهمية هذا المعجم، ذلك لأن الهولندي رينهارت دوزي جمع في معجمه العربي الفرنسي أكثر الألفاظ العربية التي لم ترد في المعاجم العربية ليس لأن المعاجم العربية أهملت تلك الألفاظ سهواً بل لأن تلك الألفاظ لم تكن تدخل في منظومة الكلام الفصيح كما كان أهل المعاجم يفهمونه ويعملون به. ومن هذا الكلام الذي لم يدخل في منظومة الكلام الفصيح كما كان أهل المعاجم يفهمومه: نصوص الأدب الشعبي شبه العامي (مثل سيرة عنتر وسيرة بني هلال الخ.) والنصوص العربية التي كتبها النصارى واليهود وأتباع الديانات والفرق الأخرى في موضوعات مخصوصة بدياناتهم وتاريخهم الخ. وكان هؤلاء الكتاب لا يلتزمون بقواعد اللغة العربية كما كان المسلمون يلتزمون بها لأسباب معروفة، بل كانوا يكتبون العربية كما ينطقونها تقريبًا. ونصوصهم ـ في هذا السياق ـ كنز لغوي غني لدراسة تطور اللهجات العربية في العصور الوسيطة. ولا يشذ عن هذا القول إلا كتاب قليلون مثل اللغوي اليهودي مروان بن جناح القرطبي والأديب موسى بن عزرا وغيرهما. ونظراً للخصوصية والمميزات اللغوية الكثيرة لتلك النصوص ولغاتها، فقد أطلق عليها في الأوساط البحثية المخصوصة بها تسميات مثل Judaeo-Arabic (العربية اليهودية) وكذلك Christian Arabic (العربية النصرانية). من علامات هاتين العربيتين أنهما كانتا تكتبان بالكتابة االعربية والعبرية

التي أهملها أصحاب المعاجم العربية ومنها (عَلْماني)، حيث جاء فيه: (عالَمِيّ) ـ نسبة إلى العالَم بمد العين بألف المد وبدون نون – وترجمه بـ laïque, séculier، و(عَالَماني) ـ نسبة إلى العالَم بمد العين بألف المد ولكن بنون – وترجمه بـ laïque, séculier ثم (عَلْماني) ـ نسبة إلى العَلْم بفتح العين ـ وترجمه بـ laïque, séculier أيضا.[(١)] وقد أشار دوزي بعد معالجته هذه المادة إلى معجم إليوس بقطر مصدرا لكلمة (عَلْمانية). فالمصدر الذي اعتمد عليه دوزي ليس نصًا عربيًا بل معجم فرنسي عربي هو معجم إليوس بقطر، وهذا أمر مثير للغرابة بحد ذاته. وعلى نهج دوزي سار كل المعجميين اللاحقين مثل غزلان إدوارد (Gasselin Edouard: 1886) في معجمه الفرنسي العربي[(٢)]، وغيره، إلا أن هذا الأخير ـ وهو فرنسي مولود في الجزائر ـ كان أدق من الآخرين

والسريانية واليونانية واللاتينية، وأنه لا إعراب فيهما ولا تمييز بين (هم/هن) .. وفي الحقيقة إن معجم دوزي أعلاه ـ وهو أشهر من نار على علم في سياق هذه الدراسات – يجمع أكثر الألفاظ الواردة في النصوص المكتوبة في (العربية اليهودية) وفي (العربية النصرانية). إن كثيرًا من تلك المفردات المخصوصة بديانتي النصارى واليهود وسننهم وفقههم ليس من العربية بل من لغاتهم الأصلية وخصوصا العبرية والآرامية/السريانية (مثل علم ـ بفتح العين)، توطن في العربية التي كانوا هم يستعملونها والتي لم يعالجها أصحاب المعاجم العربية إما لأنها لم تكن فصيحة برأيهم لأن معايير الفصاحة عند المعجميين العرب التقليديين جد معقدة، أو لأنهم لم يطلعلوا عليها لأن أكثر تلك النصوص كان مدونًا بكتابة غير عربية كما تقدم. •انظر أيضًا الدراسة الثانية في هذا الكتاب). من الدراسات القيمة في مجال "العربية اليهودية" و"العربية النصرانية": **Blau, J. (1967)** و**Blau, J. (1981)** و **Blau, J. (1988)**.

(١) انظر (Dozy R., 1881)، المجلد الثاني صفحة ١٦٥. مادة (علم).

(٢) انظر غزلان إدوارد (Gasselin Edouard, 1886) مادة Laïque.

بترجمته laïque إلى العربية بـ "عامِّي"[١] ولـيس بـــ "عَلْمـاني" ربمـا لأن التراث العربي النصراني الحاضر بقوة في الشرق، كان مجهولاً في الجزائر آنذاك.

٢ . العلمانية : المصطلح والمفاهيم

يدل مصطلح (عَلْمانية) في العربية اليوم على ثلاثـة مفـاهيم أصـلية: (أ) مفهوم "العَلْمانية" القديم (laicism) أي جعل الشـيء عاميـا بعكـس الكهنـــوتي (= "عَوْمَنـــة")؛ و(ب) مفهـــوم "الدنيويـــة؛ الدهريـــة" (secularism) الـــذي نشـــأ في إنكلتـــرا ســـنة ١٨٥١ و(ج) مفهـــوم الإيديولوجة العلمانية "اللائيكية" (laïcité) الذي أدخـل في الاسـتعمال في فرنسا سنة ١٨٨٢ للدلالة على هذه الإيديولوجيـة فيهـا. وقـد سـبَّب تداخل هذه المعاني الثلاثة ثم وهمهم في نطـق (العَلْمانيـة) بكسـر العـين نسبة إلى العِلْم خلطا كبيرا في أذهان الناس، عامَّـة وخاصّـة .. والسـبب

(١) أضاف الباحث المصري الأستاذ أحمد الأقطش إلى هذا البحث هذه المعلومة المهمة: (ويظهر مِمَّا كتبه رفاعة الطهطاوي (رفاعة الطهطاوي ١٩٩٣ ج. ٢ ص. ٢٥٦) في الفصل الثاني عشر تحت عنوان "دين أهل باريس" أنه ترجم الفرنسية laïque إلى "العامة" في مقابل القساوسة. يقول: "ومن الخصال الذميمة: أن القسيسين يعتقدون أنه يجب على العامة أن يعترفوا لهم بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم، فيمكث القسيس في الكنيسة على كرسي يُسمّى كرسي الاعتراف". وهذا هو المعنى الأصليّ للكلمة الفرنسية. والطهطاوي ذو ثقافة إسلامية، لذلك استخدم كلمة "العامة" - ومفردها "عامّي" - لتدلّ على عموم المنتسبين إلى الديانة الكاثوليكية مِمَّن ليسوا في السلك الكهنوتي. ومثل هذه الدلالة ليس لها وجود في الدين الإسلامي كما هو معلوم لعدم وجود كهنوت أصلا). وقد يكون غزلان إدوارد اطلع على كتاب الطهطاوي واستساغ مصطلحه أكثر من "علماني".

الرئيسي لهذا الخلط الحاصل هو عدم التمييز بين المعاني الرئيسية الثلاثة التي اجتمعت في المصطلح (عَلْمانية) الذي اشتق، كما رأينا أعلاه، من كلمة دخيلة من السريانية وُظِّفت لوضع المصطلح العربي (عَلْمانية) في مفهومه الأول (= العَوْمَنَة) لحاجة النصارى العرب إليه بسبب طبيعة لاهوتهم المميز بين طبقتين اثنتين هما طبقة الكهنة وطبقة العامة كما تقدم. وهذا المفهوم قديم قدم المؤسسات النصرانية كما تقدم. ثم حُمِّل مصطلح (العلمانية) معنَيَيْ "الدنيوية؛ الدهرية" (secularism) الذي نشأ في إنكلترا سنة ١٨٥١ و"اللائيكية" (laïcité) الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سنة ١٨٨٢ .. فمصطلح العلمانية في العربية مصطلح مركب، وهو مركب كذلك في اللغات الغربية كما شاهدنا، لأنه فيها شاهد عيان على حركة فكرية غربية استغرق تبلورها قرونا عديدة، فمن الطبيعي أن تتراكم في مصطلحات تدل عليها ـ مثل secularism و laicismو laïcité ـ مفاهيم ومدلولات متعددة ومتشابكة أيضا. هذا من جهة. أما من جهة أخرى، فإن خلطا آخر يتمثل في نطق مصطلح (العَلْمانية) بكسر العين يجعلنا نتساءل عن أسباب نسبة أكثر العرب والمتحدثين بالعربية هذا المصطلح إلى العِلم بكسر العين (هكذا: عِلْمانية). لقد أدى هذا النطق الخاطئ للكلمة إلى الاعتقاد بأن العَلْمانية منهج علمي بامتياز. فكيف نشأ هذا الخطأ أصلا؟ وما علاقة العِلْم ـ بكسر العين بحركة العلمانية التاريخية في الغرب التي كانت تهدف أصلا إلى فك الاشتباك بين الكنيسة وبين كل ما سواها؟

لا شك في أن أحد أسباب الخطأ في نطق (العلمانية) بكسر العين هو غرابة الكلمة من الناحية الصرفية أولا. فالكلمة ترجمة مستعارة لكلمة

ܥܠܡܝܐ: /عَلمايـا/ "عالَماني/عَلْمـاني" نسـبة إلى ܥܠܡܐ: /عَلْمـا/ "العالَم" كما أبنا ذلك. فترجموها ترجمة مستعارة في العربية بإضافة النون وياء النسبة بعد ألف المد الأولى في /عَلمايا/ لتبدو كأنها مشـتقة علـى وزن (روحاني) و(نفساني) وحتى (سرياني) .. ولمـا لم يكـن في العربيـة (عَلْم) بمعنى العالم فإنهم قالوا أولا (عالَماني) .. ثم أسـقطوا ألـف المـد الأولى من لفظ (عالَماني) وسكَّنوا لامه ليصبح (عَلْماني). ولا شك في أن اللفظة السريانية ܥܠܡܐ: /عَلْما/ "العـالَم" كانـت في مخيلتـهم اللغويـة عندما اختزلوا (عالَماني) إلى (عَلْماني). إذن كان الاختزال من (عالَماني) إلى (عَلْمـاني) "تكوينـا رجعيـا" (back formation) بسـبب اللفظـة السريانية ܥܠܡܐ: /عَلْما/ "العالَم" التي لعبت في هذه السياق ثلاثة أدوار صرفية ـ إن صح التعبير ـ هي:

١. دور مباشـــر في تكـــوين مصـــطلح ܥܠܡܝܐ: /عَلْمايـــا/ "عالَماني/عَلْماني" نسبة إلى ܥܠܡܐ: /عَلْما/ "العالَم".

٢. دور غير مباشر في ترجمة مصطلح /عَلْمايا/ ترجمـة حرفيـة إلى العربية "عالَماني/عَلْ ماني" وتكوينه فيها بعد إضافة النون وياء النسبة بعد ألف المد الأولى في /عَلمايا/.

٣. دور مباشر في إعادة تكوين "عالَماني" إلى "عَلْماني".

أما السؤال فيما إذا كان الدور الثالث الـذي أدى إلى إعـادة تكـوين "عالَماني" إلى "عَلْماني" قد نشأ نتيجة للتكوين الصرفي الرجعـي (back formation) أو لإدخال ܥܠܡܐ: /عَلْما/ "العالَم" في العربية، فنجيـب عليه باعتقاد أن الخيارين وقعـا: فمـن جهـة أدخلـت ܥܠܡܐ: /عَلْمـا/

"العالَم" في العربية، ومن جهة أخرى أعيد تكوين "عالَماني" إلى "عَلْماني" بتأثير من الصفة ܥܠܡܝܐ: /عَلْمايا/ "عالَماني/عَلْماني". وأما السؤال عن أسبقية أحد الخيارين فهو سؤال لا قيمة له كبيرة في هذا السياق، فلا نشغل أنفسنا به. وعليه فإن الالتباس في نطق كلمة (علم) عائد إلى أن العربية لا تعرف اسما يركب هكذا سوى (العِلْم) ـ بكسر العين و(العَلَم) بفتح العين واللام معا. فـ (العَلْم) غير أصيل في العربية وهو سرياني دخل معاجمها الرسمية بداية القرن التاسع عشر ولم يتوطن فيها للدلالة على (العالَم) ولم يَشِعْ خارج مصطلح (العَلْمانية). لذلك لم تهضمه العين العربية إن جاز التعبير مما يجعل القارئ العربي يقرأ (علم) بالكسر على الدوام لأن اسما آخر غير العِلم لا يكاد يتبادر إلى الذهن عند النظر في (علم). وقد يكون النطق بالكسر مقصودا للترويج للعلمانية على أنها منهج علمي يدعو أتباعه ويحثهم على تحكيم العقل في كل شيء، وقد لا يكون الأمر كذلك. ومهما يكن، فإن الوهم في نطق (العلمانية) بكسر العين ثابت لا شك فيه، وإن الخطأ في نسبة (العلمانية) إلى العلم ثابت أيضا لا جدال فيه.

ومع وضوح الخطأ في نسبة (العَلْمانية) إلى (العِلْم) ونطقها بكسر العين وضوحا لا يماري فيه أحد، فإن هذا الخطأ شائع شيوعا يدعونا إلى النظر والتأمل في الأسباب التي من شأنها أن تكون وراء هذا الخطأ وشيوعه المثير للاستغراب، وإلى طرح السؤال التالي: هل العلمانية منهج علمي؟ بالطبع هذا السؤال غير دقيق ولا يصح طرحه بهذه الصيغة. العلمانية حركة فكرية غربية أدت في نهاية المطاف إلى الحد من سلطة الكنيسة وإخراج الديانة النصرانية من الحياة السياسية والاجتماعية العامة.

وقد استغرق تبلور العلمانية في الغرب قرونا عديـدة، واختلـف تطورهـا من دولة لأخرى، ومن سياق لآخر. وسنحاول – قبل الإجابة على سؤالنا أعلاه - حد هذا الحركة العلمانية كما تعرِّفه المصادر الغربية التي حاولت حده. ونقتصر في حدنا للمصطلح على المفهوم الثالث والأخـير لـه، أي "اللائيكية" (laïcité) الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سـنة ١٨٧١، ذلك لأن مفهوم "العَلْمانية" (laicism) القـديم أي جعـل الشـيء عاميـا بعكـس الكهنـوتي (= "عَوْمَنـة") وكـذلك مفهـوم "الدنيويـة؛ الدهريـة" (secularism) الذي نشـأ في إنكلتـرا سـنة ١٨٥١ مفهومـان نصـرانيان يتعلقان بالديانة النصرانية ومؤسساتها الكهنوتية والدينية ولا يمكن – بحال مـن الأحـوال - سـحبهما علـى السـياق الإسـلامي لأنـه لا كهنـوت في الإسلام. ويستفاد من هذين المصطلحين، بشكل عام، إخراج الشـخص أو الشيء من خاصة الكهنوت إلى عمومية العلموت بجعله عامّيـا دنيويـا كما تقدم مرارا، بينما تنادي اللائيكية الفرنسية بفصل الكنيسة عن الدولـة بإخراج الكنيسة من الحياة السياسـية الاجتماعيـة في الدولـة كليـا وعـدم السماح للكهنة بممارسة أي دور خارج جـدران الكنـائس. فــ "العومنـة" (laicism) وكذلك "الدنيويـة؛ الدهريـة" (secularism) همـا عمليـة تحرر من سلطة الكهنة الـذين أصـبحوا ـ بعـد تنصـر قسـطنطين وجعلـه النصرانية دينا رسميا لبيزنطة ـ جزءا لا يتجزأ من "الدنيا" (saeculum)، بينما اللائيكية الفرنسية (laïcité) عملية عكسية الآليـة لأنهـا تهـدف إلى تحرير المجتمع من الكنيسة. وهذا يعني أن العلمانية ـ سواء أكانت عملية تحرر ذاتية من سلطة الكنيسة والكهنة أو عملية حركيـة لتحريـر السياسـة

والمجتمع من سلطة الكنيسة والكهنة ـ حركة متصلة اتصالا وثيقا بالديانة النصرانية لأنها عملية فك اشتباك طوعي أو قسري عنها. ولاستيعاب هذه النقطة ينبغي العودة إلى بداية نشوء النصرانية وانتشارها في الدولة الرومانية التي كانت قائمة وقتها. فكانت النصرانية ـ قبل تنصر قسطنطين في القرن الرابع وجعله النصرانية دين الدولة في الدولة البيزنطية، ديانة مضطهدة. وقد فرض الاضطهاد الروماني على النصرانية نوعا من البراجماتيكية التي نجد صداها في المقولة الشهيرة التي ينسبها الإنجيلي متى (إنجيل متى الإصحاح ٢٢ الآية ٢١) إلى المسيح عليه السلام: "فقال لهم: أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله". وهذا يعني فصلا تاما بين الديانة النصرانية المغلوب على أمرها آنذاك، وبين الدولة الرومانية الغالبة. إلا أن الحالة تغيرت بعد تنصر القيصر قسطنطين وجعله النصرانية ديانة الدولة البريزنطية. فحدث بعد ذلك تداخل كبير بين الديانة النصرانية ممثلة بالكنيسة والكهنة من جهة، والسياسة والمجتمع وما إليهما من جهة أخرى. فأصبح الكهنة النصارى يمارسون وظائف دنيوية لم يكونوا يمارسونها قبل تنصر قسطنطين، ثم أحكموا سيطرتهم على كل ما له علاقة بالمجتمع. فأتت الحركة العلمانية الأولى (laicism/secularism) التي عبّرنا عنها بـ (العَوْمنة)، وهي الحركة التي يحدها معظم بل كل مؤرخي العلمانية تقريبا على أنها عملية تحرر من سلطة الكنيسة، بدأت في اللحظة التي بدأ التداخل فيها بين الكنيسة والمجتمع أي بعد تنصر قسطنطين وجعله النصرانية دين الدولة الرسمي، وهو التداخل الذي بلغ أوجه عندما أصبح البابا يطالب بما سمي وقتها بـ

"القوة المطلقة" (plenitudo potestatis). إذن بدأت حركة العلمانية الأولى في الوقت الذي سيطرت فيه الكنيسة على السياسة والاجتماع ابتداء من أواخر القرن الرابع للميلاد، ولا يمكن ـ مهما حاولنا ـ فصل الحركة العلمانية الأولى (laicism/secularism) والتالية (laïcité) عن الديانة النصرانية. بل إن العلمانية لا يمكن فهمها قط دون فهم تاريخ النصرانية والكنيسة في الغرب. ولا يمكن لغير النصراني أن يعتنق مبادئ العلمانية وأن يتذوق لطائفها لأن تداخل الكنيسة بالسياسة والمجتمع هو الذي يبرر نشوء العلمانية في الغرب النصراني آنذاك وتطورها فيه. وهذا التداخل بين النصرانية والكنيسة والسياسة والمجتمع هو تداخل سببي لا يمكن تجاهله عند الحديث في العلمانية، وهو الذي حدا بالفيلسوف الماركسي الفرنسي إرنست بلوخ (Ernst Bloch) إلى اعتبار الإلحاد العلماني منتجا نصرانيا بامتياز، وهو الذي يفسر مقولته الشهيرة: "فقط المسيحي الحقيقي يمكن أن يكون ملحدا ممتازا، وفقط الملحد الحقيقي يمكن أن يكون مسيحيا ممتازا"[١]. لذلك يحد فردناند بويسون (Ferdinand Buisson) العلمانية الفرنسية في مقالة له بعنوان laïcité "اللائيكية" على أنها حركة تسعى إلى (أ) تحقيق الفصل بين المجالات المختلفة للأنشطة العمومية في المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية والعلمية إلى سائر المجالات التي كانت – نتيجة لغموض الرؤية في الماضي - منصهرة في بوتقة واحدة؛ و(ب) تحقيق استقلالية هذه

(١) هيرمان ديلاي: "العلمانية والدين" (De Ley Herman, 2007)، الصفحة ١٢.

الأنشطة العمومية عن العامل الديني الذي لم يعد عاملا موحدا للمجتمع.(١) ويقصد بقوله "غموض في الرؤية" خضوع سائر الأنشطة العمومية لسلطة الكنيسة ورؤيتها. فالفصل بين هذه الأنشطة من جهة وتحقيق استقلاليتها عن الكنيسة من جهة أخرى هما لب اللائيكية الفرنسية. وقد مأسس اللائيكيون الفرنسيون الفصل والاستقلالية سنة ١٩٠٥ عندما أقروا قانون "فصل الكنيسة عن الدولة" (Séparation des Églises et de l'État). لذلك سنقصر حديثنا من الآن فصاعدا على "اللائيكية" (laïcité) الفرنسية التي استحالت إيديلوجية تشمل جميع معاني التحرر من الكنيسة ومن كهنوتها وتحرير الدولة والمجتمع منها ومنهم. وهي الإيديلوجية العلمانية التي يسميها عبدالوهاب المسيري (العَلْمانية الشاملة)(٢)، وهي المقصودة على الدوام في خطاب العلمانيين العرب.

بعد تبيين معنى العلمانية بإيجاز شديد، وعدم وجود أية علاقة بين الربط الخاطئ بين (العلمانية) وبين (العِلْم) ونطقها بكسر العين، نعود إلى سؤالنا من جديد: هل العلمانية منهج علمي؟

رأينا أن أعلاه أن العلمانية حركة تهدف إلى التحرر من سلطة الكنيسة على السياسة والمجتمع. من المؤسسات الاجتماعية الأنظمة التعليمية التي كانت سائدة في الغرب قبل عصر التنوير والثورة الفرنسية. كانت

(١) هيرمان ديلاي: "العلمانية والدين" (De Ley Herman, 2007)، الصفحة ٣.

(٢) عبدالوهاب المسيري (١٤٢٣/٢٠٠٢). المجلد الأول، الصفحة ٦١.

تلك الأنظمة خاضعة ـ بدرجات متفاوتة ـ لسلطة الكنيسة. وكانت الكنيسة تعارض أي حركة علمية أو نشاط علمي أو اكتشاف علمي يخالف قناعات الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد) وكذلك أعمال آباء الكنيسة وكبار لاهوتييها. وقد أدت معارضة الكنيسة هذه إلى وقوع مآس كثيرة في التاريخ الأوربي، ليست "قائمة الكتب المحرَّمة" (Index librorum prohibitorum) التي تحتوي على الكتب المحرم على الكاثوليك قراءتها (ألغيت هذه القائمة رسميا سنة ١٩٦٦)، وليست محاكم التفتيش فيما بعد إلا بعض مظاهرها المأسوية. وقد أدى ذلك إلى منع لكتب الفلاسفة والعلماء الذين طوروا رؤى تختلف عن رؤية الكنيسة، كما أدى إلى تحريق مجموعات كثيرة من البشر والكتب بسبب اختلاف الرؤى. وليست واقعة صدام نيقولاس كوبرنيكوس (مات ١٥٤٣) وتلميذه جاليليو جاليلي (مات سنة ١٦٤٢) مع الكنيسة بخصوص ما قالا به من لامركزية الأرض في الفلك إلا فيضا من غيض. ولعل هذا الصدام هو الذي جعل من جاليليو جاليلي ومن "أستاذه" نيقولاس كوبرنيكوس أسطورتين .. فجاليليو جاليلي ونيقولاس كوبرنيكوس عالمان غربيان يحتلان مكانة خاصة في الذاكرة الغربية، ويرى فيهما الكثيرون ثائرين كبيرين واجها لاعقلانية الكنيسة الكاثوليكية آنذاك ليؤسسا بمواجهتهما تلك لثورة علمية كبيرة في الغرب. ومما زاد في أهميتهما أن أعداء الكنيسة الكاثوليكية التقليديين من علمانيين ولادينيين وأنسنيين ودنيويين ودهريين ولائيكيين جعلوا منهما رمزين يمثلان انفتاح العقل وإشراقه مقابل تزمت الدين وانغلاقه .. فاستغل العلمانيون واللائيكيون الغربيون جاليليو وكوبرنيكوس استغلالا كبيرا في ثورتهم على الكنيسة الكاثوليكية التي اضطرت سنة ١٩٨٣ إلى الاعتذار رسميا لجاليليو جاليلي وذلك على الرغم من أن البحث العلمي اليوم أثبت أن مرد سمعة جاليليو

وكوبرنيكوس إنما هو إلى جرأتيهما في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية، وليس إلى إسهامهما العلمي .. ونحن لا نقصد هنا النيل من جاليليو جاليلي ومن "أستاذه" نيقولاس كوبرنيكوس، ما نريد أن نطرحه هنا انعدام وجود أي سبب مقنع لذلك الحماس الذي يدب في أوصال اللائيكيين العرب الذين يستشهدون على العرب والمسلمين بعظمة جاليليو جاليني في مواجته تزمت الدين (اقرأ: الكنيسة الكاثوليكية!)، وشجاعة "أستاذه" كوبيرنيكوس في جرأته على الطعن في صحة رواية العهد القديم التي تذهب إلى أن الرب أوقف الشمس عن الدوران حول الأرض دورة كي يدوم النهار أربعا وعشرين ساعة فيتمكن يشوع من تقتيل أعدائه تقتيلا (انظر سفر يشوع، الإصحاح العاشر) .. والمشكلة تكمن في أن الشمس ـ حسبما أثبت العلم ـ ليست هي التي تدور حتى تتوقف عن الدوران، بل الأرض، مما يثير الريبة في رواية التوراة. فالاستشهاد على المسلمين بأهمية جاليليو وكوبيرنيكوس واستغلال موقف الكنيسة منهما وبطولتهما في سبيل العلم كل ذلك يُفهم على أنه دعوة مبطنة إلى محاربة ما يتوهمونه على أنه "كنيسة إسلامية" وتقليم أظافرها مثلما قلمت الثورة الفرنسية أظافر الكنيسة الكاثوليكية ..

وهذا كله كلام لا يستقيم لأسباب كثيرة أهمها: (١) أن كلام جاليليو جاليلي و"أستاذه" نيقولاس كوبرنيكوس قبله موجود بحذافيره في رسالة "تذكرة في علم الهيئة" لنصير الدين الطوسي المتوفي سنة ١٢٧٤[١] و(٢) أن جاليليو جاليلي و"أستاذه" نيقولاس كوبرنيكوس درسا في جامعة بودوا في إيطاليا التي أسست سنة ١٢٢٢. يقول الأستاذ ميشيل ليزينبرغ في كتابه "تاريخ الفلسفة الإسلامية"، عند شرحه لنظام الطوسي الفلكي

(١) انظر Ragep F.J. (1993).

ومقارنة نظام كوبيرنيكوس الفلكي به: "وهكذا نرى أن نظام كوبيرنيكوس الفلكي يتطابق مع نظام الطوسي الفلكي ويلتقي معـه حـتى في التفاصـيل الدقيقة. إن الفرق الوحيد بينهما هو أن كوبيرنيكوس يجعل الشمس وليس الأرض في المركز. ولا يشك منظرو العلم الذين يُعَوَّل عليهم اليوم في أن كوبيرنيكوس عرف نظام الطوسي الفلكي [وانتحله!] .. بل يختلفون فيمـا بينهم في كيف [والتوكيد للكاتـب] عـرف كوبيرنيكـوس نظـام الطوسـي الفلكي"(١). يقول: إن العلماء اليوم لا يختلفون عن انتحال كوبرينيكـوس لنظام الطوسي الفلكي .. بل يختلفون في الكيف .. ونحن لا ندري كيـف فات الكاتب وهـؤلاء العلمـاء أن جـاليليو جـاليلي و"أسـتاذه" نيقـولاس كوبرنيكوس درسا في جامعة بودوا في إيطاليا التي أسست سـنة ١٢٢٢، وأن جاليليو درّس بها أيضا، وأن العلوم الـتي كانـت تـدرس في جامعـة بودوا هي العلوم الإسـلامية .. وهـي العلـوم الـتي كـان يدرّسـها عـرب مسلمون وعرب نصارى ومستعربون .. إذن المشكلة، مشكلة العلاقة بين العلم والدين مشكلة لاهوتية نصرانية لا شأن للإسلام والمسـلمين بهـا، ولا يجوز عكسها على واقع إسلامي لم يكن يعرف هذه المشـلكة لا مـن قريـب ولا مـن بعيـد .. وفي الاستشـهاد بكوبرنيكـوس وجـاليلي علـى المسلمين – والحالة هذه – مزايدة مبعثها الجهل بالتاريخ أولا ثم الابتلاء بداء الملكية أكثر من الملك .. فهـذا حـديث سـبقهما إليـه أحـد علمـاء المسلمين ـ وهو نصير الدين الطوسي ـ بثلاثة قرون على الأقل .. وحسب علمنا لم يطارد نصير الدين الطوسي أحد بسبب اكتشافه العلمي الرائـد، ولم تدنه "الكنيسة الإسلامية" ـ التي يُراد بمثل هذا الاستشهاد أن يُفترض وجودها افتراضا تمهيدا لترسيخ وجودها في الأذهان والإقـرار بوجودهـا في نهاية المطاف ..

---

(١) انظر Leezenberg M. (2008) صفحة ٣٠٥.

خاتمة :

نستنتج مما تقدم أن مصطلح (عَلْمانية) وُضِعَ في العربية أولا للدلالة على: (أ) مفهوم (العَلْمانية) القديم أي جعل الشيء عاميا بعكس الكهنوتي (= "عَوْمَنَة"). ثم حُمِّل مصطلح (العَلْمانية) في العربية: (ب) مفهوم "الدنيوية؛ الدهرية" (secularism) الذي نشأ في إنكلترا سنة ١٨٥١، و(ج) مفهوم الإيديولوجة العَلْمانية "اللائيكية" (laïcité) الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سنة ١٨٧١ للدلالة على هذه الإيديولوجية فيها.

ثم حُمِّل المصطلح لدى أكثر الناس معانٍ أخرى مثل (الإلحاد). وتحميل أكثر الناس مصطلح العَلْمانية معنى (الإلحاد) هو عملية تأويلية معنوية مماثلة لتحميل العَلْمانيين العرب مصطلح العلمانية معنى (العِلْم) بكسر العين .. فمثلما يؤوِّل العَلماني العربي العَلمانية على أنها منهج علمي ويسحب تجربة الصراع بين العلماء الغربيين والكنيسة الغربية على الإسلام ليرتكب بذلك خطأ منهجيا تاريخيا ـ ذلك أن الإسلام لم يعرف في تاريخه صراعا بين أهل النقل والعقل يمكن أن يقارن، ولو بنسبة ضئيلة جدا، بالصراع المرير بين أهل العلم والنقل في الغرب قبل عصر النهضة فيه ـ فكذلك يؤوّل المتلقي العربي ـ حتى المثقف ثقافة عالية ـ العَلْمانية على أنها إلحاد وكفر وهرطقة غربية .. فالعربي لا يثق كثيرا بالعَلْمانية، سواء أكان يعرف تاريخها ومفاهيمها الأصلية أم لا، وذلك لأسباب لا يتسع المقام هنا لذكرها. من تلك الأسباب: التنوع النسبي داخل تجربة العَلمانية الغربية، منذ نشأتها وحتى اليوم، وخصوصا التمايز المعروف بين عَلْمانيتين اثنتين، واحدة بمثابة تيار مدني إنسني عام يدعو إلى التحرر من هيمنة الكنيسة دون إلغائها (يسميها عبدالوهاب المسيري:

"العلمانية الجزئية")، نجدها في كل دول الغرب بدرجات متفاوتة. وأخرى بمثابة إيديولوجية سياسية حركية (يسميها عبدالوهاب المسيري: "العلمانية الشاملة") تقوم عليها الدولة، نجدها في فرنسا وتركيا فقط .. ففرنسا وتركيا هما الدولتان الوحيدتان اللتان تطبقان العلمانية تطبيقا شموليا يهدف إلى إلغاء دور الدين كليا من المجتمع .. لذلك يطلق خصوم هذا التيار عليه اسم (اللادينية) بامتياز. بل إن الأتراك استعملوا هذا المصطلح برهة للدلالة على هذه الإيديولوجية العَلْمانية قبل استعارتهم الكلمة الفرنسية layk وكذلك laiklik لأنها أقل إثارة لمشاعر المسلمين الأتراك من "لاديني" (ladini) التي استعملوها في بداية القرن العشرين[١]. ولعل رمي أكثر العرب والمسلمين علمانيي العرب بالإلحاد ناتج عن كون معظم العلمانيين العرب ـ على الأقل من نقرأ لهم ـ من أتباع الإيديولوجية العلمانية الفرنسية، وهي العَلمانية الشاملة التي تدعو إلى فصل الدين عن الدولة بالقوة، وإخراج الدين كليا من الحياة العامة. فلقد أخفق أتباع التيار العلماني واللائيكي العربي إخفاقا كبيرا في استقراء التراث الإسلامي استقراء يمكنهم من تطوير العقلانية الحاضرة بقوة فيه بدلا من استيراد إيديولوجية علمانية فرنسية متطرفة تطرفا له ما يبرِّره تاريخيا في الغرب، ولكن ليس له ما يبرِّره عند العرب والمسلمين، لا في الماضي ولا في الحاضر.

وعليه فإنه يبدو مما سبق بجلاء ألا علاقة بين مصطلح العَلْمانية وبين العِلْم، مهما كانت تلك العلاقة ضئيلة. ونحن لا نشك في أن خلط هذه المفاهيم كلها في كلمة (عَلْمانية) ثم نقطها بكسر العين للإيحاء بأنها من

(١) انظر برنارد لويس (Lewis B., 1988)، صفحة ٣.

العِلْم أو أنها منهج علمي، إنما هو خلط مثير للاستغراب وربما الشبهة، لأنه يهدف إلى ترسيخ مصطلح لا تستسيغه البيئة العربية الإسلامية بأساليب غير طبيعية .. وقد يفيدنا البحث في المجلات التي كانت تصدر ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ـ مثل المقتطف والمقطم وغيرهما ـ في استقراء عملية التوسع الدلالي الذي شهده آنذاك مصطلحُ (العَلْمانية) ليشمل معنَيَيْ "الدنيوية" (secularism) واللائيكية (laïcité) .. في أثناء ذلك نقترح تمييز المفاهيم الثلاثة المجتمعة في كلمتنا (عَلْمانية) بثلاثة مصطلحات مختلفة كما يلي:

١. قصر استعمال مصطلح (العَلْمانية) للدلالة على المفهوم القديم laicism/laïcisme الذي يعني "جعل الشيء عاميا" فقط (ويرادفه في هذا المعنى: مصطلح "عَوْمَنة" الذي اخترعناه لشرح المفهوم الأصلي).

٢. استعمال مصطلح "الدنيوية" للدلالة على مفهوم الـ secularism الذي نادى به جورج هوليوك سنة ١٨٥١. (ويرادفه في هذا المعنى: مصطلح "الدهرية").

٣. استعمال اللفظ المنقحر "لائيكية" للدلالة على "الإيديولوجة العلمانية" الفرنسية laïcité الذي أدخل في الاستعمال في فرنسا سنة ١٨٧١. (ويرادفه في هذا المعنى: "اللادينية").

مراجع بالعربية

- بطرس البستاني (١٩٨٧). محيط المحيط. مكتبة لبنان، بيروت.
- برنارد لويس (٢٠٠٩). أين الخطأ: التأثر الغربي واستجابة المسلمين. ترجمة د. محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- رفاعة الطهطاوي (١٩٩٣). تخليص الإبريز في تلخيص باريز. القاهرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- ساويرس ابن المقفّع (١٩٧٨). كتاب مصباح العقل. سلسة التراث العربيّ المسيحيّ ١. تقديم وتحقيق خليل سمير، القاهرة.
- عبدالله البستاني (١٩٢٧). البستان. مجلدان المطبعة الأمريكانية. بيروت.
- عبدالوهاب المسيري (١٤٢٣/٢٠٠٢). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. دار الشروق. مجلدان.
- المعجم الوسيط . إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٥. مجلدان.

مراجع باللغات الأجنبية

- Barthélemy A. (1935). Dictionnaire arabe–français. Paris. 2 tom.
- *"Genèse du concept de* .BAUBÉROT, Jean (1996) Bozdémir (dir.), *Islam et laïcité en occident"*, in: M. *laïcité. Approches globales et régionales*, Paris 1996, pp. 13-26.
- P.L. (1990). *The Sacred Canopy*, New York. Berger
- Brockelmann C. (1925). *Syrische Grammatik met Paradigmen, Literatur, Chrestomathie und Glossar*. Berlin. Reuther & Reichard.
- *yriacum.* Hale. *S*Brockelmann C. (1928). *Lexicon* Sumptibus M. Niemeyer.
- *Dictionnaire de* Buisson Ferdinand (1982-1987). *pédagogie et d'instruction primaire* (deux éditions, en 1887 et en 1911). – Réédition: Alcan, Paris, 1929.
- Buisson Ferdinand, *La foi laïque : extraits de discours et d'écrits, 1878-1944*, Latresne (Gironde):

le Bord de l'eau, collection « Bibliothèque républicaine », 2007, 297 p.

- Chadwick O. (1975). *The Secularization of the European Mind in the 19th Century*. Cambridge 1975.
- De Ley H. (2007). *Secularisme & Religie*. Cursusmateriaal van prof. dr. em. Herman De Ley. http://www.flwi.ugent.be/cie/RUG/deley33.htm
- Dozy R. (1881). *Supplement aux Dictionnaires Arabes*. II tom. Leyde.
- Ellious Bocthor (1828-1829). *Dictionnaire français-arabe*. Revu et augmenté par Caussin de Caussin de Perceval. Paris (3° édition, 1864).
- **(1830-1837).** *Lexicon Arabico-* **W . FREYTAG, G** *Latinum praesertim ex Djeuharii Firuzabadiique et aliorum Arabum operibus adhibitis Golii quoque et aliorum libris confectum.* Halis Saxonum: C.A. Schwetschke et filium.
- Gasselin E. (1886). *Dictionnaire Français-Arabe (Arabe vulgaire - Arabe grammatical)*. Paris, Ernest Leroux Editeur. 2 tom.

- Goshen-Gottstein M.H. (1970). *A Syriac-English Glossary etc*. Otto Harrassowitz. Wiesbaden.
- Kazimirski A. (1860). *Dictionnaire arabe–français*. Paris, Maisonneuve et Larose, 2 vol.
- Klein E. (1987). A Comprehensive Etymological Dictionary of the Hebrew Language for the Readers of English. New York.
- Koehler L. & Baumgartner W. (1953). Lexicon in Veteris Testamenti Libros. Leiden.
- Lane E. W. (1863-93). Arabic-English Lexicon ... VIII vols. London.
- Leezenberg Michel (2008). Islamitische Filosofie. .Een Geschiedenis. Bulaaq, Amsterdam
- Le Grand Robert de la Langue Française. Montréal; 1985.
- Lewis B. (1988). The political language of Islam. Chicago.
- Ragep F.J. (1993). Nasir al Din al-Tusi's Memoir on Astronomy (al-tadhkira fi ilm al-hayya). II vols. New York/Berlin: Springer

السيرة العلمية:

أ.د. علي سيد أحمد جعفر

- ماجستير في أصول اللغة عام ١٩٨٤م.
- دكتوراه في دراسة وتحقيق كتاب (الشمعة المضية بنشر القراءات السبعة المرضية) عام ١٩٩٤م.
- أستاذ مساعد (مشارك) في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بالمنوفية عام ١٩٨٩م.
- أستاذ أصول اللغة في كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بالمنوفية عام ٢٠٠١م.
- يعمل الآن أستاذ أصول اللغة بجامعتي الطائف والأزهر.
- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

تضجع قيس
في ضوء علم اللغة الحديث

أ. د. علي سيد أحمد جعفر

في أثناء قيامي بتدريس مادة (أصول اللغة) لطلاب السنة الأولى بالدراسات العليا، قسم اللغويات في كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بالمنوفية، عام٢٠٠٠/٢٠٠١م، اخترت لهم من كتاب (لهجات العرب) للمرحوم / أحمد تيمور، طبعة ١٩٧٣م بعض الموضوعات التي كان منها موضوع بحثنا هذا، وعنوانه: التضجع " إمالة الحرف إلى الكسر" وجاء البحث عن هذا الموضوع ضمن الكتاب المذكور في صفحة واحدة (ص١٢٨)، كالتالي:

التضجع

إمالة الحرف إلى الكسر

- (في موارد البصائر: ٢٦٥) ذكره لقيس ولم يفسره.
- وكذلك في (المزهر ١/١٠٤)، ولم يفسره.
- وفي (القاموس): والإضجاع في القوافي كالإكفاء أو كالإقواء، وفي الحركات كالإمالة والخفض .
- وفي (شرح القاموس) يقال: أضجع أي: أمال الكسر .
- وفي (خزانة البغدادي ٤/٤٩٦): ذكره لقيس ولم يفسره.

وهكذا كانت المعلومات الـواردة عنـه مجـرد ومضـات أو إشـارات خاطفة، اعتبرتُها بمثابة مفاتيح للـدخول إلى قاعـة البحـث والتنقيـب في المظان اللغوية عن هذه الظاهرة اللهجية، وقلت في نفسي: ما المـانع أن يكـون ذلـك في بحـث - ولـو جـاء صـغيرا - يقفنـا علـى حقيقـة هـذا الموضوع، ويفسر لنا ذلك الغموض الذي يكتنفـه، حبـذا لـو بُحِـث في ضوء معطيات الدرس الصوتي واللهجي من علم اللغة الحديث.

ويمر كثير منا - نحن المتخصصين في أصـول اللغـة (علـم اللغـة) - بهذا المصطلح الصوتي اللهجي عند الحديث عن فصاحة قريش وأهلها، تلك اللهجة التي نزل القرآن الكريم بها في غالب أمره، أو عند الحـديث عن اللهجات المذمومة أو الرديئة أو غير الفصيحة أو ما دون لهجة قريش عموما.

أقول: يمر كثير منا بهذا المصطلح دون أن يلفت أنظارهم أو يتوقفـوا عنده أو يتلبثوا به كثيرا لسبب أو لآخر.. اللـهم إلا مـا كـان مـن خـبيري مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الأسـتاذ / بخـاطره الشـافعي، والـدكتور/ عبد الصبور شاهين اللذيْن كتبا بحثا يحمل نفس العنوان، (تضجع قـيس) وهو بحث تأصيلي مُوَثَّق، يحمـل نصوصـا كـثيرة في غالبـه منسـوبة إلى مصادرها الأصلية، أكثر من بحث مُفَلْسَف[1]. وقد ألقي هذا البحـث في المجمع سنة ١٩٧٥م.

---

(١) ألقي هذا البحث في الدورة الخامسة والأربعين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعرض الخبيران المذكوران فيه طائفة من المصطلحات اللهجية عند القدماء.
انظر مجمع اللغة العربية في خمسين عاما، ص ١١٦. =

ثم ما كان من الزميل الدكتور / حسن سيد فرغلي في كتابه (المستويات اللغوية في لهجة قيس)، وقد ظهر سنة ٢٠٠/م وخصص تضجع قيس في صفحتين اثنتيْن.

هذا، وتفسير الغامض، أو شرح المستغلِق أحد وجوه التأليف المعتدِّ بها.

قال شمس الدين البابلي (ت ١٠٧٧ه) لا يؤلف أحد كتابا إلا في أحد أقسام سبعة، لا يمكن التأليف في غيرها وهي:

١- إما أن يؤلف في شيء لم يُسبق إليه يخترعه.

٢- أو شيء ناقص يُتِمُّه.

٣- أو شيء مستغلِق يشرحه.

٤- أو شيء طويل يختصره، دون أن يخل بشيء في معانيه.

٥- أو شيء مختلِط يرتّبه.

٦- أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبيِّنه.

٧- أو شيء مُفَرَّق يجمعه.

وموضوعنا من الصنف الثالث، حيث الظاهرة مستغلِقة نحاول شرحها بإذن الله.

= ثم نشر البحث بكامله في كتاب المجمع (اللهجات العربية .. بحوث ودراسات) تحت عنوان"المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة) ص ٢٠٥-٢٣٠، وخُصَّ (التضجع) منها بخمس صفحات فقط (ص ٢٢٦-٢٣٠).

جغرافية شبه جزيرة العرب، وأهم قبائلها

ينبغي لمن يتصدى للبحث في اللهجات العربية أن يعرف مواطن القبائل العربية وانتقالها وجيرانها وشركاءها في هذه المواطن التي تحتلها، حتى يتسنى له أن يعرف مدى تأثر هذه اللهجات بعضها ببعض. فدراسة القبيلة تاريخيا وجغرافيا ليس غاية تقصد لذاتها في بحث لغوي كهذا البحث، ولكنها وسيلة مهمة في إلقاء الضوء على جوانب الموضوع وتحقيقه تحقيقا علميا يؤدي بالدارس إلى النتيجة التي يهدف إليها من وراء هذا البحث[١].

وقد ذهب بعض الجغرافيين العرب إلى تقسيم شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام رئيسية وهي: الحجاز، وتهامة، ونجد، والعروض، واليمن[٢].

كما قسم بعض النسابين العرب إلى طبقتين رئيسيتين هما:

أ- العرب البائدة ب- العرب الباقية

ثم يقسمون العرب الباقية إلى طائفتين ، هما:

---

(١) لغة هذيل (١٩).

(٢) اعتمدتُ في هذا التقسيم مُلَخَّصا على ما جاء في بداية كتاب (اللهجات العربية في كتاب سيبويه ١٨-٦٦) ؛ لأن صاحب الكتاب وثق معلوماته من الصادر المطلوبة التي راجعها شيخ جغرافيي الجزيرة العربية المُحْدَثين: حمد الجاسر، صاحب (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية)، وأهل مكة أدرى بشعابها كما يقولون.

وراجع كذلك: العرب قبل الإسلام (٩-١٥)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام١ (١٦٧-١٨٥).

١- العرب العاربة (القحطانية أو الجنوبية).

٢- العرب المستعربة (العدنانية أو الشمالية).

أ- العرب البائدة :

هم الذين بادت حياتهم وحضارتهم عن طريق الإهلاك الجماعي لهم ولقراهم في القديم، مثل قبائل عاد، التي كانت تسكن في جنوبي الجزيرة العربية[٣] ولحيان، وثمود، والصفويين وكانوا يسكنون شمال الحجاز بالقرب من الحدود الآرامية، ولا سيما في واحات: تيماء، والحجر (مدائن صالح)، ومنطقة العلا.

وقد وصلتنا لهجاتهم عن طريق بعض النقوش المكتشفة في المناطق السابقة، في مساحات ممتدة من دمشق إلى منطقة العلا، لاسيما في واحتي الحجر وتيماء[٤].

كذلك من أشهر القبائل التي بادت قبيلتا: طَسْم، وجَدِيس، اللتان كانتا في منطقة اليمامة من وسط بلاد العرب[٥].

ويوضح الدكتور/ محمد بيومي مهران- وهو من المتخصصين في تاريخ العرب القديم- هذا الأمر بقوله:

وربما كان المقصود بلفظة (بائد) عدم وجود أحد من العرب ينتسب إلى هذه القبيلة أو تلك عند كتابة المؤرخين الإسلاميين لتاريخ ما بعد الإسلام.

(٣) اللهجات العربية نشأة وتطورا / ٨١

(٤) العربية خصائصها وسماتها: ١٥٨-١٥٩

(٥) العرب قبل الإسلام ص ١٣

وتتمثل العرب البائدة لدى المؤرخين في قبائل: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وعبيل، والعماليق أو العمالقة، وحضوراء، ومَدْيَنَ أو المدينيين، والصَّفَويين[٦].

ب – العرب الباقية:

هم الذين استمرت حياتهم وحضارتهم إلى اليوم، وهم قسمان:

١- العرب العاربة:

هم القحطانيون، نسبة إلى قحطان.

واختلف في نسب قحطان هذا، فهناك من نسبه إلى هود -عليه السلام-، ومنهم من نسبه إلى سام بن نوح. وقد نسل قحطان: يعرب، وخلَّف يعربُ يشجب، وأنجب يشجب: سبأ، وولد لسبأ عدد من الأولاد، منهم حمير وكهلان، ومنهم تفرعت القبائل والبطون، وكانت منازلهم باليمن، في موضع يقال له حِمْيَر، غرب صنعاء، يقول المسعودي وإنما العقب من ولد هذين، ويقول ابن حزم: وفيهما العدد والجمهرة[٧].

يقول الدكتور/ مهران: أما العرب الباقية.. فلعلنا نعني بهم: تلك الجماعات التي كانت – وما تزال – تعيش في هذه المنطقة، وسوف تعيش إن شاء الله إلى أن يغير الله الأرض غير الأرض، وإن حضارتها

(٦) انظر: دراسات في تاريخ العرب القديم (١٥٥-١٩٥).
وراجع- كذلك- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٩٨-٣٥٣).

(٧) اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه (٣٥-٣٦)، بتصرف يسير، نقلا عن مصادر قديمة

مستمرة يتوارثها جيل بعد جيل، وإن كل جيل يضيف إليها، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويتكونون من بني يعرب بن قحطان، وبني معد بن عدنان[٨].

وقد نَقَلَ إلينا العربيةَ الباقيةَ عن طريق بقايا الناس الذين بقوا فلم يبيدوا مع العرب البائدة، وكانوا يحملون لغة الآباء[٩].

هذا ونقتصر – في عجالة – على ذكر القبائل والبطون المشهورة من هذين الفرعين:

الفرع الأول : حِمْيَر.

تفرع من حمير عدةُ قبائل، من أشهرها: قضاعة التي كانت بلادها متصلة ببلاد الشام.

وقد تفرع من قضاعة بطون عدة منها:

١- بَلِيّ ٢- جُهينة ٣- عَذْرَة ٤- كلب ٥- بنو الْقَيْن ٦- بَهْراء ٧- تَنُوخ ٨- مَهْرَة.

الفرع الثاني : كهلان.

وقد تفرعت من كهلان عدة قبائل، من أشهرها:

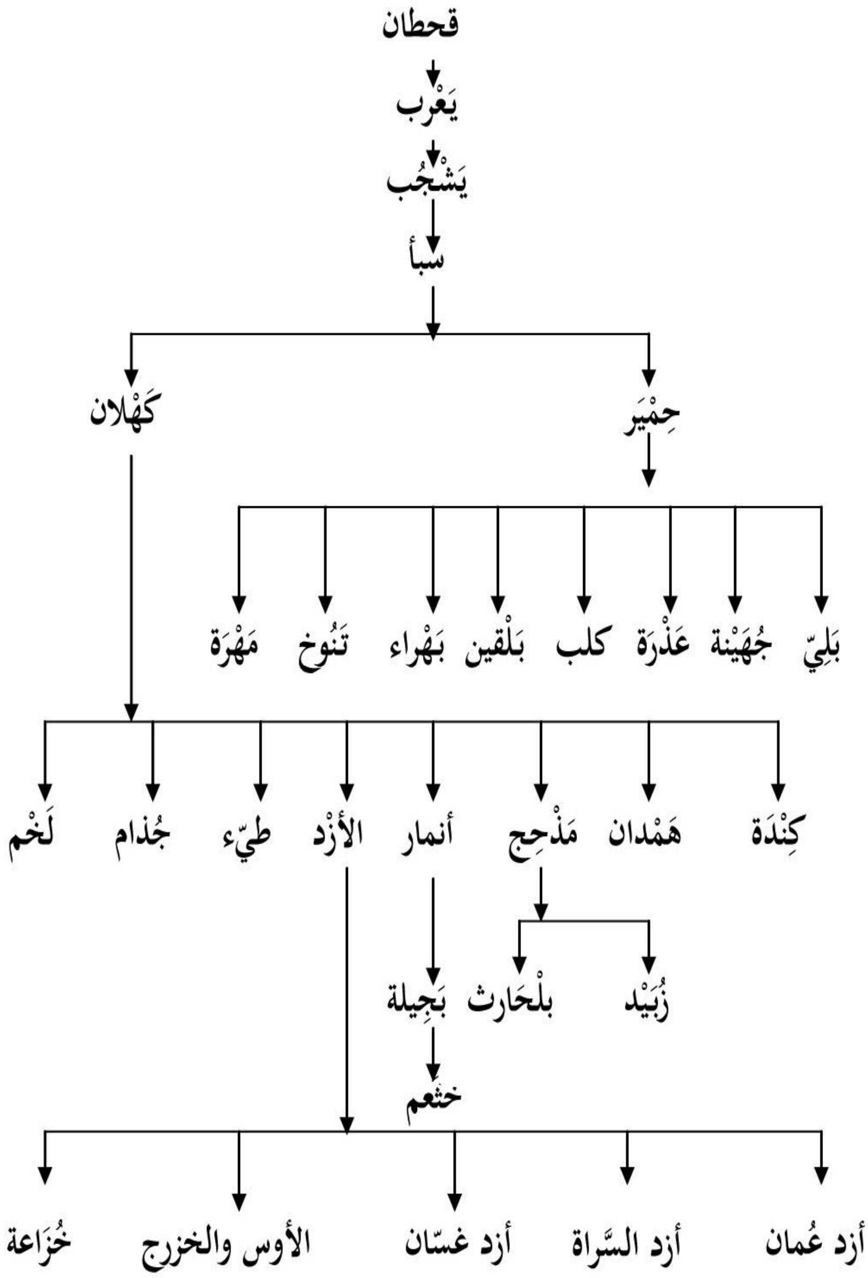
١- كِنْدَة ٢- هَمْدان ٣- مَذْحِج ٤- بَجيلة ٥- الأزد ٦- طيِّئ ٧- جُذام ٨- لَخْم ٩- أنْمار، التي كان من أَشهر بطونها خَثْعَم.

وهاكم شجرةً تضم القبائل القحطانية التي سبق ذكرها مجملة[١٠]:

(٨) دراسات في تاريخ العرب القديم (١٥٦).

(٩) اللهجات العربية نشأة وتطورا (٨١).

(١٠) اللهجات في الكتاب لسيبويه ٤٣-٥٠ ملخصا.


قحطان
يَعْرُب
يَشْجُب
سبأ
حِمْيَر
كَهْلان
بَلِيّ
جُهَيْنة
عَذْرَة
كلب
بَلْقين
بَهْراء
تَنُوخ
مَهْرَة
كِنْدَة
هَمْدان
مَذْحِج
أنمار
الأَزْد
طيّء
جُذام
لَخْم
زُبَيْد
بلْحَارث
بَجِيلة
خثعم
أزد عُمان
أزد السَّراة
أزد غسّان
الأوس والخزرج
خُزَاعة

٢- العرب المُسْتَعْرِبة :

هم العدنانيون: وقد اتفق المؤرخون على أنهم من ولد عدنان، الذي يرجع إلى نسبه إلى إسماعيل عليه السلام.

ويذكر النسبون أنه ولد لعدنان، معد، وعك، وولد لمعد:نزار، وولد لنزار ولد منه: مضر، وربيعة، ومنه تفرعت القبائل والبطون العدنانية، تماما كما تفرعت عن حمير وكهلان القبائل والبطون القحطانية.

الفرع الأول : مُضَر

انقسمت مضر إلى قسمين عظيمين هما: خِنْدِف، وقَيْسُ عَيْلَان.

فخندف: وَلَدَ إلياسَ بنَ مُضَرَ، وهي قبائل عدة منها: تميم، والرِّباب، وهذيل، وكِنانة، وقريش.

أما قيس عيلان، فهو: الناسُّ بن مُضَرَ (بتشديد السين) ، وسيأتي.

وقيس عيلان قبائل عدة، منها:

١- ثقِيف، وكانت ديارهم بالطائف.

٢-هوازن: وكانت ديارهم في السَّرَوات المتصلة بسروات هذيل، وبالتالي يقع جزء كبير منها في نجد.

ومن هوازن: بنو سعد الذين كان الرسول -ﷺ- رضيعا فيهم، وكانوا بنجد شرق مكة[١١].

٣- سُليم: وكانت ديارهم في المنطقة التي تسمى عالية نجد قُرْب المدينة.

٤- غَطَفان: ومن أشهر فروعها: عبس، وذبيان، وفزارة.

٥- غَنِيّ: وكانت ديارهم فيما بين طئ وأسد.

الفرع الثاني : رَبيعة

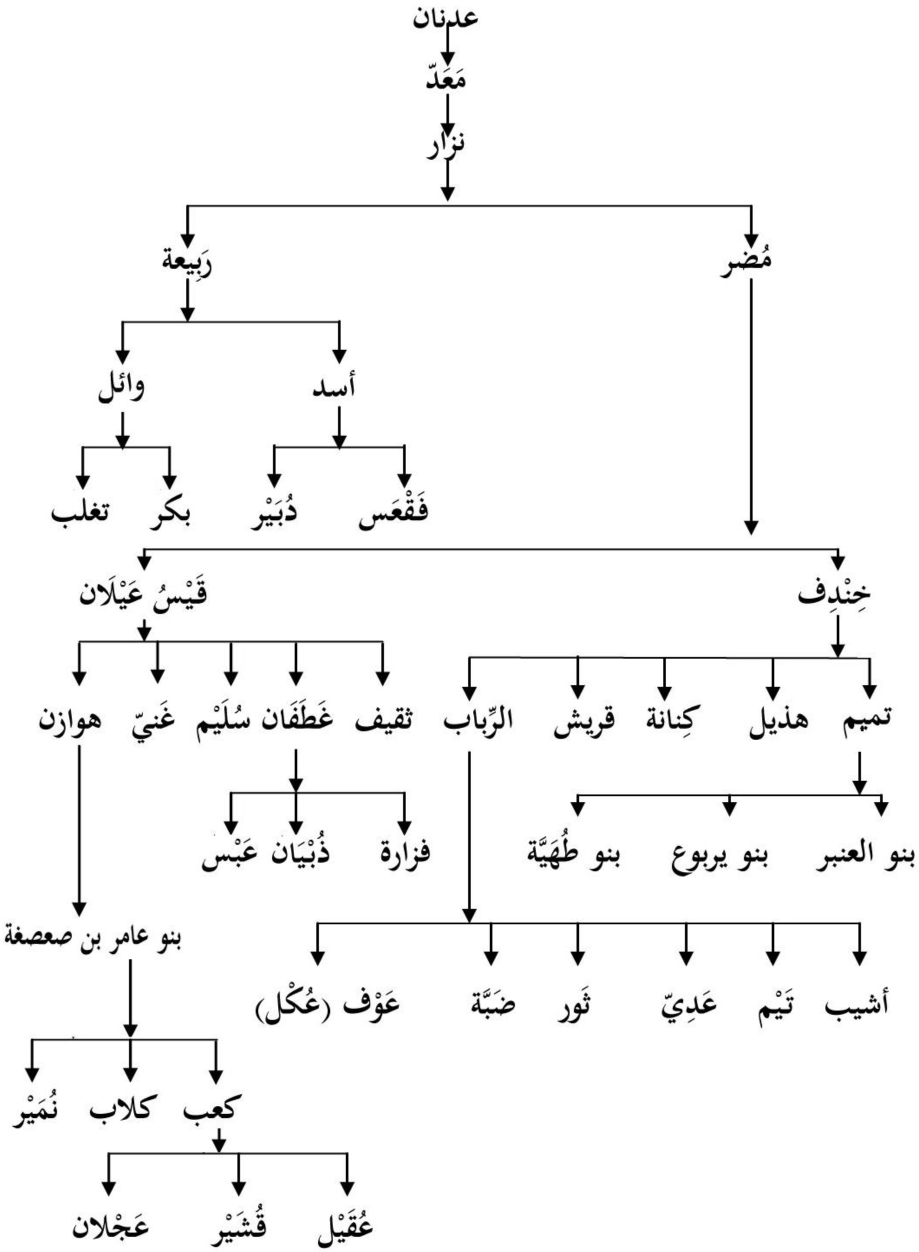
كانت منازل ربيعة ما بين الجزيرة والعراق، وقد تفرعت هذه القبيلة الكبيرة إثر الحروب التي نشبت بين أبنائها في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية، ومن أشهر قبائلها:

١-أسد. ومن أشهر بطونهم:بنو دُبَيْرٍ ، وبنو فَقْعَس.

٢- وائل. ومن أشهر بطونهم: بكر بن وائل، وتغلب.

وهاكم شجرة تضم القبائل العدنانية التي سبق ذكرها مجملة.

(١١) اللهجات العربية في التراث (١/٤٥).


عدنان
مَعَدّ
نزار
مُضر
رَبِيعة
أسد
وائل
فَقْعَس
دُبَيْر
بكر
تغلب
خِنْدِف
قَيْسُ عَيْلَان
تميم
هذيل
كِنانة
قريش
الرِّباب
ثقيف
غطَفَان
سُلَيْم
غَنيّ
هوازن
بنو العنبر
بنو يربوع
بنو طُهَيَّة
فزارة
ذُبْيَان
عَبْس
بنو عامر بن صعصعة
أشيب
تَيْم
عَدِيّ
ثَور
ضَبَّة
عَوْف (عُكْل)
كعب
كلاب
نُمَيْر
عُقَيْل
قُشَيْر
عَجْلان

قَيْس عَيْلان

يقال في اللغة: قاس يقيس قَيْسًا وقياسا، فقَيْسُ: مصدر، والقَيْس: الشدة [(١)].

وعيلان – بفتح العين – فمن قولهم: عال يَعِيل عَيْلا وعَيْلة، افتقر وكثر عياله، فهو عائل وعَيَّال، والجمع عالة وعُيَّل [(٢)].

وقيس: هو: النَّاسُّ- بتشديد السين وتخفيفها - بن مضر، بمعنى: اليابس، من قولهم: نسَّت الخُبْزَةَ تَنِسُّ نَسًا إذا يَبِ سَتْ. [(٣)]

و(في فقه اللغة) للثعالبي: النسُّ: الخبز اليابس.

ويقول محقق الكتاب في هذا الموضع: في الصحاح (نس) ٣/ ٩٨٣: قال الأصمعي النسُّ: اليُبْسُ وقد نسّ ينُسُّ وينِسُّ نسًّا. أي: يبس، يقال: جاء بخبزةٍ ناسّة.

أو من قولهم، نسَّ الإبل، إذا أطلقها وحلّها أو ساقَها سَوْقَا شديدًا، أو زَجَرَها، وما إلى ذلك [(٤)].

وقد يكون التفسير الثاني هو المراد؛ لأن العرب تقصد تسمية الأعلام قصدا، وملحظ التسمية في غالب الأمر تفاؤلي، فالناسُّ سُمِّي بذلك تفاؤلا بحسن رعايته للإبل والشاء وغيرها.

---

(١) المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٠)، وترتيب القاموس (٣/ ٧٢٢-٧٢٣).

(٢) السابقان.

(٣) المعجم الوسيط (٢/ ٩٥٤)، ولسان العرب (قيس)، والاشتقاق لابن دريد (٢٦٥).

(٤) فقه اللغة للثعالبي (٧٧).

وانظر: الاشتقاق لابن دريد (٢٦٥).

أو يمكن القول بأنه سمي بذلك تفاؤلا بأن يكون راعيا ناسًّا يحسن رعاية السائمة ويسوقها ويحسن هذا العمل ويجيده.

ولا مانع أن يقال: من الجائز أن يراد هذا أو ذاك، وهذا هو الأرجح، حيث الشدة مع الحِذق عند رعاية السوائم في الصحراء الشاسعة التي لا تخلوا من الضواري أمران مطلوبان في الراعي.

وأما (عَيْلان): فأرجح ما قيل في سبب تلقيبه بهذا اللقب: أنه كان فقيرا، وكان يسأل أخاه إلياس، (خِنْدِفا) فقال له: إنما أنت عيال عليْ، فَسُمِّي عيَلان[٥]، وقيل كان جوادا أتلف ماله فأدركتْه عيلة، فسمي عيلان![٦]

وعلى هذا: فكل من (قيس)، و(عيلان): لَقب لكل من: (الناسِّ)، وأبيه (مضر). قال الجوهري: قيس أبو قبيلة من مضر، وهو قيس عيلان، واسمه: الناسُّ بن مضر بن نزار، وقيس: لقبه[٧].

وقيس عيلان بالإضافة[٨]، وليس له سَمِيٌّ[٩]، إذ ليس في العرب (عيلانُ) غيره. ويقال: هو لقب مضر، لأنه يقال: قيس بن عيلان[١٠].

أما (قيس) عند الإطلاق: فتطلق على ذلك الشعب العظيم الذي ينتسب إليه قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

---

(٥) اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه /٥٨

(٦) تاج العروس: ١٥/ ٥٣٤

(٧) وفي الصحاح ٣/٩٦٨

(٨) تاج العروس:٨/ ٤٣٤

(٩) السابق ١٥/ ٥٣٤

(١٠) الصحاح٥/ ١٧٧٩(قيس)

وقد تشعب (قيس) إلى ثلاث بطون: من: كعب، وعمرو، وسعد. بَنِيه الثلاثة[١١].

هذا، وهناك قبائل كاملة، أو فروع منها تدعى قيسا قيل إنها غير قيس التي نحن بصدد الحديث عنها. فهناك:

١- قيس: من قبائل الشرقية بمصر.

٢- قيس: فرع من قحطان عسير.

٣- قيس: من قبائل اليمن، تقيم في شرقي صنعاء.

٤- قيس: قسم من قبيلة رجال ألمع، التي تمتد ديارها ما بين أنمار وصبياء، وفيهم رياسة رجال ألمع.

٥- قيس: بطن من قضاعة، من القحطانية .. كانت مساكنهم بالأطفيحية من الديار المصرية.

٦- قيس: بطن من لخم، من القحطانية.

٧- قيس بن ثعلبة، بطن عظيم من بكر بن وائل.

٨- قيس بن ثوبان، من خزاعة.

٩- قيس بن جزء، بطن من بني كلاب.

١٠- قيس بن سعد، بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية.

(١١) معجم قبائل العرب /٩٧٢

١١- قيس بن طريف، بطن من أسد بن خزيمة، من العدنانية.

١٢- قيس بن عامر، بطن من هَمْدان، من القحطانية، منهم الأعشى الشاعر.

١٣- قيس بن علي، يقطنون إحدى قرى (لَحَج) بشبه جزيرة العرب الجنوبية.

١٤- قيس بن عَنان، بطن من طئ من كهلان، من القحطانية.

١٥- قيس عمرو، بطن من ذهل بن شيبان، من العدنانية.

١٦- قيس بن الغوث، بطن من كهلان، من القحطانية

١٧- قيس كبة، بطن من بَجِيلة، من كهلان، من القحطانية.

١٨- قيس بن مالك، بطن من حنظلة بن مالك، من تميم، من العدنانية.

١٩- قيس: بطن من آل عامر بن صعصعة بن قيس بن عيلان، من العدنانية، كانت منازلهم بالبحرين.

٢٠- قيس بن مرهبة، من همدان، من القحطانية.

٢١- قيس بن هرثمة بطن من وادعة من القحطانية. *

* راجع: معجم القبائل العربية (٣/٩٧٠- ٩٧٣). =

وعن مساكن (قيس) المختلفة.. يقول البكري: قيس هـذه مـن تهامـة طالعين إلى بلاد نجد إلا قبائل منهم، فانحـازت إلى أطـراف الغـور مـن تهامة[١٢] مثل هوازن[١٣].

ويقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي: قبائل قيس التي في وسـط الجزيرة، وثبت أن بعـض قبائلـها وبطونهـا كانـت تعـيش في الحجـاز، وبعضها الآخر في نجد [١٤]. ويقول في موضع ثان: إن قيسا كانت شـعبا عظيما تفرق إلى عدة قبائـل، وتوزعـت قبائلـها علـى محـيط شاسـع في الجزيرة العربية، وبعض قبائلها كانت في وسط الجزيرة كعُقَيْـل وغَنِـيّ، وبعضها الآخر كان يسكن الحجاز[١٥]. ويقول في موضع ثالث: إن قيسـا من القبائل الضخمة ذات الشعب والفصائل المتفرقـة في شـرق الجزيـرة وغربها[١٦]. ويقول في موضع رابع: تَرَجَّح أن قبائل قـيس منـها مـا كـان يجاور الحجاز كغطفان، ومنها مـا كـان يجـاور منـاطق الشـرق كغـني، والذين كانوا يجاورون الحجاز: من الحضر، وما كان منها متصـلا بأسـد وتميم: من البدو[١٧].

= ومن الجائز أن تكون بعض هذه البطون التي تتسمى قيسا ترجع في نسبها إلى قبيلة قيس الكبيرة التي نتحدث عنها

(١٢) معجم ما استعجم ١/ ٨٧

وانظر: اللهجات العربية في التراث (١/ ٤٥).

(١٣) لغة تميم (٣٨).

(١٤) اللهجات العربية في التراث (١/ ٥٤).

(١٥) السابق (١/ ٢٥٠)، وراجع (٩٧-٩٨).

(١٦) نفسه (١/ ٨٢).

(١٧) اللهجات العربية في التراث (٢/ ٤٢٩).

ومن هنا: يذهب صاحب كتاب (لغة قريش) إلى تحديد المراد بقيس، فيقول: أما لغة قيس فإن المراد بها غالبا: القبائل القيسية المقيمة في العالية بين نجد والحجاز، لأنها كانت موضع اهتمام اللغويين دون سائر القيسية[١٨]. لكن يغلب على قيس طبعا البداوة.

هذا، وقد جاورت قيسا كلٌّ من: تميم وأسد، وكان يطلق على لهجاتهم جميعا عبارة: لغة نجد .. في مقابل لغة الحجاز أو أهل العالية[١٩].

وتمتاز لهجات البدو عموما - ومنهم قيس بطبيعة الحال - بخصائص لهجية تميزها في مجموعها عن لهجات غيرها خصوصا الحجاز، من مثل:

١- الإمالة للبدو، مقابل الفتح لغيرهم.

٢- الإدغام للبدو، مقابل الفك أو الإظهار أو التحقيق لغيرهم.

٣- تحقيق الهمز، مقابل تسهيله أو جَعْلِه بين بين لغيرهم.

٤- الأصوات المفخمة(المستعلية)، مقابل الأصوات المرققة (المستفلة) لغيرهم.

٦- الأصوات الشديدة، مقابل الأصوات الرخوة.

٧- الضم في البدو، مقابل الكسر أو الفتح لغيرهم على وجه العموم[٢٠].

(١٨) (ص: ٣٣). وانظر: (ص ٤٢).
(١٩) لغة تميم (٥٣).

أما عن قوة (قيس) وأهميتها بين القبائل العربية، فيقول الدكتور/ جواد على: وقد سمى الفرزدق قيس عيلان وخندفا بالحيَّيْن المُكَوِّنَيْن لِمَعَدّ، فقال:

إذا اجتمع الحيان قيس وخِنْدِفُ　　فثمَّ مَعَدٌّ هامُها وعَدِيدُها

وورد في شعر العجاج: حَيَّيْ مُضَرَ

وجاء في شعر لجرير:

إذا أخذتْ قيس عليك و خِنْدِفُ　　بأقطارها لم تَدْرِ من حيث تسرع

ممّا يدل على أن قيسا وخندفا كانا من القبائل القوية في هذه الأيام[٢١]

«وفي حديث القبائل، يقول النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سُئل عن مضر: «تميمُ بزثَمَتُها وجُرْثَمَتُها». قال الخطابي : إنما هو «بُرْثُنَتُها» بالنون، أي : مخالبُها، يريد : شوكتها وقوتها ، والنون والميم يتعاقبان، فيجوز أن تكون الميم لغة، ويجوز أن تكون بدلا»[٢٢].

وفي (غريب الحديث) للخطابي، يقول ﷺ أيضًا وقد سُئل عن مضر: «كِنانة جوهرها، وأسد لسانها العربي، وقيس فرسان الله في الأرض وهم أصحاب الملاحم، وتميم بُرْثُمَتُها وجُرْثَمَتُها» [٢٣].

(٢٠) راجع في ذلك كله: اللهجات العربية في التراث (٢/٢٦٥-٣٤٦).

(٢١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١/٣٩٨).

(٢٢) غاية النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٧٨، ٨٢، ٩١، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٤، ١١٢)، على الترتيب.

وانظر: دراسات لغوية للدكتور عبد الصبور شاهين (ص: ٧٠).

(٢٣) مصادر أصول اللغة ، للدكتور عبد الفتاح البركاوي (ص: ١٩٣).

وأما عن ثقل قبيلة قيس وأهمية لهجاتها بين اللهجات العربية، فيعبر عنه أبو نصر الفارابي .. إذ يعد قيسا أول القبائل ولهجاتها أو اللهجات التي أخذت عنها لغة العرب، فيقول: والذين نقلت عنهم العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب

هم «قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين .. ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم»[(٢٤)].

ويستدرك الدكتور/ الجندي على الفارابي ما أهمله من اللهجات بل أهمَّها جميعا وهو لهجة قريش، فيقول: فالكثرة من الألفاظ العربية أصيلة، من لهجة قريش أو غيرها من القبائل القيسية والأسَدية والتميمة والهُذَلية والطائية واليمنية وغيرِها[(٢٥)].

أضف إلى أهمية فصاحة قيس كثرةَ عددها هي وقبائل نجد عموما في مقابل الحجاز، وهذا عامل لا يمكن إهماله في دراسة اللهجات. يقول صاحب(لغة قريش) في تقرير هذه الحقيقة، وأهل نجد أكثر من أهل الحجاز، لأن المراد بأهل نجد: قبائل: قيس وتميم وأسد، وربما قبائل ربيعة أيضا.

أما المراد بأهل الحجاز: فقريش وحدها غالبا، وربما دخل معها الأنصار (أهل المدينة) وبعض بطون كنانة وخزاعة المجاورة وهو أقل جدا من أولئك[(٢٦)].

(٢٤) اللهجات العربية في التراث (١/١١٥)، ولغة تميم (٥٨)، ولغة قريش (٤٣٣).
(٢٥) اللهجات العربية في التراث (١/١٣٢).
(٢٦) لغة قريش (٤٣٥).

ولأهمية قيس وموقعها المؤثر خريطة اللهجات العربية جاء ذكرها في أجمع كتب للهجات العربية (٧٢) اثنتين وسبعين مرة على وجه العموم، منها (٣٩) تسع وثلاثون مرة لما أثر عنها من نطق خاص بها او تشترك مع غيرها فيه .. وذلك في مقابل (٦٧) سبع وستين مرة لأسد، منها (٣٤) أربع وثلاثون مرة لما أثر عنها أو تشترك مع غيرها في نطقه، في مقابل (١١١) إحدى عشرة ومئة مرة خاصة بتميم، منها (٦١) إحدى وستون مرة لما تميزت به من نطق خاص بها أو تشترك مع غيرها فيه، ومقابل(١٥٩) تسع وخمسون ومئة مرة للحجاز، منها (١٠٥) خمس ومئة مرة لما اختصت به من نطق لها أو تشترك مع غيرها فيه[٢٧].

كذلك: ذكرت لقيس قراءات قرآنية جاءت على لهجاتها في القرآن الكريم تسع عشرة مرة، مقابل إحدى وثلاثين لأسد، واثنتين وعشرين مئة لتميم، ومقابل ست وتسعين للحجاز[٢٨].

(٢٧) اللهجات العربية في التراث: فهرس لهجات القبائل العربية (٢/٧٨٩- ٧٩١).
(٢٨) دراسات لأساليب القرآن الكريم: القسم الثالث - الجزء الرابع - فهرس القبائل والجماعات (٤٧٧).

ظاهرة التضجع

تدور مادة (ض ج ع) ومشتاقاتها في اللغة حول الميل ونحوه فيقال: ضجع يضجع ضجعا وضجوعا، إذاوضِع جنبه على الأرض ونحوها، وضحع إليه: وضجعت الشمس أو النجم: مال للمغيب.

وأضجع الشيء: أماله. وأضجعته إضجاعا: وضعت جنبه بالأرض.

والأضجع: المائل. يقال: هو أضجع الثنايا، أي: مائلها[(١)].

أما في اصطلاح علم اللغة، فإن الإضجاع والتضجع يطلق عكل منهما ويراد به: الميل بالحركات في النطق، كما تمال الألف إلى الياء.

ففي تاج العروس:الإضْجاعُ في باب الحَركاتِ كالإمالَة والخَفْضِ وهو مجازٌ أَيضًا يقال: أَضْجَعَ الحَرْفَ أَي أَمالَه إلى الكَسرِ[(٢)].

وفي المعجم الوسيط: أضجع في الحركات: مال بها في نطقها كما تمال الألف إلى الياء[(٣)].

وفي المصدر المذكور أيضا: أضجع (إضجاعا) وتضجع(تضجعا) واضطجع(اضطجاعا) ضجع[(٤)].

---

(١) تاج العروس (١١/٢٩٩-٣٠٢: ض ج ع)، والمعجم الوسيط (١/٥٥٤-٥٥٥: ض ج ع).
(٢) (١١/٣٠٢: ض ج ع).
(٣) (١/٥٥٤: ض ج ع).
(٤) السابق.

وعليه: فالإضجاع هو التضجع، ولا فرق، وإن كان الإضجاع يستعمل مصطلحا مشهورا في علم القراءات، بينما يستعمل التضجع مصطلحا لغويا خاصة في علم اللهجات.

وكلا المصطلحين: الإضجاع، والتضجع يعد مستوى من مستويات الإمالة التي توجد في الدراسات اللغوية والتجويدية على السواء. ويشمل هذا المفهوم الاصطلاحي جميع الحركات، من فتحة وكسرة وضمة قصيرة أو طويلة في ميلها بعضها إلى بعض.

فقد عرفت الإمالة بأنها: تقريب الفتحة طويلة كانت أو قصيرة إلى الكسرة طويلة كانت أو قصيرة.

«وأوفى التعريفات من وجهة نظرنا للإمالة تعريف ابن السراج الذي نص فيه على إمالة الألف منفردة والفتحة منفردة، وأوجه منه أن نقول: الإمالة تقريب الفتحة قصيرة أو طويلة من الكسرة قصيرة أو طويلة»[(٥)].

إذ يتفق والحقيقة التي قررها الأقدمون[(٦)] وارتضاها المحدثون عندما ذهبوا إلى أن الفتحة من جنس الألف والكسرة من جنس الياء والضمة من جنس الواو، وأن الفرق بينهما يكمن في الكمية فقط[(٧)].

أما الهدف من إجراء الإمالة في بعض لهجات العرب، فيتمثل في: إمالة الفتحة نحو الكسرة وسيلة من وسائل تيسير النطق وبذل أقل مجهود عضلي، إذا الغرض منها في الأعم الأغلب تحقيق الانسجام الصوتي[(٨)].

(٥) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٥٦).
(٦) الكتاب (٤/١٤٢).
(٧) مناهج البحث في اللغة (١٢٠)، والإمالة في القراءات واللهجات العربية (٥٠)، وفي اللهجات العربية (٦٤).
(٨) اللهجات في الكتاب لسيبويه (٧٣).

ويوضح الدكتور/ الموافي ذلك بقوله: اعتد النحاة الكسرة قبل الألف أو بعدها سببا لإمالتها في نحو عماد وسربال وعابد، وذلك لغاية صوتية هي: توفير الجهد العضلي الناشئ من انتقال اللسان من وضع الفتح إلى وضع الكسر، أو العكس، فيحدث نوع من التقريب يكون وضع اللسان فيه عند نطق الألف قريبا من وضعه عند نطق الياء، وقد كانوا يعبرون عن مثل هذا بقولهم: ليكون عمل اللسان من وجه واحد. وهذا الاقتصاد يميل الإنسان إليه من غير تعمد[(٩)].

غير أن مصطلح الإمالة عندما يطلق يراد به في الغالب إمالة الفتحة أو الألف نحو الكسرة أو الياء إمالة شديدة أو كبرى وهو ما يعرف لدى علمائنا الأولين بالترخيم أو الروم، والبطح أو الإطجاع، كما كانوا يطلقون: التفخيم والفتح والنصب على ما خالف الإمالة[(١٠)].

يقول الدمياطي البناء: والإمالة أن تَنْحُوَ بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيرا وهي المحضة ويقال لها الكبرى والإضجاع والبطح وهي المرادة عند الإطلاق، وقليلا وهو بين اللفظين، ويقال له التقليل، وبين وبين والصغرى" [(١١)].

أما مصطلح (التضجع) فصاحبه إمام اللغة ثعلب (ت ٢٩١هـ)، وذلك إذ يقول في معرض الحديث عن فصاحة قريش: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء[(١٢)].

---

(٩) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٦٦).

(١٠) اللهجات العربية في التراث (١/٢٧٦).

(١١) إتحاف فضلاء البشر (١/٢٤٧).

(١٢) مجالس ثعلب - المجلد الأول (٨٠-٨١). =

يقول الدكتور/ رمضان عبد التواب: «وقد روي ثعلب هذا الخبر مُلَخِّصا إياه مما ورد في مجلس معاوية - فيما يبدو - فقال: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجُّع قيس، وعَجْرَفِيَّة ضبة [١٣].

ويقول محقق هذا الموضوع من (مجالس ثعلب): ومما هو جدير بالذكر: أن (ثعلب) لم يفسر من هذه اللغات (اللهجات) التي ذكرها إلا أولها وآخرها وأغفل ما بينهما، وقد تكفلت كتب اللغة بتوضيح جميعها ما عدا التضجع، والتضجع لم أجد من فسره ولكن اشتقاقه اللغوي يوحي بأن معناه: الإمالة، وفي لسان العرب: والإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض[١٤]. وهو مجاز، يقال: أضجع الحرف .. أي: أماله إلى الكسر[١٥].

ومعنى النص السابق: أن تلك اللهجات المذكورةَ وغيرها تعد من اللهجات المذمومة أو الرديئة، وتلك نظرة معيارية مقصودة من علمائنا القدامى تهدف في المقام الأول إلى الانتصار للهجة قريش التي نزل القرآن في معظمه بها[١٦].

= وانظر: الخصائص (١/١٣٢)، وسر صناعة الإعراب (١/٢٣٤) تحقيق السقا وآخرين، (١/٢٢٩) تحقيق: هنداوي، وخزانة الأدب (١١/٢٣٦، والمزهر (١/٢١١).

(١٣) فصول في فقه العربية (١١٩).

(١٤) (ص: ٧٨، هامش٢).

(١٥) تاج العروس (١١/٣٢).

(١٦) راجع الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٩٨)، وما بعدها.

يقول صاحب لغة قريش: وأما قيس فنسب إليها التضجع، ونسب إلى هوازن – وهي من قيس- الكسكسة، وكثير مما نسب إلى تميم من العيوب تشركها فيه قيس[١٧]، لأن هدفهم (الرواة) من هذا الجمع اللغوي هو خدمة القرآن والسنة ولم يكن في عزو اللهجات ما يخدم تلك الناحية في نظرهم[١٨].

بدليل أن سيبويه عندما عدِّ الحروف الأصلية جعلها تسعة وعشرين فقال: أصل الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا... الهمزة، والألف، والهاء، والعين، ... إلخ، ثم أشار إلى الصور الصوتية التي تترتب على بعضها بقوله: إن هذه التسعة والعشرين التي تكون خمسة وثلاثين بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين.. وعدّ منها الألف التي تمال إمالة شديدة، وقال عنها إنها كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار[١٩].

ولقد منيت الدراسات اللغوية مدة طويلة بسمة الصعوبة وأحيانا بسمة التعقيد.

يشهد بذلك تلاميذ المدارس من جهة، وهؤلاء الذين لم يتخصصوا في اللغة من جهة أخرى، والأجانب المستشرقون من جهة ثالثة.

ولعل نعت الدراسات العربية بهذه النعوت إنما جاءها لعدم التشديد في مناهجها، فما ورثناها عن آباءنا من خلط في التفكير اللغوي لا يزال كما هو، لسببين:

---

(١٧) (ص: ٣٤٨).

(١٨) اللهجات العربية في التراث (١/٢٩٠).

(١٩) الكتاب (٤/٤٣٣) وما بعدها. وانظر: دلالة السياق (ص: ٩٠).

أولهما: الاعتقاد بأن الأوائل قد أتوا بما لايمكن أن يزيد عليه الأواخر (وتلك نظرة جعلت الأتراك في مرحلة من المراحل يقفلون باب الاجتهاد. وبعبارة أخرى: يُحَرِّمون البحثَ العلمي تحريما تاما).

السبب الثاني: ضيق النظرة إلى اللغة العربية، واعتبارها مرتبطة بالقرآن احتراما أو امتهانا.

وقد أدى ذلك إلى قطع الصلة بينها وبين اللهجات العربية الأخرى: القديمة، والمعاصرة، والى تحريم الترخيص بالإضافة إلى محصولها، حتى إن بعضهم ليلزم استعمال ما جاء في المعاجم فحسب، ولا يسمح للوليد من الكلمات أن يدخل حظيرة الاستعمال اللغوي[٢٠]

هذا، والتضجع كما سبق: مصدر ضجع، وهو تَفَعُّل يراد به هنا جملة مَعَان: التلبس بمسمى ما اشتق منه، كتقمص وتأزر وتفرى وتدرع وتعمم وتقبىّ، إذا لبس قميصا وإزارا وفروة ودرعا وعمامة وقباء[٢١].

كما ألمح فيه مسحة التكلف والتشدد مما يتمشى وما عرف عن البدو من شدة وصرامة في حياتهم عامة ومنها نطقهم، إذ لا يخفى أن الانتقال بواسطة اللسان من وضع الراحة مع الفتحة إلى وضع أعلى حيث الإمالة الشديدة - تخطيا للإمالة الخفيفة - فيه شيء من الجهد العضلي،

(٢٠) مناهج البحث فى اللغة، د. تمام حسان (ص: ١٢).

(٢١) شرح التسهيل (٣/٤٥٢).

ومن معاني (التَّفَعُّل) غيرَ ما سبق: المضارعة، والتكلف، والتجنب، والصيرورة، والعمل في مسمى ما اشتق منه، والاتخاذ، ومواصلة العمل في مهلة، والاستثبات من الشي، والطلب، والتكبر، وغير ذلك . راجع شرح الشافية (١/١٠٤-١٠٥)، والتذييل والتكميل (٦/٤٩).

ويؤيد هذا الاستنتاج أيضا : أن ظاهرة الإشمام (اشمام الكسرِ صوتَ الضم) يُنسب –كما سيجيء – لقيس ، والإشمام وضعٌ لِلِّسان مُعلَّق، فلا هو كسر خالص كما هو الحال لدى الحجازيين، ولا هو ضم خالص لدى بعض بنى أسد وهم بنو دُبَيْر وبنوفَقْعَس.(٢٢)

يقول الدكتور رمضان عبد التواب فِي هذا الموضوع: يُعزى هذا اللقب إلى قبيلة قيس، في خبر الرجل الجِرْمى السابق، في رواية انفرد بها ثعلب، ورواها عنه بعض من جاء بعده من اللغويين، ولم يفسره أو يشرح المراد به واحد منهم، والتضجع في اللغة: مصدر(تَضجَّع في الأمر، إذا تَقَعَّد ولم يقم به).

ولعل المراد بتضجع قيس على هذا: تباطؤها أو تراخيها في الكلام، وتقعّدها فيه، كما يفهم من المعنى اللغوي لكلمة التضجُّع.

وفي اللغة: الإضجاع في الحركات، بمعنى: الإمالة فيها.

وهو – بهذا المعنى- من اصطلاحات كتب النحو والقراءات.

غير أن الإمالة لا تُعْزى في كتب اللغة إلى قيس وحدها، حتى يمكن تفسير (تضجع قيس) بإضجاع الحركات، وإنما يشاركها فيه تميم وأسد وعامة أهل نجد(٢٣).

غير أن هذا الذي ذهب إليه الدكتور/ رمضان عبد التواب يتناقض مع ما قرره غيره من المحدثين من أن البدو يميلون في كلامهم عموما نحو السرعة في النطق(٢٤).

---

(٢٢) راجع (ص: ٥٣)، وما بعدها من البحث.

(٢٣) فصول في فقه العربية (١٢٣).

(٢٤) انظر: في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس (ص: ١٣٢)، وما بعدها.

هذا، وقد انتهى كتاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى النتيجة التي خَلَصْنا إليها نفسها؛ وذلك إذ يقول: نسبت ظاهرة التضجع إلى قبيلة قيس.

أ- ففي (خزانة الأدب للبغدادي ٤/٥٩٦، بولاق): ورأيت في (أمالي ثعلب): ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس)، ولم يفسر التضجع.

ب- ووجدت النص السابق في(مجالس ثعلب ١/١٠٠) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، وانظر تضجع قيس في(المزهر ١/٢١٠)، ولم يفسره أيضا.

جـ - وفي كتاب (العين للخليل ١/٢٤٦)، تحقيق د. عبد الله درويش: «كل شيء خَفَضْتَهُ فقد أضْجَعْتَه»، ثم يقول: والإضجاع في القوافي أن تُمِيلَها.

وفي (القاموس): الإضجاع في القوافي كالإكفاء أو كالإقواء، وفي الحركات كالإمالة(الخفض)، وفي (شرح القاموس): يقال أضجع الحرف، أي أماله إلى الكسر.

وفي (اللسان: ضجع ١٠/٨٧): «وضجعت الشمس، وضجّعت .. مالت للمغيب. ويقال: أراك ضاجعا إلى فلان، أي مائلا إليه، ورجل أضجعُ الثنايا: مائلها، ودلْوٌ ضاجعة: هي الملأى التي تميل في ارتفاعها من البئر لثقلها، والإضجاع في باب الحركات مثلُ الإمالة والخفض».

فالمادة السابقة تؤكد أن التضجع هو الإمالة في اللغة، وفي الاصطلاح كذلك، لما جاء في النص السابق من قولهم: (والإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض)[(٢٥)].

أما الزميل حسن فرغلى، فقد جاء حديثه عن(التضجع في لهجة قيس) على صفحتين من كتابه وقد تأثر فيه بما جاء لدى الدكتور رمضان عبد التواب فيما يبدو، الذي اعتمد بدوره على ابن منظور، ونص كلام زميلنا: (قال ابن منظور: أضْجَع واضّجَعَ، والأصل (افْتَعَل)، لكن من العرب من يقلب التاء طاء ويظهرها عند الضاد، ومنهم من يقلب التاء ضادا ويدغمها في الضاد تغليبا للحرف الأصل وهو الضاد، ولا يقال (اطّجع) بطاء مشددة، لأن الضاد لا تدغم في الطاء فإن الضاد أقوى منها، والحرف لا يدغم في أضعف منه، وما ورد [من ذلك] شاذ لا يقاس عليه.

وقال ابن منظور أيضا: وتضجّع في الأمر: إذا تَقَعَّدَ ولم يقم به وتغافل عنه.

ولعل المراد بتضَجّعَ - على هذا - تباطؤها أو تراخيها في الكلام. وتقعدها فيه كما يفهم من المعنى اللغوي لكلمة (التضجع).

ويعزى هذا اللقب إلى قبيلة قيس في خبر الرجل الجَرْمى، في روايةٍ أوردها ثعلب، ورواها عنه بعض من جاء بعده من اللغويين.

فقد روي ثعلب هذا الخبر مُلَخِّصا إياه مما ورد في مجلس معاوية - فيما يبدو - فقال: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة

(٢٥) (ص: ٢٢٦).

بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة.

وقد فسر ابن منظور وابن الجزري وغيرهما من علماء النحو الإضجاع بمعنى الإمالة.

قال ابن منظور: الإضجاع في الحركات بمعنى الإمالة فيها.

ويقول ابن الجزري: والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيرا وهو المحض، ويقال له الإضجاع.

وكذا عند النحويين.

وبالنظرة الفاحصة إلى ما ورد في كتب اللغة وغيرها نجد أن الإمالة لا تُعْزى إلى قبيلة قيس وحدها حتى يمكن تفسير (تضجع قيس) بإضجاعها الحركات، وإنما يشاركها فيه تميم وأسد وعامة نجد.

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: ويمكن بصفة عامة أن تنسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة، وأن تنسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقها، وأشهرها تميم وأسد وطيء وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب، ويكاد القدماء يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز، وأن الإمالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس.

ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية كانوا يميلون - في كلامهم - إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات[٢٦].

(٢٦) المستويات اللغوية في لهجة قيس (١٠٣-١٠٤).

تضجع قيس (إمالة قيس)

وضَح لنا مما سبق: أن التضجع لدى قيس هو ما يعرف عند علماء اللغة[1] بالإمالة، والكسر، والترخيم، والإمالة الشديدة لدى علماء التجويد والقراءات[2] بالكسر، والبطع، والإضجاع، والإشباع، والإجناح، والألف المعوج، والَّليِّ، والإمالة الشديدة، والكبرى، والمحضة، خصوصا ابن الجزري (٨٣٣هـ) في (النشر) الذي خصص، فجعل المحض والإضجاع والبطح والكسر من أسماء الإمالة الشديدة خاصة، وتابعه السيوطي(٩١١هـ) بوصفه قارئا في(الإتقان)[3] وذلك هو المَعْنِيُّ عند إطلاق الإمالة، أي: إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء. يقول الدكتور/ عبد الفتاح شلبي: كان الأقدمون من اللغويين والقراء يطلقون مصطلحات: الكسر، والبطح، والإشباع، والإضجاع، والألف المُعْوَجّ، والّليّ، على الإمالة بنوعيها الشديدة والخفيفة، حتى جاء ابن الجزري فجعل المحض، والإضجاع، والبطح، والكسر، من أسماء الإمالة الشديدة، وجعل بين اللفظين، والتلطيف، والتقليل، وبين بين، للإمالة الخفيفة. وتابعه السيوطي في ذلك.

---

(١) كسيبويه في الكتاب، والمبرد في المقتضب، وابن خالويه في الحجة، والزمخشري في المفصل، وابن يعيش في شرح المفصل، وابن الحاجب في شرح الشافية، والرضي في شرح الشافية أيضا وأبي حيان في الارتشاف

(٢) كأبي علي الفارسي في الحجة، ومكي في التبصرة، والكشف، والداني في الموضح، والرعيبي في الكافي، وسبط الخياط في المبهج، والشاطبي في حرز الأماني، وأبي شامة في إبراز المعاني، والجعبري في شرح حرز الأماني..

راجع في هؤلاء وأولئك: الإمالة في القراءات واللهجات العربية

(٣) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٢٨-٣٩).

والقراء هم الذي يتكلمون في درجات الإمالة، ويضعون لنوعيها الأسماء المختلفة. أما النحاة فلا يتعرضون لذلك، إلا ما كان من ابن يعيشٍ في شرح المفصل، ولعله قد نقل عن القراء واحتذى حذوهم(٤) ولكلٍّ وِجْهة.

فالنحاة عندما يتكلمون عن الإمالة يتناولونها من حيث حقيقتُها وفائدتُها وحكمها ومحلها وأصحابها من القبائل، وأسبابها، دون اهتمام بمذاهب القراء في الأداء من فتح أو إمالة أو بين اللفظين، إذا كان ذلك لا يتصل بصميم ما يبحثون أو يتناولون. ولكن القراء يهتمون في كتبهم اهتماما خاصا بأصحاب الإمالة من القراء، ومذاهبهم المختلفة فيها. فمن القراء من يفتح (والفتح) على درجات فمنه الشديد ومنه المتوسط، ومنهم من يكسر (والكسر) على درجات كذلك، ومنهم من اتخذ لنفسه طريقا وسطا بين المذهبين فكانت قراءاته بين اللفظين.

ولهذا عَنْوَن كثير منهم هذا الباب بالفتح والإمالة وبين اللفظين، ومنهم من اقتصر على لفظي(الفتح والإمالة) فقط(٥).

هذا، وقد طالعتنا كتب النحو واللغة أن أصحاب الإمالة هم: تميم، وقيس، وأسد، وعامة أهل نجد. يقول أبو شامة الدمشقي (٦٦٥هـ) في ذلك: الإمالة وفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد. ويقول مثل ذلك ابن الجزري.

---

(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية /٣٦

(٥) الإمالة في القراءات واللهجات العربية /٣٦

ونتيجة هذه النصوص: أن القسم الشرقي من الجزيرة يُميل، ممثلا في تميم وقيس وأسد، وأن القسم الغربي يفتح، ممثلا في الحجاز[٦].

يقول الدكتور/ شلبي: وما ورد في كتب النحاة والقراءات يدلنا على أن أصحاب الإمالة من القبائل هم: تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد، وهم لا يختلفون في ذلك، فعبارتهم تكاد تكون (واحدة) [٧]. وهذا لا يمنع ظهور الإمالة في مواضع قليلة بلهجة بعض المتبدين من الحجازيين وكثر من أهل اليمن كما جاء في روايات اللغويين[٨].

ويقول صاحب (لغة قريش): وتتفق المصادر على أن الفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغيرهم، إلا أن بعضها أنسب إليهم من إمالة كلمات قليلة نسب فيها شيء من الغموض وعدم التحديد إذ يعممها أحيانا على أهل الحجاز وأحيانا يخص بها بعضهم من دون أن يسميه[٩].

ويقول الدكتور/ الموافي: أما عن العرب القدماء الذين وجدت ظاهرة الإمالة في لهجاتهم: فإن كتب اللغة والقراءات تذكر منهم: تميما،

---

(٦) اللهجات العربية في التراث (١/ ١٨، ٢٧٩).

وراجع في هذه المسألة: شرح المفصل (٩/ ٥٤)، وشرح الشافية للرضي (٣/ ٤)، ومنهاج الكافية في شرح الشافية (١٦٤)، والنشر (٢/ ٣٠)، والإتقان (١/ ٩٣)، والإتحاف (٧٤)، وفي الكتاب لسيبويه عنوان يقول: (هذا باب من إمالة الألف، يميلها فيه ناس من العرب كثير) صرّح فيه: أن الترخيم (الإمالة) فيها لتميم ومن تابعهم من قيس وأسد (٤/ ١٢٣).

(٧) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٧٥)، وانظر: (ص ٧٦).

(٨) اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه (٩٧).

(٩) لغة قريش (٩٣).

وراجع كذلك: الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٨٠).

ومن جاورهم من أهل نجد كأسد وقيس، وبعض المصادر يخص بالذكر هوازن من (قيس) وبكر بن وائل (من أسد)، وأكثر أهل اليمن، وتذكر أيضا: أن التفخيم لغة أهل الحجاز، وأنهم لا يُميلون إلا في مواضع قليلة[١٠].

أما القرآن الكريم فكان يراود بين الفتح والإمالة، وقد ذكرت كتب القراءات في أصولها وفرشها شيئا كثيرا من ذلك، بل كل من أمال أو فخم له وجه في العربية لا يُدْفع وقصد لا يُنكر، لأن من أمال أو فتح: له طريق واضح في النقل والرواية. فالحجة لمن فخم: أنه أتى بالكلام على أصله ووجهه الذي كان عليه، لأن الأصل: التفخيم (الفتح) والإمالة فرع عليه، وقد أمال بعض القراء أفعالا فخمها غيرهم، والحجة في ذلك: أنه (القرآن) أتى باللغتين ليُعلم أن القارئ بهما غير خارج عن ألفاظ العرب، وليس التفخيم (الفتح)، والإمالةُ اختلافا في نفس اللغة (اللهجة) وإنما ذلك اختلاف في اللحن وتقديرُ الصوت وتزيينُه، وقد اختار كل فريق من العرب وَفْق طباعه[١١].

أما عن قراء القرآن الذين يميلون تصويرا لتلك اللهجات العربية، ومدى شيوع إمالتهم قلة وكثرة، ودرجة تلك الإمالة توسطا وشدة فيقول الدكتور/ شلبي في هذا الخصوص: الإمالة لهجة من اللهجات التي

(١٠) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٧٥)، وانظر: اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٨٠).

(١١) اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٧٨). وعبارة «لأن الأصل التفخيم (الفتح) والإمالة فرع عليه» التي وردت في النص منقولة عن أبي علي الفارسي في (الحجة) كما سيأتي، وليست دقيقة علميا؛ لأن كلا الظاهرتين مروي عن فصحاء العرب، فكلاهما أصل. وراجع أبا شامة السابق قريبا.

جرت على ألسنة بعض قبائل العرب، بوصفها أحد لحون العرب التي رخص الرسول ﷺ في قراءة القرآن بها، وقال أبوشامة: القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب، لأنه نزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرأوه على لغاتهم المختلفة، فاختلفت القراءات لذلك، وكانت هذه الإباحة دليلا على سماحة هذا الدين والتيسير منه على المتعبدين[١٢].

وفي موضع لاحق ينقل الدكتور/ شلبي عن القراء المميلين قول الإمام الجعبري في شرحه حرز الأماني: القراء أقسام، منهم من لم يُمل شيئا وهو ابن كثير، ومنهم من أمال وهم قسمان:

١- مُقِلّ. وهم: قالون، وابن عامر، وعاصم.

٢- مُكْثِر. وهم: ورش وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي[١٣].

فأما ورش وأبو عمرو، فإنهما يميلان إمالة خفيفة أو بين بين[١٤].

وأما حمزة والكسائي، فإنهما يميلان إمالة شديدة أوكبرى[١٥].

حيث سندُ حمزةَ لعلي بن أبي طالب كلُه لشيوخ كوفيين[١٦]، وكان الكسائي مولى لبني أسد وربيبَهم[١٧]. وحمزة(ت١٥٦هـ) أستاذ الكسائي (ت١٨٩هـ)[١٨].

---

(١٢) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (١٠٥).

(١٣) السابق (ص: ١٠٨).

وانظر: الخصائص (١/١٣٥-١٣٩).

(١٤) نفسه (١٠٩-١١٠). وانظر: (ص: ١٣٤-١٣٥).

(١٥) نفسه، وراجع: (ص: ١٠٨-١١٠).

(١٦) نفسه (١٢٧).

(١٧) نفسه (١٢٨).

(١٨) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (١٣٠).

وفي موضع آخر يقرر الدكتور شلبي: أننا نستطيع إرجاع مذهب كل إمام من هؤلاء الأئمة إلى أحد عاملين، أو هما معا.

١- شيوخه الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم.

٢- البيئات التي توطنوها، وما شاع فيها من لهجة الفتح أو الإمالة حيث القبائل التي استوطنت هذه البيئات[١٩].

على أن العامل الأول هو الأهم: لأن الإمالة أساسها التلقي والرواية، والقراءات سنة متبعة[٢٠]. والقراء المميلون أمالوا الأحرف التي أمالوها متبعين في ذلك الأثر والنقل عن أئمتهم، دون السير وراء النظر والقياس[٢١].

هذا، وإذا كانت الألفاظ الممالة عند النحاة الأولين من لدن سيبويه هي ما سمع من العرب: فإن مادة الإمالة عند القراء طبعي أن تكون حروف القرآن الكريم[٢٢].

ولذلك: فالمُمِيلون عند النحاة هم القبائل العربية، أما عند القراء فهم الأئمة ومن نقلوا عنهم[٢٣]. على أن النحاة لم يَصْدُروا في وضع قواعدهم عن الإمالة إلا مما سمعوه من العرب، والقراءات لم تخرج عن هذا المسموع وإلا خرجت من باب الصحة.

(١٩) نفسه (١١٦)، اللهجات العربية في التراث (١/١٨٥-٢٨٧).

(٢٠) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٢٢٨).

(٢١) السابق (٢٣٣).

(٢٢) نفسه (٣٠٤).

(٢٣) نفسه (٣٠٥).

فليس القارئ إذا أمال مُلْزَما بإمالة كل ما يجوز إمالته، بل هو محكوم بما نقله عن شيخه، وهكذا حتى يصل السند إلى رسول الله -ﷺ- إذ القراءة سنة متبعة(٢٤)، كما سبق.

وعن لهجة قيس عموما، وتضجعها خصوصا (أي إمالتها) نجد إشارة لسيبويه في الكتاب تُفَصِّح هذه القبيلة ولهجتَها ومنها ظاهرة التضجع (الإمالة) فيقول: واعلم أن الذين قالوا (رأيت عِدًّا) الألفُ ألفُ نصبٍ (فتح) و(يريد أن يضربها) يقولون: (هو مَنَّا) و(إنّا إلى الله راجعون) وهم بنو تميم، ويقوله أيضًا قوم من قيس وأسدٍ ممن تُرتَضَي عربيته(٢٥).

ويقول في موضع آخر عن ترخيم (إمالة) الألف المبدلة من ياء أو واو: وقال ناس يوثق بعربيتهم: هذا باب، وهذا مال، وهذا عاب.

ولما كانت (الألف) بدلا من الياء كما كانت في (رميتُ) شُبِّهَتْ بها، وشبهوها في (باب) و(مال) بالألف التي تكون بدلا من (غزوت) فتبعت الواو الياء في العين كما تبعتها في اللام، لان الياء قد تغلب على الياء هنا. وقد عزى الترخيم هنا إلى بنى تميم(٢٦).

وبهذه المناسبة: فإن قبيلة سعد بن بكر التي استُرْضِع فيهم النبي ﷺ كانت فرعا من قيس، وقد ظهر شيء من لهجة تلك القبيلة في نطقه ﷺ ذات مرة، فقد جاء في (الإتقان)، وفي (جمال القراء) عن صفوان بن

(٢٤) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٦٩).

(٢٥) الكتاب (١٢٣/٤).

وانظر: اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه (٨٣).

(٢٦) اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه (٨٨-٨٩).

عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: (يَا يَحْيِى) فقيل له: يا رسول الله، تُمِيلُ وليس هي لغةَ قريش ؟ فقال: هي لغة الأخوال بني سعد.. وبنو سعد هم حضنة الرسول ﷺ وينتهي نسبهم إلى قيس، وثبت قبل ذلك أن قيسا من القبائل المميلة، لهذا كانت سعد بن بكر تؤثر الإمالة. ومما يؤيد ذلك: ما ذكره الإمام أبو قاسم الهُذَلِيُّ في كتابه (الكامل) من أن الإمالة في سعد بن بكر[٢٧].

بقى أن نشير هنا إلى أن العلاقة التي كانت تربط بين هذه القبائل الثلاث: تميم، وقيس، وأسد، إنما هي علاقة جوار. فأسد من قبائل ربيعة المجاورة لتميم، وقيس قبيلة عظيمة، جزء منها نجدي - نزل نجدا - وجزء حجازي، وأغلب الظن أن من تابع تميما هنا: من قيس النجدية[٢٨]. لدرجة أن قريشا وقيسا كان يطلق عليهما: عليا مضر[٢٩].

هذا، ويُعَدّ تأصيلا لكل ما سبق وتأكيدا لهذه الدراسة ما جاء في بحث (تضجع قيس)، حيث يقول كاتبا مادته الخبيران بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: بخاطره الشافعي، ود/ عبد الصبور شاهين:

ونعرض الآن بعض النصوص التي تؤكد أن قبيلة قيس من القبائل المميلة:

١- العرب مختلفون في ذلك، فمنهم من أمال وهم تميم وأسد وقيس وعامة أهل نجد. (الهمع ٢/ ٢٠٤ السعادة).

(٢٧) اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٨٤).
(٢٨) اللهجات العربية في الكتاب لسيبويه (٨٥).
وراجع- كذلك - في المصدر المذكور (ص: ٤٥).
(٢٩) لغة قريش (٤٢).

٢- الفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس وأسد. (إبراز المعاني ١٥٢ ط الحلبي).

٣- وابن الجزري في (النشر٢/٣٠) يدخل قيسا في القبائل المميلة. (أشرف على مراجعته الشيخ الضباع، ط/ مصطفى محمد)

٤- وفي الأشموني، وشرح التصريح للشيخ خالد الأزهري ٢/٣٤٧ دار إحياء الكتب العربية يقول: (وأما أصحابها – أي الإمالة – فتميم وقيس وأسد وعامة نجد).

وكذلك كتب علوم القرآن تدخل قيسا في القبائل المميلة، لهذا لا نوافق المستشرق رابين حين زعم أن التضجع هو الكسل في النطق، وأنه أشبه بالعجعجة والغمغمة.

وفي حاشية الصبان على الأشموني ٤-٢٢٠ ط عيسى الحلبي: (وتسمى الإمالة الكسرَ والبطح والإضجاع، وتسمى الكسرَ لما فيها من الإمالة إلى الكسر، والبطح لما فيها من بطح الفتحة إلى الكسر، أي: إمالتها إليه، وأصْلُ بطح الشئ إلقاؤه ورميُه، ويلزمه إمالته).

وتسمية الإمالة بالكسر: يوضحه ما ورد في المفصل لابن يعيش ٩/٥٤: وعامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس يَسْرُون إلى الكسر.

فالكسر في هذا النص معناه الإمالة.

هذا، والتفخيم هو الأصل والإمالة فرع عليه (الحجة لابن خالويه ورقة ٣ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩٥٢٣).

وكل من أمال أو فخم في العربية لا يُدفع، وقصد لا ينكر، إذ إن كل من أمال أو فتح له سند من النقل والرواية، وقد أمال بعض القراء أفعالا فخمها غيرهم، وحجة كل: أنه أتى باللغتين ليُعْلم أن القارئ بهما غير خارج عن ألفاظ العرب.

وإذا كان التضجع في قيس هو الإمالة كما أثبتنا: فالإمالة: تقريب الألف نحو الياء، والفتحةِ التي قبلها نحو الكسرة، وهدفها كما يقول ابن يعيش: تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل (شرح المفصل ٩/٥٤) ففي تضجع قيس تقريب الألفاظ من الياء، لأن الألف من الياء، ولأن الألف تُطلب من الفم إلى أعلاه، والكسرة تطلب أسفله، فتنافرا، ولهذا جنحت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، وبهذا زال الثقل. وحل محله الانسجام الصوتي والتماثل.

ومن الجدير بالذكر أن بطون قيس كانت تؤثر التضجع (الإمالة).

ففي (جمال القراء): عن صفوان بن عسّال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿يَا يَحْيَى﴾. فقيل له: يا رسول الله، تميل، وليس هي لغةَ قريش؟ فقال: هي لغة الأخوال بني سعد.

وبنوسعد ينتهي نسبهم إلى قيس صاحبة التضجع.

ومن القبائل المميلة: هوازن، وهي من قيس كذلك.

كما أن نظرة واحدة في كتب القراءات القرآنية تريك نماذج كثيرة ويتردد كثيرا اسم الكسائي وحمزة في باب الإمالة (النشر٢/٣٥/

٨٥، ٧١، ٦٢، والإضاءة: ٣٨)، ولقد ربطت تلك الظاهرة بين قيس في داخل الجزيرة العربية وخارجها.

أ- إن قبائل نجد أصحاب إمالة (الهمع ٢/ ٢٠٤)، وقيس كانت تسكن نجدا، والوطن الشامي نزلت فيه قبائل نجدية كثيرة.

ب- كما نجد إمالة عامرة في الأندلس، فأهل غرناطة يقولون: كِتِيب بدلا من كتاب. وفي (الإحاطة لابن الخطيب ١/ ٣٥): أن (كوند) المؤرخ الأسباني كات يكتب (هشام) هكذا hixem. ولا يكتبها hiam

وسافر شكيب إلى الأندلس وطلب قَطْع ورقة السفر إلى (دانية) فتلفظ بها بدون إمالة فلم يفهموا ماذا يريد، حتى ردّه أحدهم: هي: denie لا Daniay (المقتطف، يناير، ص ٤٢فما بعدها، سنة١٩٣٢م).

ومعلوم أن السواد الأعظم من العرب الذين فتحوا أسبانيا كانوا من أهل الشام.

جـ - يَمِيل البدوُ على ساحل مريوط إلى الإمالة (دراسة لغوية في لهجات البدو في مصر ٣٢٨ مخطوط بمكتبة دار العلوم. د/ عبد العزيز مطر).

ويرى القَلْقَشَنْديُّ: أن هؤلاء من بني سُليم من قيس، ومساكنهم ببرقة مما يلي المغرب، ومما يلي مصر (معجم كحالة ٢/ ٥٤٣) ولهذا تتميز اللهجة الليبية بالإمالة، وهي أشد في طرابلس، لأن قبائل سُليم أقامت في جهاتِ طرابلسَ زمنا.

د - أما في مصر: فتظهر الإمالة في مدينة بلبيس مـن الشـرقية، وفي مديريتي المنوفية والبحيرة وبعـضِ أجـزاء الفيـوم، وتعليـل ذلـك سـهل ميسور إذا عرفنا أن بطون قيس نزلوا بلبيس كما نزلها أهل بيت من قبيلـة سُليم التي هي بطن من قيس (البيان والإعراب).

وفي (صبح الأعشى ١: ٣٦٤-٣٦٦) أن لواتة - وهم من قيس — لهم بمصر بطون كثيرة، و بالمنوفية منهم بنو يحيى، والسّوة، ومنهم جماعـة بالبحيرة، وجماعة بالمنوفية.

ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابـه (مـن أصـول اللـهجات العربية في السودان: ص ٦٤): أن أغلب الظن في الإمالة الـتي اشـتهرت في معظم اللهجات العربية التي انتشرت في أقطار البحر الأبيض المتوسط قديما وحديثا، إنما ترجع إلى ترادف الهجرات اليمنية والقيسيِّة على هذه الأقطار مع تعاقب العصور.

ومن أجل ذلـك احتفظـت بطـون قـيس في المنـازل الجديـدة الـتي هاجرت إليها بعد الفتح العربي بالتضجع (الإمالة)، لأن لهجاتهم الحديثة تحمل بذورا أصيلة للهجات القبيلة(الأم) في الجزيرة العربية[٣٠].

وعن مفهوم (الإمالة) والمناطق العربية المعاصرة التي توجد بها هذه الظاهرة، يقرر الدكتور علي عبد الواحد وافي ما أن نصّه: «الإمالـة .. أن تنطق بفتحة الحرف السابق للألف قريبة من الكسرة وبـالألف قريبـة مـن

(٣٠) المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة، بحث منشور ضمن كتاب المجمع (اللهجات العربية — بحوث ودراسات: ص ٢٢٧-٢٣٠)، لخبيري المجمـع: بخـاطره الشافعي، ود. عبد الصبور شاهين.

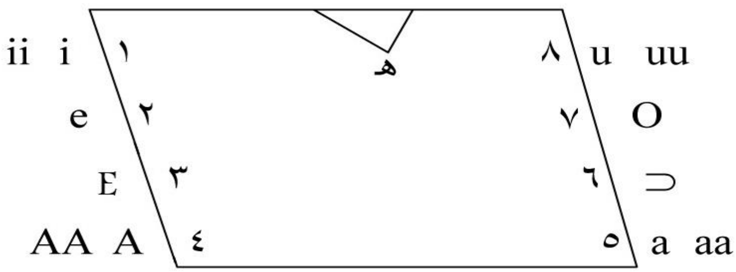
الياء ، وهي على ضربين: متوسطة وشديدة. والإمالة لغة عامةِ أهلِ نجـدٍ من تميم وقيس وأسد ....

ويسير على طريقة الإمالة بعض اللهجات، وخاصـة عنـد أهـل بـني غـازي بليبيـا، وعنـد جميـع العـرب النـازحين إلى مصـر مـن الغـرب: البراعصة، الفوايد، الرماح، الحرابي، أولاد علي، سمالوس، خويلد، الضـعفاء .. الخ. ومكـان معظمهـم في المنيـا وبـني سـويف والفيـوم والإسكندرية وضواحيها» (٣١).

(٣١) اللهجات العربية – بحوث ودراسات (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

التضجع والمحدثون

لكي نفهم الإمالة - ومنها التضجع لدى قيس - بصورة كاملة علينا أن نتصور وضع اللسان_مقدَّمه ومؤخَّره) بالنسبة إلى مقاييس أصوات اللين على مربع (دانيال جونز) الشهير لأصوات الحركة، وهي على النحو الآتي[1]



أ- وسَط اللسان

تمثل قاعدة المربع التي تقع بين المقياسين:٥، ٤على الترتيب حالة اللسان (أقصاه ووسطه) وهو في وضع الراحة تقريبا قارا في قاع الفم.

---

(١) راجع في هذا الموضوع: الأصوات اللغوية، للدكتور أنيس (٢٩=٤٣)، وعلم الأصوات للدكتور كمال بشر (١٣٧-١٥٤)، والتجويد والأصوات للدكتور نجا (٣٢-٤٦)، وأصوات اللغة العربية للدكتور هلال (٤٠٣-١٤٤)، والأصوات العربية للدكتور جبل (٢٣٧-٢٤٨)، وعلم الصوتيات للدكتورين عبد الله ربيع ، وعبد العزيز علام (١٤٧-٢٠٦)، وغيرَهم.

وقد جرت عادة الدارسين أن يبدأوا من أسفل إلى أعلى حيث يكون اللسان في وضع الراحة، ومن اليسار إلى اليمين حيث وسط اللسان ثم مُؤَخّرُه. وهذا أمر منطقي عند الشرح والبيان لمقاييس أصوات اللين على ذلك المربع المذكور.

١- ينتج لنا المقياس رقم (٤) الفتحة المرققة كفتحة كاف (كتب)، كما ينتج لنا الألف المرققة في مثل: زان- جاء- دار – الناس- .ومعروف أن الفتحة من جنس الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو، وأن الفرق بين كل صوت وصاحبه لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية فقط. فالألف ضعف الفتحة في زمن النطق، والياء ضعف الكسرة، والواو ضعف الضمة[٢].

٢- عندما يبدأ وسط اللسان في التحرك إلى أعلى قليلا عن الوضع السابق يصادف في اتجاه وسط الحنك الأعلى المقياس رقم (٣)، وينتج لنا في هذه الحال الفتحة القصيرة وقد أميلت إلى الكسرة القصيرة، والألف وقد أميلت إلى الياء إمالة خفيفة في كل منها، كما في قراءة ورش عن شيخه نافع عموما، وقراءة حفص عن شيخه عاصم كلمة (مجريها) فقط في سورة هود[٣]. وتسمى تلك الحال بالإمالة الخفيفة، أو إمالة بين بين، أو الإمالة المتوسطة أو الصغرى لدى علمائنا القدامى والمحدثين على السواء، وهي قراءة كل من: ورش، وأبي عمرو، من السبعة[٤].

(٢) راجع: سر صناعة الإعراب (١-٩٩)، تحقيق السقا وزملائه.
(٣) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (١١٠).
(٤) السابق (١٠٩).

٣- عندما يزيد ارتفاع وسط اللسان أكثر مما سبق: يصادف المقياس رقم (٢) وينتج لنا في هذه الحال: الفتحة القصيرة وقد أميلت إلى الكسرة القصيرة، والألف وقد أميلت إلى الياء أكثر مما هي في الحال السابقة.

فمن إمالة الفتحة العادية نحو الكسرة العادية. إمالة شديدة: إمالة الفتحة قبل تاء التأنيث المربوطة حين الوقف عليها.

قال سيبويه في ذلك: «وسمعت العرب يقولون: ضربت ضربةِ وأخذت أخذِة»(٥)، وقد قاس ثعلب وابن الأنباري هاء السكت على هاء التأنيث، فأجازوا إمالة ما قبلها(٦)، مثل كتابيه - ماليه - يتسنه(٧).

ومثال ذلك: ما نسمعه الآن في نطق أهل الشام من إمالة الفتحة في مثل: ليلة وسلامة، إذ تتحول الفتحة الأخيرة ألفا ممالة إمالة شديدة، فيصير اللفظان السابقان إلى صورة لَيْلِى Laylee وسَلاِمى slaamee(٨).

ولا تزال لهذه الحال أمثلة تسمع لدى أهل المنوفية - حيث أعمل - من مثل: الجامعِة - الكليِّة - المأموريِّة - السكرتاريِة ... إلخ.

وقد جاءت قراءة الإمام الكسائي – من السبعة - تصور هذه الحال وتلك اللهجة، حيث أمال الفتحة قبل ألف التأنيث المربوطة حين الوقف عليها نحو الكسرة، كما في رحمة – نعمة – خليفة – رأفة – بهجة... إلخ(٩).

---

(٥) الكتاب (١٤٠/٤).

(٦) الارتشاف (٢٤٤/١).

(٧) الإتحاف (٢٩١/١).

(٨) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٧٣).

(٩) الإتحاف (٢٩٢/١).

بل إن الكسائي قد اختص بإمالة ما قبل هاء التأنيث، وعندما سئل عن ذلك قال: هذه طباع العربية. قال الحافظ الداني: يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن (عصر ابن الجزري).

وإمالة ما قبل هاء التأنيث التي اختص بها الكسائي هي ما عبر عنها سيبويه بقوله: سمعت العرب يقولون" ضربِه، وأخذته أخْذِه.(١٠).

ومن إمالة الألف الْمَدِّيَّة نحو الياء المدية كذلك إمالة شديدة أو كبرى: إمالة الألف في مثل: ﴿والضحى﴾(١١)، و﴿بناها﴾، و﴿فسواها﴾(١٢)، نحو الياء في قراءة الأئمة: حمزة، والكسائي، وخلف من العشرة، على أصولهم في ذلك. وتسمى تلك الإمالة - إمالةُ الألف نحو الياء حيث المقياس رقم (٢) - إمالة شديدة أو كبرى، كما تسمى بطحا وإضجاعا، كما سبق. ويُجتنب في هذه الإمالة القلب الخالص إلى الياء، والإشباع المبالغ فيه نحوَها، وبالمناسبة: فكلمة (عَيْلان) من عبارة (قيس عيلان) من هذا النوع من الإمالة. فمما أميل من أجل الياء، نحو: شيبان وقيس عيلان وغِيلان ... إلخ.(١٣)

٤- يمثل المقياس رقم (١) وضع اللسان وقد ارتفع إلى أقصى درجاته دون أن يحدث حفيفا(احتكاكا) مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى. وينتج لنا في هذه الحال: الكسرة القصيرة المرققة (العادِيَّة) كما في كسرة كاف (كِتاب)، والكسرة الطويلة (الياء العادية) كما في ياء (كِتابي).

(١٠) اللهجات العربية في التراث (١/ ٢٨٥).

(١١) الإتحاف (٢/ ٦١٦).

(١٢) السابق (٢/ ٥٨٦).

(١٣) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٦١).

أما إذا ارتفع وسط اللسان أكثر من ذلك بحيث يحدث حفيفا (احتكاكا) مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى: فإنه ينتج لنا نوعا من الكسرة القصيرة الضيقة جدا، والياءِ الضيقة جدا ، وكلاهما لا يوجد في العربية، وإن وجد في غيرها من اللغات.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين في مجمل ما سبق تقريبا: «الألف الممالة إمالةً شديدة ترتبط بمجموعة من القواعد التي تنظم ظاهرة الإمالة في القراءات القرآنية ، ومن ذلك أنها لدى بعض العرب تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، مثل: عابد وعالم ومساجد ومفاتيح، قال سيبويه: (أرادوا أن يُقَرِّبوها – الألف – منها "، وهي في قراءة أبي عمرو بن العلاء تقع قبل الراء المكسورة: النار - الأبرار - الأبصار - الأنصار ، كما ترتبط بالألف ذات الأصل اليائي في مثل ما نقرأ في قوله تعالى : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ بإمالة ألف ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ لتصبح ﴿مجريها﴾ بالكسرة التي ترسم صوتيا (e) لا (i) ، وهي الكسرة الخالصة»[١٤].

ب- مُؤَخَّر اللسان :

نبه الدكتور إبراهيم أنيس وجماعة من الدراسيين المحدثين إلى إمالة الفتحة نحو الضمة فقال: (كما يمال الفتح إلى الكسر. قد يمال أيضا الضم)[١٥] وقديما نص على ذلك ابن جنى[١٦].

(١٤) في التطور اللغوي (٢١١).

(١٥) في اللهجات ت العربية / ٦٥

وانظر: اللهجات العربية في التراث (١/٢٨٣، واللهجات فى الكتاب لسيبويه (٧٣/٣).

(١٦) سر صناعة الإعراب (١/٥٩)، تحقيق السقا وزملائه.

١- يمثل المقياس رقم (٥) حال أقصي اللسان دون أن يتحرك حيث يكون قارا فى قعر الفم، وأن أصابه نوع من التحفز استعدادا لنطق الأصوات بإشارة من المخ . وينتج لنا أقصى اللسان في تلك الحال الفتحة المفخمة المصاحبة لحرف مستعل، كما في فتحة خاء (ختم) وفتحة غين (غفر) وفتحة قاف (قضى)، كما ينتج لنا الألف المفخمة وهى المصاحبة لحرف مستعل (مفخم) كما في: قام، خاف، غاب- قائم، خائف، غائب.

٢- يمثل المقياس رقم (٦) وضع أقصى اللسان عندما يتحرك إلى أعلى قليلا عن طريق رفع الفك السفلى.

وينتج لنا في هذه الحال الفتحة القصيرة التي تصاحب أحد حروف الإطباق (أعلى حروف الاستعلاء)، كما في: صام - ضاق - طاب - ظلم، كما ينتج لنا الألف المفخمة التي تميل إلى الواو كما في قراءة كلمات: (الصلوة - الزكوة - الحيوة - النجوة - الغدوة - الربوة - مشكوة - منوة) في رواية ورش عن نافع. يقول مكي عن هذه الألف: يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو(١٧). ويقول في موضع آخر: وبها قرأ ورش: الصلاة، ومصلى، والطلاق، وبظلام. ويضيف ابن الجزرى إليها: شبهها من كل لام مفتوحة جاورت حرف تفخيم (إطباق)(١٨).

فقد نُحِيَتْ هذه الألفات نحوَ الواو على لغة أهل الحجاز. وقد عدّ أبو حيان في (ارتشاف الضرب) من الحروف المتنوعة المستحسنة في

(١٧) الرعاية (١٠٩).

(١٨) النشر (٢/١١١).

وراجع: لغة قريش (٤٧).

ألسنة العرب حرفا بين الألف والواو يسمى ألف التفخيم، كما في الصلوة، والزكوة، والحيوة، في لغة الحجاز، وكذلك رسموها بالواو في الكتابة. وجاء في (المحتسب) في تعليل كتابة (الربا) بالواو في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]: أنه فخم الألف انتحاءً بها إلى الواو، التي الألف بدلا منها على حد قولهم: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ... وكأن القارئ بيَّن التفخيمَ فَقَوِيَ الصوتُ. وفى (شرح الشافية): أن كَتْبَهم لهذه الكلمات بالواو: على هذه اللغة، أى لغة الحجاز[١٩].

هذا، وقد جاء الدرس الصوتي الحديث يؤيد ما ذهب إليه جمهور علماء التجويد من أن الحركات وحروف المد والألف خاصة تتبع ما قبلها في الترقيق والتفخيم.

فهذا أحد دارسي الأصوات العربية من المعاصرين يقول: فالفتحة مثلا قد تكون مفخمة وقد تكون مرققة، وقد تكون بين التفخيم والترقيق. فهي مفخمة مع أصوات الإطباق، وهى: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء. وهى في الحالة الوسطي بين التفخيم والترقيق مع القاف، والعين، والخاء، ولكنها مرققة في المواضع الصوتية الأخرى. فلدينا بحسب النطق الفعلي ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين نأخذ الطول والقصر فى الاعتبار، إذ إن الفتحة الطويلة يعتريها ما يعترى الفتحة القصيرة من التفخيم وإخوته. وهذا الشيء نفسه يُطَبَّقُ على الكسرة والضمة (طويلةٍ وقصيرةٍ): فهما مُفُخَّمَتان مع أصوات الإطباق - وبين التفخيم والترقيق

(١٩) اللهجات العربية في التراث (١/٢٧٩).

مع القاف، والغين، والخاء، ولكنهما مرققتان مع الأصوات الأخرى. فلدينا ثلاث كسرات (أو ست)، وثلاث ضمات (أو ست). والحركات العربية إذاً بهذا الاعتبار السياقي: تِسْعٌ، أو ثمانِيَ عَشْرَةَ[٢٠].

ويزيد الدكتور الجُنْدي هذا النوع من الإمالة توضيحا، فيقول: "علي أننا نجد نوعا آخر من الإمالة يختلف عما سبق.

فكما رأينا فيما سبق إمالة الفتح إلى الكسر: فإننا نرى إمالة الفتح إلى الضم فيما يقول ابن جني: «وأما ألف التفخيم: فهي التي نجدها بين الألف والواو نحو قولهم: سَلاَمُ عليك، وقام زيد .. وعلى هذا كتبوا: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو». وهي كحرف (o) في اللغة الفرنسية. وحكى ابن جني عن قطرب: «أن أهل اليمن يقولون: الحيوة، فهذه الواو بدل من ألف حياة، وليست بلام الفعل من (حيوت)، وكذلك يفعل أهل اليمن بكل ألف منقلبة عن واو كـ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾». ويظهر أن هذا النوع من إمالة الفتحة إلى الضمة كان موجودا في الحجاز أيضا، بدليل ما جاء في(الشافية): أن كَتْبهم لهذه الكلمات بالواو على هذه اللغة، أي لغة الحجاز. ومن المعروف أيضا: أن الكتابة العربية قد أُخِذَتْ من النَّبَطِيَّة التي كانت تُكْتب فيها بالواو، وكذلك في الكتابات العربية الجنوبية. وقد كُتبت هذه الكلمات في المصحف بالواو، والذين كتبوه من قريش، والكتابة مرآة للهجاتِ كاتبيه، وهذا ما جعل الدّاني يقول: «رسموا في كل المصاحف

(٢٠) الأصوات، للدكتور كمال بشر (١٩٢-١٩٣).
وانظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ٥٠٥).

الألف واوا في أربعة أصول مطردة، وأربعة أخرى متفرقة: فالأربعة الأصول هي: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾، ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وَقَعْن. والأربعة أحرف المتفرقة هي قوله: (بالغدوة) (كمشكوة) (ومنوة) (النجوة) فكأنهم توهموا – لشدة التفخيم عندهم – أنها واو، فرسموها كذلك.

وأرجح أن هذا النطق كان موجودا أيام النبي عليه السلام، لذلك كتبت بالواو في المصحف، ثم أصابها بعض التطور، فتحولت من واو إلى فتحة ممدودة. ومما يدل على وجود مثل هذا في لهجات اليمن أيضا: ما يذكره بعض المستشرقين من أن الأسماء العربية المنتهية بـ (ون)، مثل: خَلْدُون وزيدون - وهي كلها لأشخاص يمنيِّي الأصل- يُرَجَّح أنها أسماء منتهية بأداة التعريف اليمنية (آن)، ثم أمالها اليمنيون على طريقتهم، وكتبها العرب الشماليون بطبيعة الحال (ون) في إمالتهم نحو الواو»[(٢١)].

٧- يمثل المقياس رقم (٧) أقصى اللسان فقد ارتفع قليلا عن الوضع السابق (٦)، وينتج لنا في هذه الحال الضمة العربية القصيرة(العادية) كما في ضمة (كاف كُتب)، كما ينتج لنا الواو العربية المعروفة في مثل: يقول، يعول.

٨- يمثل المقياس رقم (٨) وضع أقصى اللسان عندما يصل في ارتفاعه إلى أقصى درجاته دون أن يحدث حفيفا (احتكاكا) مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وينتج لنا في هذه الحال الضمة القصيرة والواو

(٢١) اللهجات العربية في التراث (١/٢٨٣-٢٨٤).

الضيقتين، وهما غير موجودتين في العربية، وإن وجدتا في غيرها من اللغات.

يقول الدكتور/ شاهين تلخيصا لما سبق من هذه المقاييس الأربعة: "ألف التفخيم هي التي كان ينطقها أهل الجاز في كلمات لا يتطلب سياقها الصوتي تفخيما، فنحن مثلا ننطق الفتحة مفخمة بعد أصوات ص - ض - ط- ظ- ق - غ- خ- ر- ثم اللامِ في لفظ الجلالة إذا كان الانتقال إليها من فتح أو ضم، وفيما عدا هذه الأصوات تنطق الفتحة مرققة فنقول (لا - كان - بيات) بألف مرققة دائما، بيد أن أهل الحجاز كانوا يفخمون الألف في كلمات معينة مثل: الصلاة – الزكاة – الحياة – مشكاة، ولعل مما يدل على النطق المفخم للألف في هذه الكلمات أنها رسمت في المصحف العثماني بالواو لا بالألف تمييزا لها عما التُزِم فيه الترقيق في لسان أهل الحجاز، فترسم الألف المفخمة هكذا: الصلوة - الزكوة - الحيوة - مشكوة ، على حين أن الألف غير المفخمة لا ترسم في المصحف العثماني، فتكتب كلمات: الكِتب - الصدقت - الأنعَم، بدون ألف، إلا ما نجده من رمز إضافي في صورة الألف الصغيرة" (٢٢).

٩- المقياس رقم (٩) حركة ضيقة للسان، يمثل ميل وسطه تجاه أقصاه، ويُنْتِج لنا في هذا الوضع حركةً ضيقة جدا حيث ينتقل اللسان من ضيق إلى أضيق، وتتمثل هذه الحركة في ميل الكسرة نحو الضمة في ثلثي المسافة بين المقياس رقم (١) والمقياس رقم (٨) تقريبا، بحيث تكون إلى رقم (٨) أقربَ منها إلى رقم (١)، ومن هنا وجه صعوبتها، وذلك

(٢٢) في التطور اللغوي (٢١١-٢١٢).

في مثل :قيل - بيع - غيض - سيق - جييء - حيل - سييء - سيئت، فيما يعرف بالإشمام (أي إشمامِ الكسرةِ صوتَ الضمة) لدى النحويين والقراء، كالكسائي وورش في جميع ذلك، وابن ذكوان في: (حيل، وسيق، وسيئت) فقط، ونافعٍ وأبي جعفر في: (سيئ وسيئت) فقط[٢٣].

هذا، والإشمام فصيح، وإن كان قليلا. وقد قرئ به في القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ﴾ [العنكبوت: ٣٣]. فقد قرأ الجمهور (سيء) بكسر السين، وأشمها نافع، وابن عامر، والكسائي، وهكذا قوله: ﴿سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المُلك:٢٧]: أشمها الضمَّ أبو جعفر، والحسن ورجاءُ بن حَيْوَةَ، وشَيْبة، وابن وثّاب، وطلحة، وابن عامر، ونافع، والكسائي[٢٤].

وقد عُزِيَ الاشمامُ الى كثير من قيس وأسد وعُقَيْلٍ ومَنْ جاورهم[٢٥].

وعلى هذا: تقع الحركات العربية القصيرة الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة، ومعها الحركات الطويلة الثلاث: الألف المرققة والياء المَدِّيَّة والواو المَدِّيَّة على المقاييس: ١، ٤، ٧بالترتيب على وجه الدقة

(٢٣) سر صناعة الإعراب (١/٥٩)، تحقيق: السقا وزملائه، والنشر (٢/٢٠٨).
وانظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٢٦).
(٢٤) البحر المحيط (٧/١٥١).
وانظر: المغني في تصريف الأفعال (٢٠٢-٢٠٣). انظر: اللهجات العربية نشأة وتطورا (١٩٦)، بتصرف يسير.
(٢٥) الإتحاف (١/١٢٩).
وانظر : من تراث لغوى مفقود (٧١)، واللهجات العربية فى الكتاب لسيبويه (١٦٩-١٧٠).

والتحديد. أما المقياسان ٦، ٧ على الترتيب فمقاييس فرعية تمثل الميل بأقصى اللسان من الفتحة والألف المفخمتين تجاه الضمة والواو.

كما يمثل المقياس رقم (٩) الميل من الكسر إلى الضم، أما المقياسان٣، و٢ على الترتيب فيمثلان الميل بوسط اللسان من الفتحة والألف المرققتين تجاه الكسرة والياء.

يقول الدكتور شاهين في هذا الخصوص: «عَرَفَتْ العَامِّيَّةُ مُصَوِّتَ الضمة الممالة (o) كما عَرَفَتْ الفتحةَ الممالة (e) قصيرتين ، وطويلتين. والأولى لم تعرفها الفصحى إلا في المقطع الطويل المقفل حبن يكون فعلَ أمر من الأجوف، مثل: قُمْ، وصُمْ، إذ ننطقهما: som -qom ، ولكن الثانية موصوفة في أصوات الإمالة بأنها الألف الممالة إمالة شديدة، وهو وصف يُشْعِرُ بأن العربية القديمة عرفت ألفا ممالة إمالةً خفيفة، وهو مذهبٌ أو طريقةٌ في نطق الإمالة القرآنية»[٢٦].

وعلى ذلك: فما يسمى (تضجع قيس) يمثله المقياس رقم (٢)، وهو ما عُرِفَ لدى علمائنا قديما وحديثا بالإمالة عند الإطلاق، أي: دون تحديد لنوعها أو درجتها.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن الإمالة قسمان :

أ- أصلية وهي نوعان :

١- **وسطى**، أو بين بين، وهي عبارة عن انتقال وسط اللسان من المقياس رقم (٤) إلى المقياس رقم (٣).

(٢٦) في التطور اللغوي (٢٢٨).

٢- **كبرى أو شديدة،** وهي عبارة عن انتقال وسط اللسان من المقياس رقم (٤) إلى المقياس رقم (٢).

وهذه هي المقصودة عند الإطلاق، وتمثل تضجع قيس، كما سبق.

ب- فرعية، وهي ثلاثة أنواع :

١- خفيفة، وتتمثل في الانتقال بأقصى اللسان من المقياس رقم(٥) إلى المقياس رقم(٦).

٢- شديدة، وتتمثل في الانتقال بأقصى اللسان من المقياس رقم (٥) إلى المقياس رقم (٧).

٣- ضيقة، وتتمثل في الانتقال بوسط اللسان من المقياس رقم (١) إلى المقياس رقم (٨) حيث يلتقيان عند المقياس رقم (٩). وقد أتيْنا لكلٍّ بالأمثلة المناسبة.

هذا، ولابن جني كلام يُصَدِّقُنا في هذا الاستنتاج، حيث يذكر أن هناك حركاتٍ محضةً أصلية، هي: الفتحة والكسرة والضمة، وإِشباعُها يُحْدِثُ الألفَ والياءَ والواوَ، كما أن هناك حركاتٍ فرعيةً هي:

١-الفتحة مشوبة بالكسرة، كما في: عالم، وعايد.

٢- الفتحة مشوبة بالضمة، نحو: قام، صاغ، والصلاة، والزكاة.

٣- الكسرة مشوبة بالضمة مثل: قيل وغيض.

٤- الضمة مشوبة بالكسرة، في نحو: مذْعور وابن بور[٢٧].

ونختم بحثنا بتقرير لأحد الدارسين فيه جهود كل من علمائنا القدامى والمحدثين بالنسبة لظاهرة الإمالة، والفرقُ بين وجهة هؤلاء وأولئك، وذلك إذ يقول: والحق: أن القدامى لم يألوا جهدا - بقدر ما وسعتهم الطاقة - في تحديد هذه الأوضاع، والتنبيه عليها بطرق التعبير.

فهم يقولون مثلا التفخيم (الفتح): نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، والإمالة المتوسطة، حقها: أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة، والإمالة الشديدة، حقها: أن تُقَرِبَ الفتحةَ من الكسرة والألفَ الساكنة (المدِّية) من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، إلى نحو ما جاء في كتاب (النشر) وغيرِه من كتب النحو والقراءات.

ولا يزال الطلبة المُجَوِّدون للقرآن يوصيهم شيوخهم عَمَلِيًّا بملاحظة حركة اللسان والشفتين عند النطق بالفتح والتفخيم والإمالة.

وهناك فروق ظاهرة بين وصف القراء لظاهرة الإمالة، ووصف المحدثين لها، فالقراء ينبِّهون على المَعِيب وغير المعيب في أداء الفتح والإمالة، على حين أن المحدثين يصفون هذه الظواهر ويسجلونها معترفين بها جميعا من غير تفريق[٢٨].

---

(٢٧) سر صناعة الإعراب (١/٥٨-٥٩)، السقا وزملائه.
وانظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٢٤)، واللهجات العربية نشأة وتطورا (١٩٤-١٩٨).

(٢٨) الإمالة في القراءات واللهجات العربية (٤٦).

بقيت كلمة أخيرة، هي: أن ظاهرة الإمالة بأنواعها ودرجاتها مما يُتَوَارث في النطق جيلا عن جيل، أو يتعلم على الحذاق المتقنين، ويحاول الرسم الإملائي والقرآني أن يشير إليها ببعض العلامات المرشدة تسهيلا على الناطقين والمتعلمين كما أن النطق بها لا يغير من معنى الكلمة، فهي مجرد تنويع للأداء فقط.

يقول الدكتور الجُنْدي: كانت الكتابات العربية خالية من علامات الإمالة الخطية، والسبب في ذلك: أن هذه اللهجات وصلتنا مكتوبة لا منطوقة، ولاشك أن الخط الذي كتبت به المصاحف في القرن الأول الهجري كان خاليا من النقط والتشكيل وعلامات الإمالة، ثم هذا التاريخ الطويل لعلامات الإمالة. فقد كانت ترسم ياء في آخر الكلمة، أو ألفا تحت الحرف الممال، أو نقطة حمراء، أو كسرة علامة للإمالة، أو نقطة خالية الوسط كما في المصحف المصري (١٣٣٧هـ)، أو كتابة كلمة (مل) فوق الحرف الممال[٢٩].

كما أن ظاهرة الإمالة عموما ما زالت تسمع على ألسنة سكان وسط الجزيرة العربية حتى الآن، وإن تمثلت الإمالة الشديدة أو الكبرى (التضجع) في لهجة أهل لبنان على وجه الخصوص إلى يومنا هذا.

وقد حكى زميل لي أن كلمة (الله) في أذان المؤذنين في بريدة بالسعودية كانت تشد انتباهه بسبب الإمالة الشديدة التي فيها.

يقول الدكتور الموافي في هذا المضمار: واليوم تنتشر هذه الظاهرة في كثير من أصقاع العالم العربي، وهذا أمر له دلالته التاريخية.

---

(٢٩) اللهجات العربية في التراث (١/٢٩١- ٢٩٢).

ففي مصر أجرى الدكتور عبد الفتاح شلبي استفتاء لمعرفة مدى شيوع الإمالة في مصر، وانتهى إلى أنها تكثر في محافظات: المنوفية، والبحيرة، وكفر الشيخ مما يلي البحيرة، وما جاور ذلك من محافظة الغربية.

وهي متوسطة في محافظة الغربية بوجه عام، وبعض مناطق كفر الشيخ، وتتراوح بين الإقلال والتوسط في محفظات الوجه القبلي.

أما في بلاد المغرب العربي: فإن إمالة الفتحة الطويلة يميز بعضَ اللهجات مثل لهجات: طرابلس، والساحل التونسي، وجنوب سكيكدة، وصحراء الجزائر. وفي بلاد الشام: تنتشر فيها الإمالة في لبنان وسوريا، وقد سمعت زميلا حلبيا ينطق كلمة (خاتم) kheetim دون اعتداد بوجود حرف الاستعلاء.

وفي بلاد اليمن: نجد أهل صنعاء يُمِيلون ما قبل هاء التأنيث، إلا إذا كان حرف حلق، أما ما جاورهم من القبائل فإنهم لا يستثنون شيئا فيميلون حتى فتحة حرفَ الحلق قبل هاء التأنيث.

وفي العراق: تنتشر الإمالة انتشارا عجيبا؛ ولعل هذا راجع لمجاورة أهله لمنطقة نجد، وهجرة كثير من قبائل نجد إليه[٣٠].

(٣٠) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث (١٧٥-١٧٦).

خلاصة البحث

تتمثل خلاصة هذا البحث (تضجع قيس .. في ضوء علم اللغة الحديث) في: أن ظاهرة التضجع في نطق هذه القبيلة البدوية التي كانت تجاور تميما هي ما يعرف لدى علمائنا القدامى والمحدثين على السواء بالإمالة الشديدة أو الكبرى، ويمثلها المقياس رقم (٢) على مربع (دنيال جونز) الشهير لأصوات الحركة.

وبذلك نكون قد أضفنا مصطلحا آخر هو (التضجع) إلى مصطلحات الإمالة المعروفة في علمي التجويد والقراءات خاصة ، وعلم العربية على وجه العموم.

المراجع

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، أحمد محمد البنا، تحقيق: د/ شعبان محمد إسماعيل، ط الأولى، عالم الكتب بيروت سنة ١٩٨٧م.

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د/مصطفى النحاس، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة – سنة ١٩٨٦م.

٣- الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٩٥٨م. نشر: مؤسسة الخانجي بمصر.

٤- الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبع ونشر: نهضة مصر، القاهرة ط الثانية – سنة ١٩٧١م.

٥-أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار هلال ، ط الثانية ١٩٨٨م.

٦- أصوات اللغة العربية، د/ محمد حسن جبل، ط الثانية سنة ١٩٩٣م.

٧- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة سنة ١٩٩٢م.

٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، نشر : دار الفكر، بيروت، ط الأولى سنة ١٩٩٤م.

٩- التجويد والأصوات، د/ إبراهيم محمد نجا، مطبعة السعادة، القاهرة سنة ١٩٧٢م.

١٠-ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي، ط الرابعة، عالم الكتب بالرياض، سنة ١٩٩٦م.

١١- الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ الموافي الرفاعي البيلي، ط الأولى ، سنة ١٩٩٢م.

١٢- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ط الأولى، سنة ١٩٨٣م، نشر: الخانجي بالقاهرة.

١٣- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار، ط الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

١٤- دراسات في تاريخ العرب القديم، د/ محمد بيومي مهران، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط الثانية١٩٨٠م.

١٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، د/ محمد عبد الخالق عضيمة، نشر دار الحديث بالقاهرة ١٩٧٣م.

١٦- دراسات لغوية ، د/عبد الصبور شاهين، ط الثانية – مؤسسة/الرسالة سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٧- دستور الأخلاق في القرآن، د/ محمد عبد الله دراز، تعريب د/ عبد الصبور شاهين، ط مؤسسة الرسالة، الثانية ١٩٩١م.

١٨- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د/ عبد الفتاح البركاوي، ط الأولى ١٩٩١، نشر: دار المنار بالقاهرة.

١٩- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، دار عمار، عمان، الأردن، ط الثانية ١٩٨٤م.

٢٠- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني تحقيق: السقا وآخرين ط الحلبي، الأولى ١٩٥٤م.

٢١- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق د/ حسن هنداوي، نشر دار القلم، دمشق، ، ط الأولى ١٩٨٥م.

٢٢- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: د/ عبد الرحمن السيد، د/ محمد بدوي المختون، ط الأولى سنة ١٩٩٠م.

٢٣- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.

٢٤- العرب قبل الإسلام، د/ خليل يحيى نامي، نشر: دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٦م.

٢٥- العربية خصائصها وسماتها، د/ عبد الغفار هلال، ط الرابعة ١٩٩٥م.

٢٦- علم الأصوات (علم اللغة العام، القسم الثاني)، د/ كمال بشر ، ط السادسة، دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٠م.

٢٧-علم الصوتيات، د/ عبد الله ربيع، د/ عبد العزيز علام، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط الثانية، سنة ١٩٨٨م.

٢٨- فصول في فقه العربية د: رمضان عبد التواب ط الثالثة ١٩٨٧م ط مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٢٩- في التطور اللغوي، د/ عبد الصبور شاهين ، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، طبعة مكتبة دار العلوم بالمبتديان – القاهرة.

٣٠- في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس، ط الرابعة سنة ١٩٧٣م، نشر: الأنجلو المصرية.

٣١- الكتاب لسيبويه، ط الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٢- لغة تميم ، د/ ضاحي عبد الباقي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الأولى سنة ١٩٨٥م.

٣٣- لغة قريش، مختار سيد الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط الأولى سنة ١٩٩٢م.

٣٤- لغة هذيل د/ عبد الجواد الطيب، بدون تاريخ.

٣٥- لهجات العرب، أحمد تيمور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الأولى سنة ١٩٧٣م.

٣٦- اللهجات العربية.. بحوث ودراسات، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، سنة ٢٠٠٤م جمع وإعداد: ثروت عبد السميع، المحرر بالمجمع، مراجعة د/ محمد حماده، إشراف د/ كمال بشر.

٣٧- اللهجات العربية في التراث، د/ أحمد علم الدين الجُنْدي، ط الدار العربية للكتاب، ليبيا، الأولى سنة ١٩٨٣م.

٣٨- اللهجات العربية في(الكتاب) لسيبويه، صالحة راشد غنيم، نشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط الأولى سنة ١٩٨٥م.

٣٩- اللهجات العربية نشأة وتطورا، د/ عبد الغفار هلال، ط الثانية ١٩٩٠م .

٤٠- مجالس ثعلب (أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب)، تحقيق/ عبد السلام هارون، ط الثانية، نشر: دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

٤١- المستويات اللغوية في لهجة قيس، د/ حسن سيد فرغلي. مطبعة الوفاق الحديثة بأسيوط، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٤٢- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ط الخامسة، نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت، سنة ١٩٨٥م.

٤٣- المفصل.. في تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام، د/ جـوده على، ط الثانية، سنة ١٩٩٢م.

٤٤- المعجـم الوسـيط، مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة، ط الثانية، بدون تاريخ.

٤٥- المغني في تصـريف الأفعـال، د/ محمـد عبـد الخـالق عضيمة، ط العهد الجديد سنة ١٩٥٥م.

٤٦- مناهج البحث في اللغة د/ تمام حسان، ط دار الثقافـة، الدار البيضاء سنة ١٩٧٩م.

٤٧- من تراث لغوي مفقود لأبي زكريا الفراء، د/ احمد علم الدين الجندي، طبع ونشر جامعة أم القرى، سنة ١٤١٠هـ .

٤٨- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

السيرة العلمية:

د. حسين بن علي الزّراعي

- ماجستير بعنوان (التراكيب المتطابقة في الجنس) من جامعة محمد الخامس عام ١٩٩٩م.
- دكتوراه بعنوان: (إعراب الجرّ والأنظمة الإعرابية) من جامعة محمد الخامس عام ٢٠٠٣م.
- يعمل حاليًا أستاذ اللسانيات في كلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد بأبها.

تداخل الجهة والزمن والحدث في الدراسات اللسانية الحديثة

د . حسين علي الزراعي
أستاذ اللسانيات المشارك
بجامعتي صنعاء والملك خالد

١ . قضية التام في الأدبيات المعاصرة

أثار كتاب الفاسي الفهري (١٩٩١/١٩٩٣) المسمى: قضايا في بنية الجمل والكلمات العربية Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. الصادر باللغة الإنجليزية عن Kluwer Academic Publishers, Dordrecht قضية من القضايا الغنية بالنقاش والمساءلة في الدرس اللغوي المعاصر[١] هذه القضية اصطلح عليها بمصطلح "الجهة" الذي يعد مقابلا دقيقا لمصطلح "the aspect" في الأدبيات الغربية. وجوهر المشكل ظهر من خلال نقاش طويل مصدَرُه ظهور كتاب الفيلولوجي الألماني CASPARI كسباري (١٨٥٨) المسمى: A Grammar of the Arabic Language الذي راجعه ووسع فيه رايت (١٨٧٤) W.WRIGHT حيث أشاع هذا الكتاب فكرة أن الفعل في اللغة العربية(ج/١.ص:٥١) يمتلك صورتين زمنيتين: الأولى هي صيغة "فَعَلَ" التي تعبر عن حدث منتهٍ finished حدث واكتمل completed في علاقة مع أحداث أخرى، وهذا ما اصطلح عليه بـ "التام" the Perfect. والثانية هي صيغة " يفعل"

(١) الصيغة العربية لهذا الكتاب سبقت صدور الإنجليزية منه باسم البناء الموازي: الفاسي الفهري (١٩٩٠).

التي تعبر عن حدث غير منتهٍ unfinished ما فتئ وأن بدأ ولا يزال في طور الاكتمال، وهذا ما اصطلح عليه بـ"غير التام" the Imperfect. (لنضع مصطلحي التام the Perfect وغير التام the Imperfect في الذهن).

بالنظر إلى مفهوم التام يبني كسباري و رايت(ج/١.ص:٥١) تصورهما للنظام الزمني السامي (وهو ما يعممانه على اللغة العربية) على أساس فكرة أن "التام السامي" A Semitic Perfect أو غير التام Imperfect ليس له إحالة على العلاقات الزمنية. فالعربية والسامية عموما ليس لها نظام زمني في تصورهما، والعلاقة بين الفعل والعناصر الأخرى هي التي تحدد في أي وقت يقع التام أو غير التام؛ بمعنى أن الزمن لا يتحدد في السامية إلا من خلال السياق أو العناصر التي تحيط بالحدث. وعلى هذا الأساس فالتصور الثلاثي للأزمنة العربية الماضي والحاضر والمستقبل يُستبدل عندهما بتصور ثنائي تعبر عنه ثنائية تام وغير تام: يغطي التام الماضي فقط، ويغطي غير التام الحاضر والمستقبل معا.

١,١. المعاني الجهية للتام the Perfect

تعبر صيغة التام عن عدد من المعاني الجهية حسب كاسباري أو رايت نجدها مع الشواهد مدرجة تحت (١أ-د): [1]

(١):

أ- حدث اكتمل في وقت ما من الماضي(الماضي البسيط، والماضي التاريخي): ثم جاء زيد، جلسوا على الباب.

---

(١) كاسباري (ج/٢.ص:١).

ب- حدث اكتمل في لحظة التكلم ويبقى في حالة اكتمال(كما الحاضر التام في الإنجليزية): اذكروا ما كلفتكم به من الواجبات.

ج- حدث ماض يمكن أن يقال عنه إنه يقع غالبا ويظل يقع: روت الرواة، اتفق المفسرون.

د-حدث اكتمل في لحظة التكلم: أنشدتك الله، بعتك هذا.

ونجد عند كاسباري أيضا عددا من الأنماط التعبيرية التي يعبر عنها التام تأتي بعد "قد" وبعد أدوات الشرط "إذا" و"إن" و"ما" الدالة على الديمومة و"لما" وبعد أدوات النصب "أن" و"حتى" على الخصوص و بعد "إذن" و غيرها من الأدوات التي ينتج عن الانسباك معها التأويل الزمني التام. ونعتقد أن هذه الأنماط لا تتصل بموضوع الأزمنة بقدر ما تتصل بالتأويلات الدلالية السياقية، وقد وصل بعضها إلى حد التكرار والتمثيل لأزمنة سبق وأن مثل لها بطرق مختلفة لا تنسجم مع الوصف الدقيق للغة العربية.

١,٢. المعاني الجهية لغير التام the imperfect

تعبر عن هذه الصيغة عن العبارات التي تأتي في السياقات الواردة تحت (٢أ-هـ):

(٢):

أ- الماضي المتدرج: كان يفعل

ب- المستقبل المكتمل: يكون(قد) فَعَلَ.

ج- غير التام المطلَق the imperfect subjunctive.

د-الجمل المجزومة بأدوات الجزم التي تعبر عن الوجه الطلبي jussive وتعطي للفعل دلالة الاكتمال.

هـ- الجمل الشرطية the conditional التي تعبر عن الحاضر أو المستقبل.

ويلاحظ في وصف كاسباري أن صيغة المضارع (يفعَلُ) لا تعبر عن الزمن الحاضر، ونعثر على معان ودلالات زمنية للمضارع بناء على ما إذا كان هذا المضارع مرفوعا أو منصوبا أو مجزوما على النحو المبين تحت (٣أ-٣ج):

(٣):

أ- المضارع البياني (المجرد من العوامل(في حالة الرفع)) أو صيغة غير التام the imperfect indicative فهذا المضارع لا يعبر في نفسه عن أي فكرة للوقت وإنما يشير فقط إلى بدءٍ a begun، وحاضر ممتد enduring existence، وعدم تمام Imperfectt ،ومن هنا فالمضارع المرفوع عندهما يعبر عن الدلالات الوقتية المرتبة في (٣أ) من (٣أ١-٣أ٨):

(٣أ):

١-يعبر عن حدث لا يقع في جزء محدد من الوقت وإنما يقع في كل الأوقات: الإنسان يدبّر والله يقدّر.

٢- يعبر عن حدث ربما بدأ في وقت الكلام ولم يكتمل: المدرس يعرف ما لا يعرفه الطالب[١].

٣- يعبر عن حدث يتم في المستقبل البسيط : واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا.

٤- يعبر عن حدث في المستقبل له علاقة بحدث مضى(له فضلة) بحيث نستخلص من هذه العلاقة معنى "الحال": ثم استوى على العرش يدبر الأمر.

٥- يعبر عن حدث يستمر أثناء الماضي(بدون فضله): جاء زيد يضحك. فجاءته إحداهما تمشي على استحياء.

٦- إذا وقع المضارع بعد "لا" أو "ما" فإنه يحتفظ بفكرته العامة الدالة على غير التمام: خرج لا يعلم أين هو. ما يزكى الإنسان بشهادة أهل بيته.

٧- الدلالة على التكرار إذا دخلت عليه "كان": كان يحب الشعر والشعراء.

٨- الدلالة على المستقبل التام future-perfect للتعبير عن التكرار أيضا: يجب أن يكون ذهب.

ب- المضارع المطلق أو المنصوب the subjunctive of the imperfect وهو نوع آخر من "غير التام" ويمتلك دائما معنى المستقبل.

ج- المضارع الجزائي أو المجزوم the jussive of the imperfect ويملك بشكل دائم معنى التمام[٢].

---

(١) بموجب خصائص أفعال الحالات فإن الفعل يعرف في المثال يقرأ على الاكتمال وليس على عدم الاكتمال.

(٢) الكلام هنا عن جزم المضارع بأدوات النفي لا الشرط.

على أن كثيرا من العبارات التي أعطي لها تأويلات سياقية لا تتفق مع الوصف الدقيق للنظام الزمني العربي، كما نجد عندهما بعض المصطلحات غير الملائمة من قبيل ما نجده بالنسبة لـ "لن" و"لم" و"لما" التي يعدانها ظروفا adverbs. وقد أخذ كثير من المستشرقين بكل ما جاء في هذا الكتاب من أمثال كامري(١٩٧٦)و(١٩٨٥)و(١٩٩١) وكوهن(١٩٨٩)، كما أخذ بهذا التصور الزمني بعض الباحثين العرب ومنهم تمام حسان(١٩٧٣)؛ بحيث أصبح مفهوم الجهة التأويلي معبرا عن النظام الزمني للغة العربية.

ولا يعني أن الكتاب لم يحقق قيمته العلمية المنشودة، فالكتاب يغوص في عدد من القضايا التي تحاشى النحاة القدماء والتقليديون من المعاصرين الدخول فيها؛ نظرا لغياب الدرس المقارن عندهم، كما نبه الكتاب إلى أمور كثيرة كانت غائبة كليا أو جزئيا في الدرس النحوي التقليدي من قبيل الحديث عن الوجوه the moods والدور الذي تلعبه في التأويل الزمني. ويعد كتاب كاسباري أول كتاب متكامل يضم بين دفتيه جميع المكونات اللغوية الأساسية للغة العربية أصواتا وكتابة وصرفا وتركيبا ومعجما ودلالة مخضعين كل هذه المكونات للدرس المقارن الحديث.

٢ . مفهوم الجهة اللغوية

أولا: الجهة عند النحاة

لم يظهر مصطلح الجهة بالمفهوم الذي هو عليه في الأدبيات الحالية لسبب بسيط يعود إلى أن النحاة يدرجون كل ما له صلة بالجهة(أو

الدلالات الزمنية) تحت مفهوم الزمن. وإذا وجد مصطلح الجهة عند بعضهم فهو يعبر عن مفاهيم مختلفة وغير مرتبطة بالضرورة بالزمن أو بالمفهوم الذي أصبح واضحا في اللسانيات اليوم. ولعل تمام حسان(١٩٧٣) أول من استعملها بالمفهوم الحالي من اللغويين العرب المعاصرين.

ثانيا : الجهة في الأدبيات الحالية

يرى كامري بأن الجهة "مكونة من طرق متعددة للنظر إلى التركيب الزمني الداخلي لموقف ما". ويميز كامري ثلاثة فروق جهية بين اللغات هي: الماضي والمضارع والتام[١]. وأعتقد أن الجهة تقوم بدور توزيع الحدث داخل الإطار الزمني، وهي كما يعبر عنها غاليم(٢٠٠١) جزء من طبيعة البنية الداخلية للزمن هو ما نتبناه في هذا البحث[٢]. والجهة تنوعات معجمية ونحوية لقياس الحدث، بل هي بالأصح نظام لقياس الحدث، فيتم بواسطتها قياس الحدث من عدة طرق أكثرها بروزا في اللغات (جهة البناء أو الجهة النحوية وجهة الوضع أو الجهة المعجمية)[٣]. ويمكن أن نعرف الجهة المعجمية أو جهة الوضع بأنها الدلالات الناتجة عن الحدث التي تتفاعل بكيفيةٍ ما مع الزمن. بينما تعد جهة البناء أو الجهة النحوية التنوعاتِ الصرافيةَ التي تحقق الجهة المعجمية بوسائل صرفية ونحوية،

(١) وانظر كرستين بروستاد(٢٠٠٣).

(٢) الافتراض الذي أدافع عنه يذهب في اتجاه أن الجهة المعجمية جزء من الطبيعة الداخلية للحدث.

(٣) راجع الإحالات السابقة من(٤٩) إلى(٥٣).

كما يحدث عند الانتقال من جهة المبني للمعلوم إلى المجهول، أو عند الانتقال من فاعل إلى مفعول[(١)].

٣. الأنماط الجهية

أظهرت الدراسات المقارنة المعجمية والدلالية والنحوية عددا من الأنماط الجهية المتصلة بالزمن، وقد قدمت الأبحاث المنجزة في إطار اللسانيات التوليدية على وجه الخصوص كثيرا من المساهمات حول موضوع الجهة والدور الذي تلعبه مع الزمن في تأويل العبارات النحوية. وأظهرت هذه الدراسات عددا من الأنماط الجهية نوضحها في الفقرات الفرعية الآتية:

٣,١.جهة التمام وغير التمام

تعد جهة التام و/أو غير التام نحوية عندما تحقق بالوسائل الصرفية والنحوية؛ من قبيل ما يعبر عنه الحدث (نام) الذي يؤول على جهة التمام في عبارة نام الطفل بمعنى أنه نام وهو الآن مستيقظ، كما يمكن أن يؤول على اللاتمام بمعنى أنه دخل في النوم وهو لا يزال نائما، وهو الفرق الذي نجده في الإنجليزية ما بين he has already slept وبين he had been sleeping على التوالي. وتكون أيضا جهة معجمية لا يتم الحصول عليها إلا

(١) عندما يتوافق الشكل الصرفي مع الزمن المحال عليه نكون في الغالب بصدد الجهة النحوية(فعل و يفعل تحيلان على الماضي والحاضر تباعا)، وعندما لا يتوافق الشكل الصرفي مع الزمن المحال عليه نكون في الغالب بصدد الجهة المعجمية أو الدلالية(أعرف تحيل على الماضي عرفت).

بموجب الخصائص المعجمية للوحدة المعجمية. وقد ميز الفاسي الفهري (١٩٩٣) بين جهتين لهما دور أساي في المقاربات الجهية والزمنية وهما جهة التمام perfectivity واللاتمام imperfectivity فالتمام ينظر للوضع على أنه كتلة واحدة بدون تجزيء؛ أي بدون تجزيء لأجزاء الحدث. واللاتمام يعطي اهتماما للبنية الداخلية للحدث. ويلزم عن هذا عند سمث (من خلال جحفة ٢٠٠٦) أن التمام يتضمن نقطتي بداية ونهاية، أما اللاتمام فهو يركز على المراحل التي هي ليست أولية ولانهائية، ويربط سمث هذين المفهومين بما يسميه بوجهة النظر. وتعبر الإنجليزية عن وجهة نظر غير التام،في العادة، بواسطة التدرج progressive ويورد الفاسي(١٩٩٣) بعض الأمثلة لجهة التام وجهة غير التام نوضحها في(٤):

:(٤)

أ-John ate the pizza

ب-John was eating the pizza

فالحدث في (٤أ) وصل إلى الأوج أو إلى نهاية الوقت الذي أنجز فيه الحدث، وهذا ما يسميه الفاسي(١٩٩٣) بتأويج الحدث وهو مصطلح يستعمل للأحداث التامة؛ بمعنى أن هناك "جون" الذي يأكل "البيتزا" وهناك الوقت الذي ينهي فيه جون أكل "البيتزا". بخلاف الأحداث غير التامة في (٤ب) التي لا يحدث لها تأويج. ومن خصائص الماضي استقلاله عن جهة الوضع وهذا هو جوهر افتراض الفاسي الفهري الذي ينص على أن الماضي هو الزمن الموجب في التقابلات الزمنية.

٣,٢. جهة المكتمل وغير المكتمل

يدافع عدد من الباحثين عن وجود مفهوم "الحاضر المكتمل" في العربية. ويبين أحمد الباهي(٢٠٠٠) على سبيل المثال أن العربية تعرف الحاضر المكتمل من خلال صيغة "قد فَعَل" حيث أن بنيات "قد فعل" لا تدل على الحاضر البسيط ولا على الماضي البسيط وإنما تدل على زمن مركب يسميه الحاضر المكتمل الذي يملك البنية الزمنية: [حدث-إحالي، تلفظي] بمفاهيم نظرية ريشنباخ(١٩٤٧)؛ فزمن الحدث يحل قبل زمن الإحالة، وهذا الأخير يتواقت مع زمن التلفظ. أما القيمة الجهية لبنيات "قد يفعل" فهي من قبيل ما يسمى بـ"الناتج" ويشتبه مع اسم الفاعل مع فرق أن "يفعل" يمكن أن يحمل قيمة الوجه التي تتراكب مع المستقبل.

ومن هذا النمط ما هو جهة معجمية محضة تتضمن أيضا ما يسمى بالاستغراق وهو فرق نجده بين (أكل الطعام) و(التهم الطعام) فالحدث في الأولى ليس مكتملا بالضرورة: أي أن الذي أُكِل هو بعض الطعام وليس كله، بخلاف (التهم) التي تعبر عن اكتمال الحدث، ولا يظهر أن الفضلة تلعب دورا في هذا الالتباس.

٣,٣. جهة التدرج

يعني التدرج أن الحدث خائض في التحقق وقت التلفظ، وهي جهة نحوية في العربية والإنجليزية والفرنسية وتعبر عن الحدث الذي ينجز في مراحل. وقد نحصل على التدرج بواسطة مورفيمات مثل ing في الإنجليزية وait المصرفة في حالة الماضي المتدرج (imparfait) في الفرنسية، أما العربية فتستعمل اسم (الفاعل) المشتق من الحدث الممتلئ

من قبيل(أنا قادم وأنا نازل). عموما، كل الجهات التي ذكرت يمكن الحصول عليها بواسطة (اسم الفاعل) في اللغة العربية ومن هنا فإن صيغة (فاعل) صيغة غنية ومعقدة وتحتاج إلى تفكيك ومزيد من الوصف على نحو ما فصلناه في الزراعي(٢٠٠٧). ويمكن استعمال مفهوم التدرج لتمييز اسم الفاعل من الصفة المشبهة: فنحن لا نقول: لامح من لمح مع أن (لمح) تدل على حدث وتدل على زمن ومع ذلك لا نشتق منها اسم الفاعل لأن هذا عائد إلى غياب خاصية التدرج. وكذلك (فَرِحَ) لا نشتق منها (فاعل) لغياب فكرة التدرج إذ الفرح لا ينجز في مراحل وإنما في مرحلة قصيرة ووجيزة. ويدخل في هذا النوع من الصفات ما يشتق من الأحداث(تعِب- ضجِر- طَرِب- عَوِر) الدالة على اللزوم والثبات والمفتقرة لخصائص التدرج فيها.[١] وهذا النوع من الجهات يختص بأفعال غير الحالات وهي من قبيل ما نجده في(٥):

:(٥)

أ- نشاط/يسير زيد

ب- إنجاز/يكتب زيد

ج- إتمام/يموت زيد

ويفهم من هذا التمييز أن الحالات لا تمتلك بنية زمنية داخلية بخلاف غير الحالات (بناء على تصور جحفة (٢٠٠٦) والزراعي (٢٠٠٧)) وأن جهة التدرج محمول فضائي زمني بمعنى "في": أي أنه يضع الزمن

(١) انظر إلى الفصل المتصل باسم الفاعل وتنوعه الجهي في الزراعي (٢٠٠٧).

التصريفي داخل زمن الحدث الذي يعبر عنه المركب الفعلي(م.ف)[١]. فالتركيز من خلال نموذج جحفة ينصب على فاصل فرعي في زمن حدث البناء بالنسبة لعبارات من قبيل العبارة الواردة في(٦):

(٦):

يبني زيد منزلا

يستلزم التدرج في العبارة (٦) على حسب جحفة وجود حدث ذي امتداد أكبر مما يسميه يسبرسن (١٩٢٤) "زمن الإطار"[٢]. ففي جملة من قبيل(٧) :

(٧):

- زيد يصيد

يلاحظ يسبرسن (انظر جحفة(٢٠٠٦)) أن "الصيد" يعد نوعا من الإطار الذي يؤطر شيئا آخر". وهذا الزمن المؤطَّر هو زمن التصريح كما يسميه جحفة. وهذا الزمن تضعه جهة التدرج في داخل زمن الحدث. فزمن الحدث على هذا النحو يؤطِّر زمن التصريح؛ مما يعني أن زمن الحدث أوسع من زمن التصريح.

٣,٤. جهة المحدودية

يعرف الفهري (١٩٩٧) المحدودية telicity or delimitedness بأنها خاصية حدث ما له نقطة بداية محددة في الزمن بحيث تكون هذه

(١) الزمن الحاضر هو محمول فضائي زمني بمعنى "في": يضع زمن التلفظ في الزمن التصريفي.

(٢) انظر عبد المجيد جحفة(٢٠٠٦).

النقطة المحددة هي أحد موضوعات الحمل. وتظهر جهة المحدودية في الأدبيات الحالية في بنى من قبيل (٨):

:(٨)

أ- تعلم زيد

ب- تعلم زيد الإنجليزية

يُنعت الحدث في (٨أ) بأنه غير محدود نظرا لأنه لا يُفرغ في موضوع (مفعول) معين فهو إذن حدث مفتوح لا مغلق(بمفاهيم الإغلاق التي نجدها عند هككنبوثم(١٩٤٧) لأنه غير محدود، بخلاف الحدث في (٨ب) الذي هو حدث مغلق ينتهي إلى موضوع محدد. فالمحدودية أو عدم المحدودية عبارة عن سمة دلالية لقياس محدودية الزمن الداخلي للحدث أو عدم محدوديته.

نستلهم في هذا السياق بعضا من دراسة غاليم (٢٠٠١ ص ١٧) التي تربط المحدودية بنظرية العدد. فالعبارة (٨ب) هي[+محدود] بينما تتميز (٨أ) بـ [-محدود] ويعرف [+محدود] بأنه ما تؤخذ حدوده بعين الاعتبار كما في (٨ب) أما [-محدود] فلا تؤخذ حدوده بعين الاعتبار، ويستلزم هذا أن الكيان غيرُ محدود ،مطلقا، في الزمان والمكان، ويتعلق الأمر فقط بعدم دخول الحدود في الرؤية المعنية على حسب غاليم (٢٠٠١ ص ١٤). والمحدودية عند غاليم أنواع منها: محدودية الأسماء المعدودة مثل:"تفاحة" وغير المعدودة مثل: أسماء الكتل المجردة نحو:"ماء". فالفرق بين "تفاحة" و"ماء" بالنظر إلى سمة المحدودية هو أن تجزيء اسم

الكتلة "ماء" يُمكّن من الإبقاء على ما يصح وصفُه بالماء، خلافا للاسم المعدود "تفاحة" الذي لا يسفر تجزيئه إلى ما يصح بأن يوصف بأنه تفاحة أخرى. ويقيم غاليم (٢٠٠١) تفاعلا ما بين جهة المحدودية (مح) وسمة البنية الداخلية (بد) على مستوى الأشياء والأوضاع على النحو الآتي الذي نبينه تحت (٩):

(٩) أشياء أوضاع

أ [+مح، -بد] أفراد(كلب) حدث مغلق(جرى إلى المكتب)

ب[+مح، +بد] جماعات (لجنة) حدث تكراري محدود(لمع الضوء حتى الصباح)

ج [-مح، -بد] كتل(ماء) سيرورة منسجمة غير محدودة(نام زيد)

د [-مح، +بد] تجمعات(طاولات) سيرورة تكرارية غير محدودة(لمع الضوء باستمرار)

نعد من جهة المحدودية أيضا جهات أخرى من قبيل: (جهة البدء) التي تنطلق أحداثها من زمن محدد لكنها تبقى مفتوحة وغير محددة النهاية. و (جهة الاستغراق) التي يستغرق فيها الحدث كل أجزاء المفعول على نحو ما بينا أعلاه.

٣,٥.جهة الامتداد

يعد المحمول "مات" فعلا لحظيا ليس له امتداد بخلاف المحمول "بنى منزلا" الذي يعد محمولا امتداديا، ويبدو أن هذا التمييز بين

المحمــولين (بــنى ومــات) يرجــع إلى كــون الأول ينتمــي إلى طبقــة المحمولات الدالة على الإنجازات بينما ينتمي الثاني إلى طبقة الإتمامات علــى حســب فرضــيات فنــدلر. وهنــاك مــن يميــز بــين التــركيبين في المجموعتين(١٠) و(١١)بناء على جهة الامتداد:

(١٠):

التصريف للماضي المتدرج imparfait

أ- كان يضحك

ب- جاء زيد يضحك

(١١):

التصريف للماضي passé composé

أ- لعب زيد

ب- جاء زيد قد لعب

فالبنيتان لهما نفس التمثيل عند ريشـنباخ(١٩٤٧) ومـا يميزهمـا هـو جهـة الامتـداد: حيـث المجموعـة(١٠) تعـبر عـن حـدث ممتـد قياسـا ب(١١).

٣,٦. جهات أخرى

من بين الجهات التي يعتمد عليها التأويـل الـزمني مـا يسـمى بجهـة "الاستمرار والديمومة" ونجدها بالخصوص في ما سمي بالأفعال الناسخة من قبيل: "مازال" و"مادام" و"ما انفك"، وتعبر بقية هذا النمط من الأفعال

عن جهة التغير أو الصيرورة من قبيل "أضحى" و"أصبح" و"أمسى" و"بات" المتضمنة لجهة الاستمرار أو عن جهة التغير من قبيل "صار" و"عاد" و"آض"[(١)].

يتحدث الفاسي الفهري (١٩٩٠) عن نوع آخر من الجهات يسميه جهة " البدء" وهي جهة تميز اسم الفاعل عن الصفة وهو ما يعكس الفرق بين "غارق" و"غريق": فالأولى تظهر أن الحدث قد بدأ في الحاضر لكن من غير المعروف متى سينتهي، أما الثانية فلا تظهر لا متى بدأ الحدث ولا متى سينتهي. وقد استلهمنا هذه الأفكار من الزراعي(٢٠٠٧) حيث قدمنا فيه نظريتنا عن بناء الكلمة وخصوصا التمييز بين الصفة واسم الفاعل[(٢)]. وهناك جهة الحدث الناتج وغير الناتج: فالناتج هو ما يؤدي إلى نتيجة، وغير الناتج ما لا يؤدي إلى نتيجة، والفرق بينهما تعكسه البنيتان الآتيتان تباعا في (١٢):

(١٢):

أ- استأجر زيد

ب- استأجر زيد شقة

وهو الفرق الذي أوضحناه أعلاه ما بين الإتمامات التي تمثلها البنية (١٢أ) والإنجازات التي تمثلها البنية (١٢ب)، ويظهر من خلال الجهتين الدور الذي يلعبه الموضوع الداخلي(المفعول) في التمييز بينهما. ونشير

(١) لدراسة مماثلة انظر دراسة أحمد بريسول (١٩٩٤) لأفعال الشروع.

(٢) بالإضافة إلى ذلك فقد ساهمت دراستنا للجهة في بلورة نظرية عن التمييز بين ما هو معجمي وما هو غير معجمي: فجهة البدء تميز اسم الفاعل الذي يُبنى خارج المعجم عن الصفة المحضة التي تبنى داخل المعجم ولا تتوفر على جهة بدء.

في هذا السياق إلى أن المنظورية تلعب دورا مهما في تنشيط السمات الجهية الداخلية للحدث؛ فإذا كان الموضوع الداخلي(المفعول) منظورا عند القراءة فإننا نحصل على قراءة تؤدي إلى نتيجة محددة، وإذا لم يكن منظورا نحصل على قراءة مفتوحة لا تؤدي إلى نتيجة محددة. ويشبه سمث (من خلال جحفة ٢٠٠٦) عمل "وجهات النظر" بعمل عدسات آلة التصوير لأنها تجعل الأشياء مرئية عند من يستقبلها. والأوضاع هي الأشياء التي تصوب وجهات النظر أو العدسات نحوها. ومن الملائم أيضا أن نبين أن المنظورية أساسية في كل الأنماط الجهية المذكورة: فلقراءة بنية من قبيل(١٣):

:(١٣)

يقرأ زيد صحيفة الحياة الآن/عادة

نحتاج لمعرفة وجهة النظر إما على الحاضر والتدرج أو على العادة بناء على منظورية الظرفين "الآن" أو "عادة" خصوصا في اللغات التي لا تملك صُرَفًا جهية محددة.

٤ . الجهة النحوية والجهة المعجمية

يميز كثير من الباحثين بين نمطين من الجهات: الأول يطلق عليه الجهة النحوية أو جهة البناء والثاني يطلق عليه جهة الوضع أو الجهة المعجمية[١]. فالجهة النحوية أو جهة البناء هي ما يعبر عنها بواسطة علامة صرفية أو نحوية من قبيل علامة التدرج في الإنجليزية التي تعبر عن جهة

(١) انظر إيسل (١٩٩٠) و كامري (١٩٧٦) والفاسي الفهري (١٩٩٣).

التدرج، أو هي الجهة التي تملك صيغة أو شكلا نحويا خاصا كما في صيغ "فَعَلَ" التي تعبر عن الشكل التام و"يفعل" و"فاعل" اللتين تعبران عن الشكل غير التام. على أن ما قد يكون جهة بناء في لغة قد يكون جهة وضع في لغة أخرى، وما قد يكون جهة وضع في لغة يظهر على أنه جهة بناء في لغة أخرى. فعلامة التدرج الأنجليزية ing هي علامة بناء في حين أن التدرج في العربية ليس له علامة صرفية أو نحوية فيقرأ من خلال ما تقدمه جهة الوضع.

٤, ١. الجهة النحوية

تشير الجهة النحوية إلى الطريقة التي يصف بها شكلٌ فعلي حدودَ نشاط معين كحدث أو عملية أو حالة. ونجد في الأدبيات اصطلاحات متعددة لهذه الأشكال أو الصيغ النحوية تقابل التقسيم الثلاثي المعروف للأزمنة: ماضي ومضارع ومستقبل : فنجد عند كامري (١٩٧٦) الماضي والمضارع والتام. وبعض الأدبيات تفضل استعمال: الماضي والمضارع واسم الفاعل. وهناك من يفضل استعمال: ماضي وتام وموقوت. ونجد أيضا تقسيما ثنائيا فقط للنظام الزمني العربي: الماضي والتام (المضارع المستغرق). وتشير جهة البناء على حسب إيسل (١٩٩٠) إلى الطريقة التي يتقدم بها الحدث كحدث تام أو موقوت أو كحدث مستمر أو كحالة ناتجة. كما أنها الزمن الذي يوحي به شكل فعلي معين من الأشكال أو الصيغ التي ذكرت قبل قليل. فجهة البناء تتصل بالتحقيق النحوي لثنائية "تام" و"غير تام" التي تعني الماضي وغير الماضي. فإيسل يعد من جهة

البناء ما يتصل نحويا بثنائية تام أو غير تام فقط. وأقترِح أن يدخل في جهة البناء كل ما له وظيفة نحوية مرتبطة بالتوقيت.

٤,٢. الجهة المعجمية أو جهة الوضع

تشير الجهة المعجمية بناء على كامري

(١٩٧٦) إلى سمة دلالية متأصلة في فعل بعينه كأن يحيل على معنى ميقات بعينه أو معنى استمرار أو معنى حركي أو ثابت[١]. وهي تصف الخصائص الداخلية للأوضاع. ويميز كامري بين الطبقات الجهية والأشكال الجهية: فالطبقات الجهية للأوضاع تصف التكوين الزمني الداخلي بينما تمثل الأشكال الجهية الطرق المختلفة في النظر إلى الوضع. ومن نتائج الدراسات المعجمية للجهة تصنيف المعجم إلى طبقات عامة، ومن أهم هذه الطبقات (التي أفرزت العديد من النتائج على مستوى تصنيف الأفعال داخل المعجم) تصنيف هاريل (من خلال بروستاد ٢٠٠٣) للأفعال إلى: أفعال الحركة والثبات (قفز/حزن) والأفعال الموقوتة (يكتب رسالة الآن) وأفعال الاستمرار(يكتب الشعر عادة). وهناك من صنف الأفعال إلى: أفعال نشاط كائن، وأفعال نتيجة حتمية لهذا النشاط؛ فالفعل "ركب" يعبر عن نشاط كائن وهو الامتطاء وعن نتيجة حتمية لهذا النشاط وهي قيادة المطية حيث أن الامتطاء أمر حتمي لتتم القيادة. وكذلك الفعل "لبس" يعبر عن عملية وضع وعن ارتداء الملابس حيث وضع شيء على الجسد سابق على الارتداء[٢].

---

(١) انظر في هذا كامري (١٩٧٦) و كرستن بروستاد (٢٠٠٣) والزراعي(٢٠٠٧).

(٢) انظر بروستاد (٢٠٠٣).

ونجد تصيفا ثالثا يصنف الأفعال إلى: أفعال حالة (عرف وفهم وفرح) وسيرورات (انتقل وصار ورحل) ووضْع (جلس وقعد وقام) وأحداث (كتب وقرأ وضرب). ونجد تصنيفا رابعا يصنف الأفعال إلى: حالة وحركة وإنجاز ووضع وحدث. وهناك من قام بدراسة المعجم على نظام ماكاروس: حالة وحركة وإنجاز وتطور ودفع. وهناك من يكتفي بتصنيف الأفعال إلى: أحداث من جهة وحركة وثبات من جهة ثانية. وقريب من هذا الأخير نجد من يفضل تصنيف الأفعال إلى: حالة وحركة ودفع وحدث. بالإضافة إلى هذه التصنيفات نجد تصنيفا هاما قام به فاندلير(١٩٦٧)Vendler نعرضه فيما يأتي.

قام فاندلير بتصنيف المحمولات المعجمية جهيا، ولعب هذا التصنيف دورا هاما في الأدبيات التوليدية حيث ساهم في بلورة العديد من الأفكار حول المعجم والدلالة والتركيب. اقترح فندلر نموذجا لتصنيف المحمولات بناء على أنماط جهة الوضع في اللغات على النحو الآتي المبين في (١٤):

(١٤):

أ- حالات

ب- سيرورات

ج- إتمامات

د- إنجازات

تعتمد هذه الأنماط الجهية على ثلاث مجموعات من القيم الجهية مبينة تحت (١٥):

(١٥):

أ: قيمة [+/- تغيير]

ب: قيمة[+/-امتداد زمني]

ج: قيمة[+/-محدودية]

ويمكن أن تتوارد هذه القيم مع الأنماط الجهية لتعطي الإمكانات الآتية المبينة في (١٦):

(١٦):

أ- الحالات:[-تغييري]، [+امتدادي]، [-محدودية]: عرفت الجواب، فرحتُ

ب- السيرورات:[+تغييري]، [+امتداد زمني]، [-محدودية]: أكل الولد

ج- الإتمامات:[+تغييري]، [-امتداد زمني]، [+محدودية]: قرأت الرسالة

د- الإنجازات:[+تغييري]، [+امتداد زمني]، [+محدودية]: خرج الولد إلى المدرسة

في دراسة معمقة، يلاحظ جحفة(٢٠٠٦) بأن المحمولات "بنى" و"كتب" و"سار" تلتبس بين "النشاط" الذي ليس له حد نهاية و"الإنجاز" الذي يتضمن حد نهاية، ويرد هذا الالتباس إلى الفضلة الاسمية التي تتبع المحمول[1]، واقترح بعض المفاهيم لتمييز المحمولات الملتبسة من قبيل(التدرج و تغير الحالة و المتأثر) على النحو الموضح في (١٧):

(١٧) التدرج تغير الحالة المتأثر

الحالة - -

النشاط + -

الإنجاز + + موضوع داخلي(=مفعول)

الإتمام + + موضوع خارجي(=فاعل)

في مقابل ما ذكر نميل إلى تصنيف ينسب إلى قروبر وتبناه عدد كبير من الباحثين يقوم على أساس تصنيف الأفعال إلى أفعال: حالات ووضع وأحداث. ولهذا التصنيف انعكاس واضح على دراسة المعجم الحديث. بناء على التصنيف الثلاثي يفرق الفاسي الفهري (١٩٩٣) ما بين الأحداث events والحالات stats والسيرورات processes بمفاهيم نقطة بداية الحدث ونهايته: فالأحداث لها نقطة بداية ونقطة نهاية، والحالات ليس

(١) يفترض داوتيdowty (١٩٨٦) أن تحديد الجهة لا يقتصر على الموضوعات الداخلية وإنما تتدخل أيضا عناصر أخرى يمكنها أن تنشط بعض سمات الحدث الجهية عبر تفاعلها معه. فهو من المدافعين عن أن الجهة خاصية لكل المكونات التي ترد مع الفعل مثل(الظروف والجهة والوجه والموجهات).

لها نقطة نهاية، والسيرورات لها نقطة بداية وليس لها نقطة نهاية. ويمثل لها بالأمثلة الواردة في (١٨):

(١٨):

أ- أحداث

John ate the pizza

أكل زيد البيتزا

ب- حالات

John is sick

زيد مريض

ج- سيرورات

John ran

جرى زيد

فالماضي الحالة يفيد ابتداء الوضع من قبيل: حزن الرجل. نلاحظ أن طبيعة التصنيف (أحداث، حالات، سيرورات) هو ما يسميه سميث (١٩٩١) جهة الوضع situation aspect.

٦- علاقة الجهة بالزمن والحدث والوجه والموجه

لقد أخذ مفهوم الجهة حيزا كبيرا من النقاش في الأدبيات الحالية العربية والسامية والغربية، ونظرا لتداخل الجهة مع مقولات وعناصر

نحوية أخرى فقد وضع له اللسانيون أكثر من مفهوم ونسبوا إليه أكثر من دور داخل التركيب، لكنهم يجمعون تقريبا على وجود علاقة بين الجهة والزمن مع المقولات الزمنية الأخرى.

في هذا المستوى أحاول أن أضع مفهوما بسيطا للجهة وأبين موقعها والدور الذي تلعبه بالتحديد قبل أن أبدأ بعرضها من وجهة نظر تحاليل مختلفة وربما معقدة. افترض النحاة التقليديون أن الفعل يتألف من زمن وحدث. وأفترض بما يتفق مع المقاربات الحالية أن الفعل يتألف من زمن وحدث وجهة. وإذا كنا نتساءل مع النحاة عن موقع الزمن بالنسبة للحدث، ونعد هذا أمرا مشكلا، فإن المشكل يصبح أكثر تعقيدا عندما يطرح سؤال: أين تقع الجهة بالنسبة للحدث والزمن؟

أفترض أن الحدث (وعلى غرار بعض الرؤوس(كالحد مثلا)التي تدمج سمات مختلفة وغير متناقضة) يتألف من مجموعة من القيم الدلالية ذات الطبائع المختلفة[(١)]: بعض هذه القيم لها طبيعة زمنية كالمدة والتدرج والتمام والمحدودية وغيرها؛ حيث تؤلف كل هذه القيم ما يسمى جهة. ويوجد داخل الحدث أيضا قيم أخرى ليس لها طبيعة زمنية ويلزم عن ذلك أنْ ليس لها ارتباط بالجهة. أفترض أيضا أن الزمن هو الإطار الزمني الذي يتوزع بداخله الحدث. ومن خلال هذين الافتراضين تتحدد العلاقة بين الجهة والحدث والزمن؛ يمثل الزمن في هذه العلاقة المحتوى أو الإطار الذي ينجز خلاله الحدث. وتقوم السمات الجهية المدمجة في الحدث بتجزيء الحدث إلى فواصل زمنية داخل الإطار

(١) تفترض سيلوني (١٩٩٤) Siloni أن الحد يضم كينونات ذات طبائع مختلفة.

الزمني. ويصح اعتبار الفواصل التي ستظهر بين أجزاء الحدث نقاطًا أو مُدَدًا زمنية يُنظر من خلالها إلى المراحل التي يتطلبها إنجاز الحدث أو التي يكون قد توقف عندها الحدث قبل أن ينجز أو أثناء إنجازه أو بعد إنجازه. وسنقدم في الفقرة (٧) خطاطة للمؤقت الزمني الجهي نوضح من خلالها العلاقة بين المستويات الثلاثة بصورة أدق.

٦,١. علاقة الجهة بالزمن

نعد فهم العلاقة بين الجهة والحدث والزمن والمكونات الأخرى جزءا أساسيا من مفهوم الجهة. فالسمات الجهية لصيقة بكل هذه المكونات التصاق اللون بالشكل الذي يوجد هذا اللون عليه. لذا فإنني أسعى لرصد طبيعة هذه العلاقة بين الجهة وبين كل مكون من المكونات المذكورة على حدة.

من بين الطروحات التي قدمت عن محتوى أزمنة الأفعال ما نجده في جحفة (٢٠٠٦) عن المحتوى التمثيلي لأزمنة الأفعال وهو إما محتوى زمني أو محتوى جهي أو محتوى وجهي. فالزمن الفعلي يعبر عن محتوى زمني من سبْقٍ أو تواقت أو ولاء بالنظر إلى لحظة التلفظ. ويعبر عن محتوى جهي من لحظية وامتداد وتمام أو عدم تمام. ويذهب فلاش (من خلال جحفة ن م) إلى أن اللغة العرية تفك الارتباط بين الزمن والجهة بواسطة الصيغة"يفعل" حيث أن الحدث ينمو في المستوى الجهي فقط أما الزمن الماضي فيشتق من تأويل الجملة. ومرد كلام فلاش هو أن "يفعل" لا تحمل علامة للزمن بخلاف "فعل"، "فيفعل" يمكن أن تعبر عن أشكال مختلفة من اللاتمام؛ فمن خصائص الماضي استقلاله عن جهة الوضع

وهذا هو جوهر افتراض الفاسي الفهري الذي ينص على أن الماضي هو الزمن الموجب في التقابلات الزمنية كما بينا سابقا.

من المهم هنا توظيف مفهوم "داخلي وخارجي" لمعرفة العلاقة الرتبية بين مقولتي الجهة والزمن: فالجهة منها ما هو داخلي وما هو خارجي، وكذا الزمن منه ما هو زمن داخلي وما هو زمن خارجي، لكن السؤال: هل يعد الزمن داخليا بالنسبة للجهة أم خارجيا؟ وهل الزمن داخلي بالنسبة للحدث أم خارجي وكذا الجهة هل تعد داخلية بالنسبة للحدث أم خارجية. من خلال المفهوم الأولي الذي قدمنا أعلاه يبدو الزمن خارجيا بالنسبة للحدث والجهة، وتبدو الجهة داخلية بالنسبة للحدث والزمن، وسنقدم في الفقرة (٧) خطاطة المؤقت الزمني الجهي التي تعطي من خلالها تصورا أوضح لهذا التعالق[١].

يرى الفاسي الفهري وعدد من الباحثين الذين تبنوا افتراضات الفهري أن الفرق بين الزمن والجهة هو أن الزمن مقولة إشارية إحالية وظيفتها الربط بين زمن الحدث وزمن التلفظ، أما الجهة فهي مقولة غير إشارية وظيفتها تحديد الطرق المختلفة لتقديم التكوين الداخلي للحدث[٢]. وقد

(١) هذه العلاقة تظهر من خلال جهة الوضع أما حينما نتحدث عن جهة البناء فقد يتغير شيئا ما مفهوم داخلي وخارجي إذ يصح أن تشكل الجهة مع الزمن إطارا خارجيا للحدث.

(٢) تصنف الأدبيات التوليدية الجارية الزمن إلى نوعين: زمن إشاري يلعب دور الإشاريات من حيث التعيين وعدم حاجته إلى عائد أو مفسر من قبيل أزمنة الظروف الإشارية (أمس،الآن،غدا) وزمن إحالي يلعب دور الضمائر التي تحتاج إلى عوائد أو مفسرات لاكتمال إحالتها من قبيل العلاقة بين زمن التلفظ وزمن الحدث وزمن الإحالة في عبارة (كان الاجتماع قد عقد في الثالثة) حيث الزمن الإحالي (في الثالثة) يقرأ

قدمنا أعلاه تصور غاليم (٢٠٠١) للجهة كجزء من طبيعة البنية الداخلية للزمن: فالزمن الذي يتضمن [+بنية داخلية] يتضمن الجهة كأحد مكوناته (١) بخلاف الزمن الذي يتضمن [- بنية داخلية] حيث لا تكون الجهة جزءا من البنية الداخلية، وفي هذه الحال يكون الزمن جزءا من الجهة.

بينا فيما سبق أن محتوى الزمن هو جهة وأن الزمن يؤطر الحدث المتضمن للجهة. والزمن يتحدد في ثنائية "ماضي" و"غير ماضي" في عمومه، أما الجهة فهي التنوعات الدلالية لهذه الثنائية من اكتمال للحدث وعدمه أو تمام وعدمه أو تدرج أو عادة أو تكرار أو محدودية...الخ. ويقدم جحفة (٢٠٠٦) تصورا مشابها للفرق بين الزمن والجهة يربط المحتوى الزمني بالسبق والتوافق، ويربط المحتوى الجهي بالبنية الزمنية الداخلية للحدث، كاللحظية والامتداد وغيرها.

٦,٢. علاقة الجهة بالحدث

يستدل ريشنباخ على أن تأويل الحدث على التدرج أو على العادة أو على التكرار إنما هو ناتج عن البنية الداخلية للحدث، كما أن هذه التأويلات ترتبط بالمعلومات الزمنية في شكل عوائد. ويلزم عن هذا أن الجهة تمثل البنية الداخلية للحدث. ولا يعني هذا الطرح أن محتوى الحدث هو جهة فقط بل نعد الجهة جزءا من محتوى الحدث. نفترض بما

قراءتين: قراءة التمام (اكتمال الحدث بمجرد دخول الثالثة) بالنظر إلى زمن التلفظ (كان)، وقراءة اللاتمام (الحدث وقع في فاصل ما بين بداية الثالثة ونهايتها) بالنظر إلى زمن الحدث (قد عقد).

(١) وهذا يؤكد خارجية الزمن بالنسبة للجهة.

يدعم الفرضيات السابقة أن الجهة أو السمات الدالة على الجهة المدمجة في الحدث تقوم بتوزيع الحدث إلى مراحل أو فواصل زمنية على النحـو الذي نجده في البنى الآتية(١٩):

(١٩):

أ- يقرأ زيد الصحيفة (الآن)

ب- يقرأ زيد صحيفة الحياة (عادة)

ج- فهِم زيد المسألة (الاكتمال بدون فواصل)

د- فهّم المعلمُ زيداً المسألة (الاكتمال مع وجود فواصل)

بمقارنة (١٩ب) مع (١٩أ) يتضح أن (١٩ب) تحمل السـمة الجهيـة الدالة على تكرار الحدث التي تعني أن زيدا يقوم بالحدث أكثر من مـرة. في حين أن الحدث في (١٩أ) لا يحمل سمة التكرار أو العادة بحيث يتيح قراء العبارة على الآنية. وبمقارنة (١٩د) مع (١٩ج) نجـد أن (١٩د) قـد اكتمل فيها الحدث ولكن ليس دفعة واحدة بل مر الحدث بفواصل إلى أن اكتمل بخلاف (١٩ج) التي تعني أن الحدث أنجز دفعة واحدة فلا تكـون فواصله منظورة للقارئ.

٦,٢,١.علاقة الجهة والوجه والموجهات بالتأويل الزمني

نفترض مع عدد من الباحثين أن التأويل الزمني لجملـة مـا يجـب أن يتم بالنظر إلى كافة السمات والقـيم الدلاليـة المدمجـة في المحمـول أو

المتصلة به في شكل مورفيمات تحيط بالحدث. فالجهة التي هي عبارة عن قيم دلالية تعمل على تنظيم الأحداث في الأطر الزمنية، يضاف إليها الوجوه التي تلحق بالمحمولات أو الموجهات حيث تلعب جميعا دورا أساسيا في مسألة التأويل الزمني. ويضاف إلى هذه المقولات كل من التطابق والنفي. ويستدل الفاسي(١٩٩٣) على أن الجهة والزمن والوجه والموجهات بالإضافة إلى النفي والمورفيمات الوجهية تشترك كلها في تحديد ووضع الوقتtime. وتمثل الجهة البنية الزمنية الداخلية للحدث في حين يعبر الوجه عن معان من قبيل الاحتمال والافتراض والشرط. ومن الوجوه الأساسية في اللغة العربية على حسب كاسباري أو رايت(ص:٥١-٥٢)والفاسي(١٩٩٠)و (١٩٩٣) وجحفة(٢٠٠٦) المعاني التي تحيل عليها علامات إعراب المضارع في العربية نحو ما نبينه تحت(٢٠):

:(٢٠)

أ- الوجه البياني indicative للحالات التامة وغير التامة: وتعبر عنه علامة إعراب الرفع؛ الضمة أو ثبوت النون.

ب- الوجه الخاص بالمستقبل المطلق subjunctive للحالات غير التامة: وتعبر عنه علامة إعراب النصب؛ الفتحة أو حذف النون.

ج- الوجه الجزائي jussive والوجه الشرطي conditional للحالات غير التامة.

د- الوجه الأمري imperative وله صيغة خاصة: وتعبر عنه علامة الجزم؛ السكون أو حذف حرف العلة أو حذف النون.

هـ- الوجه التوكيدي energetic: وتعبر عنه نونا التوكيد التي تحمل دائما معنى المستقبل.

٦, ٢, ٢. الموجهات الزمنية

ترد الموجهات (بخلاف الوجوه) قبل الفعل وتكون مستقلة عنه في الغالب، كما أنها تتحكم في الوجوه وتأتي على نوعين: النوع الأول: موجهات حرفية تعبر عن الإمكان أو الاحتمال: مثل: قد ورب وربما. وتعد مورفيمات المستقبل: السين وسوف من هذا النوع. والنوع الثاني:موجهات فعلية تعبر عن الوجوب والضرورة مثل: يجب وينبغي ويلزم أن أو تعبر عن الاستطاعة من قبيل: يمكن أن و أستطيع أن. ويمكن أن تقابل الوجوهُ الحرفيةُ في العربية أفعالا في اللغتين الإنجليزية والفرنسية على غرار: must be, have to, may, might, can, could, will ,would الإنجليزية وil faut que الفرنسية. وتفيد هذه الموجهات المعاني الواردة تحت (٢١):

(٢١):

أ- الاحتمال probability

ب- الإمكان possibility

ج- الضرورة necessity

نلاحظ من خلال هذا التمييز بين الجهة والوجه والموجه في علاقتها مع الزمن والحدث أن ما هو داخلي بالنسبة للحدث والزمن هو الجهة أما

الوجه والموجه فيعدان خارجيان بالنسبة للزمن والحدث، والقاسم المشترك بين كل هذه المكونات هو أنها جميعا توجه الزمن وتلعب دورا في معرفة التكوين الزمني للبنى النحوية.

٧- المؤقِّت الزمني الجهي aspectual temporal timing

نقترح في هذا البحث مؤقتا زمنيا يجيب على عدد من الأسئلة المطروحة إلى حد الآن كما يجيب على أسئلة من نوع: كيف نقطِّع الزمن على غرار تقطيع المكان؟ وهل تعد الجهة من مكونات الزمن؟ وكيف ندرك الجهة النحوية؟ وما هي الخطاطة الجهية الكافية التي يمكن بناؤها على غرار الخطاطة الزمنية التي تعكس المسارات الذهنية الأساسية التي تمر عبرها التأويلات الجهية؟[(١)]

إذا أخذنا، على سبيل المثل، المحمول "ضرب" لنوضح من خلاله: ما هي العلاقة ما بين التدرج في الضرب وحدث الضرب فسنجد ثلاثة موضوعات يقتضيها حدث الضرب كما في (٢٢):

(٢٢):

أ-حدث (حدث الضرب)

ب-فضاء زمني يتوزع داخله الحدث (زمن الضرب)

ج-أداة لتقطيع الحدث داخل الزمن (طريقة توزيع الحدث داخل الزمن).

(١) ينظر: الزراعي (٢٠٠٨) في الخطاطة الزمنية للتأويل الزمني وبحث مسألة إدراك الزمن اللغوي.

تقوم فرضيتنا على فكرة وجود مؤقت زمني جهي موضح في الخطاطة رقم (٢٤): يشير عقرب الساعة إلى الزمن الحاضر الذي لا يزال الحدث خلاله قائما، وتشير الأرقام في المؤقِّت من ١ إلى ٥ إلى الزمن الماضي أو إلى الفواصل الزمنية التي قطعها الحدث قبل وقوع العقرب على "السادسة"، وتعبر الأرقام من ٧ إلى ١٢ إلى الزمن المستقبل أو إلى الفواصل الزمنية التي لا يزال الحدث بصدد المرور عبرها. وتعبر الأرقام من ١ إلى ١٢ إلى الزمن في عمومه وهو ما أسميناه بالإطار الزمني المفتوح الذي يتجاهل الفواصل الموجودة بداخله. وتعبر الخطوط الزرقاء التي تجزيء الأرقام ٣ و ٦ و٩ عن الفواصل المتدرجة للحدث وتعبر عن جهة التدرج أو عن إنجاز الحدث بالنظر إلى فواصل متتالية. وسنعمل فيما يلي على قراءة عدد من البنى وفق الطريقة التي يعمل بها المؤقت، فلنتأمل البنى التالي المدرجة تحت (٢٣):

(٢٣):

أ- أكل زيد الكعكة

ب- يأكل زيد الكعكة

ج- سيأكل زيد الكعكة

د- يقرأ زيد صحيفة الحياة الآن/عادة

ز- كان يأكل الكعكة

ح- أعرف الجواب

ط- يعرف الجواب

ي- بنى زيد منزلا

ك- كان يبني منزلا

ل- نام الطفل (وهو الآن مستيقظ)/وهو الآن نائم

م- يستعد زيد للخروج

ن- زيد جالس

س- زيد كاتب الرسالة

ع- زيد غارق

ص-زيد غريق

ق-زيد ماهر

(٢٤):

تصدق العبارة (٢٣أ) على جميع الفواصل قبل (٦). وتصدق (٢٣ب) على الفاصل الذي يشير إليه العقرب (٦). وتصدق (٢٣ج) إما على جميع الفواصل التي تقع بعد (٦) أو على(٩) فقط إذا كانت الفواصل منظورة. أما (٢٣د) فيمكن أن تصدق على (٦) مرة واحدة فقط في قراءة (الآن) التي تعبر عن الاستمرار المتدرج، ويمكن أن تصدق على (٦) أكثر من مرة بحيث يعطي هذا التكرار قراءة العادة. أما (٢٣ز)

فتصدق على (٣) فقط المتضمنة للفواصل التي يمكن أن يتوقف خلالها الحدث. وتصدق العبارتان (٢٣ح وط) على أي فاصل قبل (٦). وتصدق (٢٣ي) علي أي فاصل قبل(٦) باستثناء (٣)، بخلاف (٢٣ك) التي تصدق على الفاصل(٣) فقط. وتصدق العبارة (٢٣ل) على الفاصل(٥) في قراءة التمام، وتصدق على (٥) و(٦) معا في قراءة عدم التمام. وتصدق العبارة (٢٣م) على (٦) فقط. بينما تصدق العبارتان (٢٣ن و ع) على الفواصل (٦) وما بعدها، بخلاف العبارتين (٢٣ص و ق) اللتين تصدقان على جميع الفواصل من (١-١٢) دون التركيز على فاصل بعينه. وتأخذ (٢٣س) القراءة في إطار الفواصل التي تقع بعد الفاصل (٦).

لنتفحص سلامة المؤقت الجهي من خلال المعطيات الإنجليزية (٢٥) والفرنسية (٢٦) الواردة تحت (٢٥) و(٢٦) تباعا:

(٢٥):

أ- أكملت برنامج اللغة الإنجليزية (الماضي البسيط)

I finished my English program

ب- أكملت برنامج اللغة الإنجليزية (الحاضر المكتمل)

I have finished my English program

ج- هي تقرأ الصحف (عادة)

She reads the newspapers

د- هي تقرأ الصحيفة (الاستمرار المتدرج في الحاضر)

She is reading the newspaper

(٢٦):

أ- كتبت الرسالة

J’ai écris le lettre

ب- كنت أكتب الرسالة

J’ai écrivais le lettre

ج- التاسعة، سأكون قد انتهيت من عملي

À neuf heurs, j’aurais finis de mon travail

د- أنا كاتب (عادة/مهنة)

Je suis écrivain

هـ- أنا كاتب (الآن)

Je suis écrivant

و- إنها بيضاء

Elle est blanche

تظهر اللغة الإنجليزية في البنى (٢٥أ و ب) فرقا جهيا نحويا وليس معجميا حيث تعبر عن التمام واللاتمام تباعا. وتتم قراءة العبارتين بدون التباس: فتصدق العبارة (٢٥أ) على أي فاصل قبل السادسة ما عدا الثالثة. وتصدق العبارة (٢٥ب) على أي فاصل قبل السادسة يمتد إلى السادسة. أما الصورة العربية للعبارتين فملتبسة لأن العربية ليس لها مورفيمات نحوية تعبر عن اللاتمام (الماضي الممتد في الحاضر) فتلجأ إلى الخصائص المعجمية والتأويلية للتفريق بين الزمنين(الماضي البسيط والحاضر المكتمل).

وتظهر الإنجليزية أيضا فرقا جهيا نحويا بين العادة في (٢٥ج) والاستمرار المتدرج في الحاضر (٢٥د) ولا يوجد التباس بين القراءتين مع امتلاك الإنجليزية لمورفيم التدرج ing؛ فتصدق العبارة (٢٥ج) على السادسة بصورة متكررة، بينما تصدق (٢٥د) على السادسة مرة واحدة. أما الصورة العربية للعبارتين فهي ملتبسة بين قراءة العادة وقراءة التدرج كما في (٢٥د) أعلاه.

من ناحية ثانية تميز الفرنسية في (٢٦أ و ب) بين الماضي المكتمل والماضي المستمر بواسطة مورفيمات نحوية تماما كالإنجليزية، وتعرف العربية هذا التمييز باستخدام الرابط المكتمل (كان فعل) أو غير المكتمل (كان يفعل)؛ وعلى هذا فالالتباس غير وارد في (كان يفعل)؛ وعلى هذا فالالتباس غير وارد في اللغات الثلاث: فتقرأ (٢٦أ) في المؤقت الزمني في أي فاصل قبل السادسة باستثناء الثالثة، وتقرأ (٢٦ب) في الثالثة فقط. وبالنسبة للعبارة الفرنسية (٢٦ج) فإنها تصدق على أي فاصل زمني من فواصل التاسعة.

فيما يتعلق بالعبارات الفرنسية (٢٦د،ه، و) فإنها لا تختلف عن نظيرتيها الإنجليزية والعربية حيث تصدق (٢٦د) على جميع الفواصل بعد السادسة، بينما تصدق (٢٦هـ) على السادسة، وتصدق (٢٦و) على جميع الفواصل الزمنية في المؤقت الزمني.

٨ . خلاصة عامة

حاولنا فيما تقدم تشخيص جملة من القضايا المتعلقة بموضوع الجهة وما أفرزته من إشكالات وتعالقات مع الزمن والحدث والموجهات والوجوه. ومن المهم أن نؤكد أن دراسة الجهة بصورة معمقة ضرورية لحل مشاكل الالتباس الدلالي في اللغات، كما تظهر أهميتها في دراسة المعجمات وتنظيمها وفق طبقات جهية. ولا يخفى على المتابع لتاريخ ظهور هذا المصطلح الدور الذي لعبه في بلورة كثير من القضايا التي كانت تعزى إلى السياق أو إلى التداوليات بسبب عدم حضور التأويل الجهي للجملة. ولا ننسى في الختام أن ننبه إلى الأخذ بعين الاعتبار أهمة الدراسات الجهية في مواضيع الترجمة والمعجمات والدلالة وغيرها. وفي سبيل تطوير هذه الدراسة نسعى إلى متابعة البحث في اتجاهين: اتجاه نحو الكشف عن الإدراك اللغوي للجهة على غرار ما فعلنا في الإدراك الزمني للغة، واتجاه آخر نحو وضع الجهة كإسقاط وظيفي من خلال نظرية س خط التوليدية ووضعها داخل الأنحاء المختلفة الأخرى: النحو التوليدي والنحو التداولي خصوصا.

المراجع

ο المراجع العربية

- بروستاد، كرستين(٢٠٠٣) قواعد اللهجات العربية الحديثة. ترجمة: محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي. ط١.
- بريسول، أحمد(١٩٩٤)، أفعال الشروع: دراسة مقارنة بين العربية الفصحى والعامية المغربية، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط.
- الباهي، أحمد(٢٠٠٤) تناوب الصيغ في الشرط، وقائع سمات الفعل وطرق بنائها، إشراف عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب- جامعة محمد الخامس، السويسي.
- جحفة، عبد المجيد(٢٠٠٦) دلالة الزمن في اللغة العربية: دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء.
- حسان، تمام(١٩٧٣)، اللغة العربية: معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الزراعي، حسين (٢٠٠٤) إعراب الجر والأنظمة الإعرابية عبر اللغات، دراسة تركيبية ودلالية صرفية، وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء.
- الزراعي، حسين(٢٠٠٧) بناء الكلمة وتحليلها: مقاربات في اللسانيات الحاسوبية، دار الآفاق-صنعاء.

- الزراعي، حسين (٢٠٠٨) إدراك الزمن اللغوي، وقائع الندوة الدولية للسانيات العربية، جامعة ابن طفيل- المغرب.
- غاليم، محمد (٢٠٠١ أ): سمات جهية في الأشياء والأوضاع، مجلة أبحاث لسانية. المجلد السادس، العدد الثاني.
- الفاسي الفهري، عبد القادر(١٩٩٠) البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال للنشر-الدار البيضاء.

المراجع الأجنبية

- Cohen, D. (1989), L'aspect Verbal, PUF, Paris.
- Riechenbach, H.(1947), Elements of Symbolic Logic, University of California, Berkeley.
- Comrie, B.(1976), Aspect, Cambridge university press,
- Comrie, B.(1985), Tense, Cambridge university press.
- Comrie, B.(1991), On the importance of Arabic for General Linguistic Theory, In Comrie, B. and Eid, M.eds, Perspective on Arabic linguistics III, Benjamens publishing company, Amsterdam.

- Fassi Fehri, A.(1991/1993), Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. Kluwer Academic Publishers.
- Higginbotham, J.(1985), On Semantics, Linguistics Inquiry, 16.4.
- Dowty, D. (1986), The Effects of Aspectual Class on the Temporal Structure of Discourse: Semantics or pragmatics, Linguistics And philosophy 9.
- Eisele, J.(1990), Time Reference, Tence and Formal Aspect in Cairen Arabic, In Eid, M.eds, Perspective on Arabic linguistics I, Benjamens publishing company, Amsterdam.
- Siloni, T.: 1994, Noun Phrases and Nominalizations. ph, D, Genev Univ.
- Smith, C.(1991), The Parameter of Aspect, Kluwer Academic publishers, Holland.
- Vendler, Z. (1967), Linguistics in Philosophy, Cornell university press, Ithaca.
- Wrigt, W.(1958/1974), The Grammar of The Arabic Language, Librairie du Liban, Beirut.

ثانيًا: المقالات

رفقا بالأندية الأدبية

أ. د. عبد الله عويقل السّلمي
عضو المجمع

يكثر الحديث وتتعدد الطروحات والمناقشات والتجاذبات حول الأندية الأدبية التي باتت تنتشر في أرجاء بلادنا الغالية، وهي مؤسسات منها العتيق، ومنها العريق الذي واكب حركة النهضة ورسم مع غيره مسارات الوعي الثقافي في المجتمع وأضاء معالم الطريق لمن كان يهوى الأدب والثقافة والفكر بحماسة دفاقة وحيوية أفاقة، كان يقوم عليها رجال يحملون ذهنا لا يكل، ولسانا لا يفتر، وطموحا لا يتقاصر، واعتدادا لا يتطامن، وقلقا لا يسكن، حتى ولو غشاهم مظهر الشيخوخة ورسمت على محياهم روادف السنين تجاعيدها، وللقراء أن يستحضروا العواد وأبو مدين وابن إدريس والحميد وابن خميس والعبيد وغيرهم من الرموز، ومنها الجديد الذي تتراقص في أفيائه عرائس المنى بتقديم خدمة للوطن وتهيئة منبر لصهيل الكلمات.. لكن الأندية الأدبية (جديدها وقديمها) تصفعها اليوم (صباح مساء) نبرات عقوق من نفر تهيأت لهم فرصة البعث والتجديد على فترة من رسل الكلمة، فبدلا من أن يأخذوا بها لتواصل المسير بمعطيات عصرية وإمكانات مادية ودوافع معنوية أضحت تصارع وتدافع عن نفسها ممن تمترسوا خلف جدر النخبوية أو أستار الشللية أوتلفعوا بمئزر التعالي على هذه الكيانات، فباتوا (غيرة أو غارة) يرشقونها من علياء أبراجهم بسهام أقلامهم، يتجاذبون حول (مادة) في لوائحها، وخطأ في مرشحها، وزلة للتنفيذيين في مجالس إداراتها،

الذين همهم وهمتهم محصورة في تهيئة المكان ومقصورة في اختيار الزمان لأولئك المثقفين الذين يحسبونهم من الخلص؛ (لأن الأندية كانت لحنهم العذب زمنا) يتشوفون لهم وهم يتنقلون بين مناشطها ويغشون ملتقياتها كنحل في روض لا يشم غير الزهر، ولا يتذوق غير الرحيق، ولا يتقيأ إلا ضربا ترتشفه الأجيال .. سبحان الله! ففي مثل غفوة الوسنان تتغير الأحوال، ويتحول من حسبهم شبابنا - دهرا - رمزا للثقافة وأوفياء للكيانات الثقافية (يثقفون) أقلامهم مناجل هدم؛ ليجعلوا من مراتع الأندية واحة مصوحة وقفرا موحشا، بله أنهم يطفؤون كل ومضة من نشاط جاد ويغطشون كل ليلة مقمرة بفعالية نافعة.. حنانيكم سادة الكلمة وفرسان الحرف! فأجيالنا وشبابنا تنزف قلوبهم عبرات صامتة وهم يشاهدونكم تعبثون بجسد هذه الأندية النضر لتشوهوه، وتنفثون نحوها ونحو الوزارة التي ترعاها ريح الخماسين السموم لتذوي نظارتها! قولوا بربكم هل ستغتبطون ساعة أن تغلق هذه الأندية؟ هل ستسرون حينما تسمعون حشرجتها بين غصة الموت وشهقة الروح؟ هل تتوقعون أن يكون لمجتمعنا حضور مستقلي في تضاريس الثقافة والمعرفة دون أن تكون لدينا كيانات نبنيها بسد الخلة وإتمام النقص وشحذ الهمم وتقوية العزائم؟ كيف نصوغ عقول أجيالنا الذين أضحى اسم (فيليب وألبير ولورا وهيلين) أشرف وأرق وأعذب من (زهير وحسان وسعاد وفاطمة)؟ (١)

(١) هذه حلقة من سلسلة مقالات كتبها الأستاذ الدكتور عبد الله السّلمي، وبقيّة الحلقات منشورة بـ (منتدى المجمع).

التحليل النحوي الحاسوبي

د. عبد الله الأنصاري
عضو المجمع

تأتي أهمية التحليل النحوي الحاسوبي للغة العربية في كونه يفتح بابا واسعًا من أبواب تطوير اللغة العربية، وتوسيع دائرة الدراسات اللسانية الحديثة، وفي الوقت نفسه يُعد خطوة مقبولة في منافسة الأعمال اللغوية التي تواكب التقنية الحديثة، وتُعد جزءا منها، وهو أيضا دليل واضح في أن اللغة لعربية لديها القدرة الأدبية في إثبات جدارتها أنْ ينظر إليها في قمة اللغات العالمية بالغة الأهمية.

ويضاف إلى هذه الأهمية العامة أمور أخص من ذلك، نجدها محققة في التحليل النحوي الحاسوبي، ذلك أن الحاسوب نفسه يُعد من أحدث التقنيات العصرية في مجال التربية والتعليم والتأليف، لما له من خصائص حيوية يوجب الواقعُ الاعترافَ بها، فهو يوفر الوقت للمتعلم والباحث، ويثير الانتباه، ويجذب رغبة الباحث والدارس، ويطرد الملل لديه، لأنه يعتمد فيه على ذاته وفكره وعمل يده، والتحليل النحوي تتحقق فيه جميع هذه الأغراض وإن كانت لا تخصه بعينه، ذلك أن الدراسة النحوية بعامة هي محور الدراسات اللغوية، والتحليل النحوي هو الإطار العام والقالب المستوعِب لجميع الأعمال اللغوية.

وقد استعمل الحاسب الآلي في النشاطات البشرية قاطبة اليوم، وخطى بها خطوات سريعة مذهلة وملفتة للأنظار، وآن الأوان لتنال

الدراسات النحوية في اللغة العربية حظها من هذه التقنية، بل أصبح ذلك رسالة ملقاة إلى كل باحث عربي في اللغة والحاسوب ليبلغها، ولن يكون ذلك ممكنا دون تفكير جاد مخلص في برمجة النحو العربي برمجة آلية متقنة.

ولقد قُدمتْ في هذا المجال بحوث وأعمال متعددة، كان لها الفضل والسبْق إلى التنبيه إليه وإثارته، وبَعْثِ الفكر العربي للنهوض به، وجاءت بمقدمات يُستعان بها في استنفار جهود المتخصصين ومواهبهم في تطويره.

والتحليل النحوي ينبني على عوامل تعدُّ أساسا له، ويلزم اعتبارها قبل أي عمل في هذا الاتجاه، وفيما يلي إيجاز لتلك العوامل:

١. تحديد أنواع الأساليب والتراكيب النحوية المراد تحليلها، وهي بمثابة المادة اللغوية المستهدفة للتحليل، ويجب أن تكون هذه المادة وفق ما هو مشهور ومشاع في أمَّات مصادر العربية فحسب، لأن الحصر متعذر، ومن الأمثلة عليها: تركيب الشرط - تركيب النداء - تركيب التمييز - تركيب الحال - تركيب العطف .... إلخ.

٢. اختيار طريقة التقعيد النحوي المقصود للمحلل الحاسوبي، فيحدِّد لكل تركيب مما سبق سياقًا حساسًا يصفه للحاسوب بطريقة متقنة ومحكمة، ويحتاج ذلك إلى حصر السياقات التي يحتمل ورود نوع التركيب عليها، لأجل الدقة والتقليل من احتمالات اللبس والإشكال.

٣. تحديد نوع أنظمة البرمجة المستخدمة في التحليل، وتحديد طرق الربط بينها وكيفية التحكم فيها، فالبرمجة مهما كانت ينبغي أن تكون مستوعبة للإشكالات التي قد ترد في التركيب .

وأول عمل يجب أن يقوم به المحلل النحوي هو التحليل الصرفي لجميع كلمات الجمل التي يريد تحليلها نحويا، وهو يشمل تحديد جذور الكلمات، وأوزانها وصيغها، والسوابق واللواحق. وتخَصُّ كل وحدة صرفية برمز، ثم توضع في معادلات رياضية يقبلها الحاسب، والوحدات الصرفية شاملة للكلمات الأصول(الجذور) والزوائد، والوحدات الصفرية، كالضمير المستتر والتأنيث المعنوي، والتثنية المعنوية، والتعريف المعنوي وهو العَلم، كما تشمل علامات الترقيم، والوحدات العددية، وهي الأعداد .

وهذا هو أقل مستويات التحليل الصرفي وهو نقطة البداية التي لا بد منها.

فإن أُريد الانتقال إلى المرحلة الثانية من التحليل الصرفي فهي مرحلة الضبط الصرفي (التشكيل) لجميع الكلمات، بالأوجه المحتملة لكل كلمة، نحو: ذَهَبَ، ذَهَبُ، ذهَبٌ، ذهبٍ، ذهَّبَ، ذُهِبَ ... وهكذا حتى يأتي على الجذور العربية المستعملة جميعها حسب كتاب (العين) للخليل، أو غيره. ويصنع لكل مادة لغوية منها ملفا خاصا يخزنها فيه بطريقة يسهل بها استدعاؤها متى احتاج إليها.

والمرحلة الثالثة: مرحلة بناء الحقول الصرفية للمواد اللغوية، فيجعل لكل وزن حقلا خاصا، ولكل نوع من أنواع صنوف الاسم في اللغة العربية حقلا خاصا ـ وقد سبق تصنيفها في عمل لنا قبل هذا ـ ولا ريب أن الإحصاء الكامل متعذر، ولكن يمكن جمع قاعدة بيانات تضم عددًا كثيرا يعتمد عليه في غالب الأعمال، غير أنه من الممكن كتابة ضابط عام

لأكثر الأسماء في اللغة العربية، لا سيما المشتقات، وما يأتي على الأوزان العربية المشهورة، ونحوذلك. ثم يخزن كل نوع في ملف خاص لاستدعائه عند الحاجة، نحو: اسم الفاعل ـ اسم المفعول ـ صيغ المبالغة ـ المنقوص ـ الممدود ـ المقصور...إلخ.

المرحلة الرابعة: بناء الحقول الدلالية للكلمات، اعتماداً على المعنى المعجمي الأوّلي، أو البسيط، ومن المستحسن في هذا: الاعتماد على معجم مختصر ومستوعب كـ"مقاييس اللغة" لابن فارس.

والغرض من هذه المرحلة تطبيق سمات التوافق الدلالي في التحليل النحوي، فإنه غير ممكن بدون هذه المرحلة، فنحو (القلم ضَحِكَتْ) كلام غير مستقيم معنى وإن كان مستقيما تركيبيا، لأن هذا الفعل لا يصح إسناده لغير عاقل في بناء الكلام المفيد، والمذكر لا يصح أن يعود إليه الضمير مؤنثا، والاعتماد على الحقول الدلالية يقي من هذه المعضلة، وهذه المرحلة هي نهاية مطاف التحليل الصرفي الكامل الذي ينبغي أن يسبق التحليل النحوي المستوفي لشروط اللغة. وهذا يعنى أنه يشترط للتحليل النحوي الناجح تقديم توصيف نحوي كامل ومستوعب للمفردات والتراكيب اللغوية، مع محاذرة احتمالات وقوع اللبس .

والحق أن الأعمال الحاسوبية في هذا المجال لا تزال متعثرة على العموم، بسبب التخوف من هذا العمل الضخم، الذي يحتاج إلى فِرَق بحثية علمية مخلصة، وإلى زمن غير قليل، ودعم كافٍ، لإنجاحه وإنجازه. والله الهادي.

وداعا شيخ المحققين (١)

د . خالد الجريان
عضو المجمع

فجعت العربية وتراثها العريق بوفاة علم من أعلام التحقيق اللغوي والأدبي وعلم القراءات، هو الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن - رحمه الله - الذي وافته المنية صبيحة يوم الخميس ١٤٣٤/٤/٤هـ الموافق ٢٠١٣/٢/١٤م.

ويعد الدكتور حاتم - رحمه الله- من أبرز جيل الرواد في فن تحقيق المخطوطات ..

الدكتور حاتم الضامن رحمه الله في سطور:

- ولد ببغداد سنة ١٩٣٨م.
- أنهى الدراسة الابتدائية في مدرسة الأعظمية الأولى سنة ١٩٥٢م.
- أنهى الدراسة المتوسطة في متوسطة الأعظمية سنة ١٩٥٥م.
- أنهى الدراسة الإعدادية في ثانوية الأعظمية سنة ١٩٥٧م.
- حصل على البكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٦١م.
- عمل مدرسًا في وزارة التربية والتعليم تسع عشرة سنة.

- حصل على الماجستير في النحو من كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٧٣م.

- حصل على الدكتوراه في اللغة من كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٧٧م.

- انتقل إلى كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٨٠م مدرسًا للمكتبة والنحو وفقه اللغة.

- رقي إلى أستاذ مساعد في ١٩٨٣/٢/٢م.

- أصبح رئيسًا لقسم اللغة العربية في ١٩٨٤/١/١٨م.

- أصبح معاونًا لعميد الدراسات العليا في ١٩٨٦/٣/٣م.

- عين رئيسًا لقسم اللغة العربية ثانية في ١٩٨٨/٢/١٤م.

- رقي إلى أستاذ في ١٩٨٩/٣/١٢م.

- ترك رئاسة القسم بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٥م.

- عمل أستاذًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب.

- أشرف على أكثر من مائة رسالة ماجستير ودكتوراه.

- ناقش أكثر من عشرين ومائتي رسالة ماجستير ودكتوراه.

- له مؤلفات كثيرة أربت على المائة والخمسين كتابًا.

- له بحوث كثيرة منشورة في المجلات والدوريات العربية والعراقية أربت على المائة بحثٍ.

- ألقى عددًا من المحاضرات في اللغة العربية.

- شارك في كثير من الندوات المتخصصة في تحقيق المخطوطات.

- عمل خبيراً بالمجمع العلمي العراقي منذ سنة ١٩٨٣م.

- عضو الهيأة الاستشارية لمجلة المورد التراثية من سنة ١٩٨٣م حتى سنة ١٩٩١م.

- عضو لجنة توحيد مناهج اللغة العربية للدراسات العليا في جامعات العراق.

- عضو لجنة تأليف كتب قواعد اللغة العربية للمرحلتين المتوسطة والإعدادية ببغداد.

- أمين سر هيأة تحرير مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد.

- شارك في ندوات كثيرة داخل القطر وخارجه.

- عضو لجنة إحياء وتحقيق التراث العربي الإسلامي في بيت الحكمة ببغداد.

- عضو الهيأة الاستشارية لمجلة كلية المعارف الجامعة في محافظة الأنبار.

- أستاذ الدراسات العليا بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

- عضو هيأة تحرير مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي.

- خبير المخطوطات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

- عضو هيأة تحرير مجلة آفاق الثقافة والتراث بدبي.

- عضو الهيأة الاستشارية لمجلة الشريعة والقانون (كليـة الشـريعة والقانون) بجامعة الإمارات العربية المتحدة.

- عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته ..

وداعا شيخ المحققين (٢)

د . خالد الجريان
عضو المجمع

مؤلفات الدكتور حاتم الضامن رحمه الله:

أفنى الدكتور حاتم حياته بين المخطوطات اطلاعًا ومعرفة ودراية وتحقيقًا حتى أربت مؤلفاته على المائة والسبعين كتابًا، وكان الدكتور حاتم -رحمه الله- يحفظ أماكن المخطوطات ونسخها ومحققيها وناشريها عن ظهر قلب وهذه ميزة انفرد بها عن غيره قلما تجدها عند معاصريه، وقد توفي - رحمه الله - وهو ينسخ عددًا من المخطوطات لتحقيقها، وقد تتبعت أنا وبعض من تلاميذه مؤلفاته فجاءت على النحو التالي:

م	الكتاب	بلد النشر وتاريخه
١	شعر يزيد بن الطثرية	بغداد ١٩٧٣م
٢	شعر الخليل بن أحمد	بغداد ١٩٧٣م
٣	شعر المخبل السعدي	بغداد ١٩٧٣
٤	ما لم ينشر من الأمالي الشجرية	بغداد ١٩٧٤م بيروت ١٩٨٣م
٥	رسالة الريح لابن خالويه	بغداد ١٩٧٤م بغداد ١٩٨٧م

٦	شعر الكميت بن معروف	بغداد ١٩٧٥م
٧	شعر بكر بن النطاح	بغداد ١٩٧٥م
٨	مشكل إعراب القرأن لمكي بن أبي طالب(١-٢)	بغداد ١٩٧٥م بيروت ١٩٨٤م دمشق ٢٠٠٣م
٩	شعر نهشل بن حري	بغداد ١٩٧٥م
١٠	شعر مزاحم العقيلي (بالمشاركة)	القاهرة ١٩٧٦م
١١	ديوان معن بن أوس (بالمشاركة)	بغداد ١٩٧٧م
١٢	المصفى بأكف أهل الرسوخ لابن الجوزي	بغداد ١٩٧٧م بيروت ١٩٨٤م
١٣	عشر رسائل للجاحظ	بغداد ١٩٧٨م
١٤	فرائد الفوائد للأنباري	بغداد ١٩٧٨م
١٥	رسالة البلاغة والإيجاز للجاحظ	بغداد ١٩٧٨م
١٦	شعر سويد بن كراع	بغداد ١٩٧٩م
١٧	شعر قيس بن الحدادية	بغداد ١٩٧٩م
١٨	قصائد نادرة من منتهى الطلب	بغداد ١٩٧٩م بيروت ١٩٨٣م
١٩	نظرية النظم – تاريخ وتطور	بغداد ١٩٧٩م

٢٠	ما لم ينشر من تراث الجاحظ	بغداد ١٩٧٩م بيروت ١٩٧٩م
٢١	الزاهر لابن الأنباري (١-٢)	بيروت ١٩٩٢م دمشق ٢٠٠٤م
٢٢	الاعتماد في نظائر الظاء والضاد لابن مالك	بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٤م
٢٣	المسائل السفرية في النحو لابن هشام	بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٣م
٢٤	الناسخ والمنسوخ لقتادة	بغداد ١٩٨٠م بيروت ١٩٨٤م
٢٥	منثور الفوائد للأنباري	بغداد ١٩٨١م بيروت ١٩٨٣م بيروت ١٩٩٠م
٢٦	المدخل إلى تقويم اللسان للخمي	بغداد ١٩٨١م بيروت ٢٠٠٣م
٢٧	شاعران من فرسان القادسية (بالمشاركة)	بغداد ١٩٨١م
٢٨	خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام	بغداد ١٩٨١م بيروت ١٩٨٣م

٢٩	ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي	بغداد ١٩٨٢م بيروت ١٩٨٣م
٣٠	معرفة الضاد والظاء للصقلي	بغداد ١٩٨٢م بيروت ١٩٨٥م
٣١	كفاية الطالب لابن الأثير (بالمشاركة)	الموصل ١٩٨٢م
٣٢	الحلبة في أسماء الخيل للصاحبي التاجي	بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م
٣٣	الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب لابن عدلان	بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م
٣٤	السلاح لأبي عبيد	بغداد ١٩٨٣م بيروت ١٩٨٥م
٣٥	الفرق لثابت بن أبي ثابت	بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م
٣٦	الأزمنة لقطرب	بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م
٣٧	سهم الألحاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي	بغداد ١٩٨٤م بيروت ١٩٨٥م
٣٨	إصلاح غلط المحدثين للخطابي	بغداد ١٩٨٤م

		بيروت ١٩٨٥م
		بغداد ١٩٨٤م
٣٩	التذكرة الفخرية للأربلي	بيروت ١٩٨٧م
		دمشق ٢٠٠٤م
٤٠	ما لم ينشر من الحلبة	بغداد ١٩٨٥م
٤١	أسماء خيل العرب وفرسانها لابن الأعرابي	بغداد ١٩٨٥م دمشق ٢٠٠٣م
٤٢	النخلة لأبي حاتم السجستاني	بغداد ١٩٨٥م الموصل ١٩٩١م
٤٣	غلط الضعفاء من الفقهاء لابن بري	بغداد ١٩٨٥م بيروت ١٩٨٩م
٤٤	بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات للمهدوي	الكويت ١٩٨٥م
٤٥	نسب الخيل لابن الكلبي	بغداد ١٩٨٥م دمشق ٢٠٠٣م
٤٦	الفرق لأبي حاتم السجستاني	بغداد ١٩٨٦م
٤٧	شعر القحيف العقيلي	بغداد ١٩٨٦م
٤٨	شعر الفند الزماني	بغداد ١٩٨٦م

٤٩	ملاحظات على حاشية بن بري على المعرب	بغداد ١٩٨٦م
٥٠	قواعد اللغة العربية (الأول المتوسط بالمشتركة	بغداد ١٩٨٧م
٥١	قواعد اللغة العربية (الثاني المتوسط بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٢	قواعد اللغة العربية (الثالث المتوسط بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٣	قواعد اللغة العربية (الرابع العام) بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٤	قواعد اللغة العربية (الخامس العلمي) بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٥	قواعد اللغة العربية (الخامس الأدبي) بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٦	قواعد اللغة العربية (السادس العلمي) بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٧	قواعد اللغة العربية (السادس الأدبي) بالمشاركة	بغداد ١٩٨٧م
٥٨	الناسخ والمنسوخ للزهري	بغداد ١٩٨٧م بيروت ١٩٨٨م
٥٩	دقائق التصريف للمؤدب	بغداد ١٩٨٧م دمشق ٢٠٠٤م

٦٠	ديوان عدي بن الرقاع العاملي (بالمشاركة)	بغداد ١٩٨٧م
٦١	شرح مقصورة ابن دريد للجواليقي (بالمشاركة)	بغداد ١٩٨٧م
٦٢	أربعة كتب في التصحيح اللغوي للخطابي، وابن بري، وابن الحنبلي، وابن بالي	بيروت ١٩٨٧م
٦٣	كتابان في الفرق للسجستاني ولثابت	بيروت ١٩٨٧م
٦٤	شعراء مقلون	بيروت ١٩٨٧م
٦٥	كتابان في الخيل (بالمشاركة)	بيروت ١٩٨٧م
٦٦	كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار للسمرقندي	بغداد ١٩٨٧م الموصل ١٩٩١م
٦٧	ما لم ينشر من كتاب العشرات للقزاز بغداد ١٩٨٨م	
٦٨	الوجوه والنظائر في القرآن الكريم لهارون بن موسى	بغداد ١٩٨٨م عمّان ٢٠٠٢م
٦٩	البحث والمكتبة (بالمشاركة)	الموصل ١٩٨٨م
٧٠	رسالة الخط والقلم المنسوبة لابن قتيبة	بغداد ١٩٨٨م بيروت ١٩٨٩م
٧١	مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب	بغداد ١٩٨٨م دمشق ٢٠٠٣م

٧٢	المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاقسي	بغداد ١٩٨٨م
٧٣	ظاءات القرآن للسرقوسي	بغداد ١٩٨٩م
٧٤	علم اللغة	الموصل ١٩٨٩م
٧٥	حصر حرف الظاء للخولاني	بغداد ١٩٨٩م الموصل ١٩٩١م
٧٦	أربعة كتب في الناسخ والمنسوخ	بيروت ١٩٨٩م
٧٧	الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح لابن الطراوة	بغداد ١٩٩٠م بيروت ١٩٩٦م
٧٨	مسائل منثورة في التفسير والعربية والمعاني لابن بري	بغداد ١٩٩٠م
٧٩	كحل العيون النحل في حل مسألة الكحل لابن الحنبلي	بيروت ١٩٩٠م بغداد ١٩٩٤م
٨٠	فقه اللغة	الموصل ١٩٩٠م الشارقة ٢٠٠٧م
٨١	عشرة شعراء مقلون	الموصل ١٩٩٠م
٨٢	بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص	الموصل ١٩٩٠م
٨٣	نصوص محققة في علوم القرآن	الموصل ١٩٩٠م
٨٤	الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة	بيروت ١٩٩٠م

	لابن عابدين	
٨٥	نصوص محققة في اللغة والنحو	الموصل ١٩٩١م
٨٦	الصرف	الموصل ١٩٩١م
٨٧	المستدرك على ديوان أبي الفتح البستي	دمشق ١٩٩١م
٨٨	المستدرك على شعر أبي هلال العسكري	دمشق ١٩٩٢م
٨٩	القادري في التعبير لنصر بن يعقوب الدينوري	بغداد ١٩٩٢م
٩٠	ما لم ينشر من سهم الألحاظ لابن الحنبلي	عمّان ١٩٩٣م
٩١	شرح أبيات الداني الأربعة في أصول ظاءات القرآن لمجهول	دمشق ١٩٩٤م
٩٢	مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ للسماتي القسم الأول	عمّان ١٩٩٥م، عمّان ٢٠٠٢م
٩٣	كيفية أداء الضاد لساجقلي زاده	دمشق ١٩٩٥م
٩٤	شروط الحال وأحكامها لابن بري	دمشق ١٩٩٦م
٩٥	المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني	دمشق ١٩٩٧م
٩٦	أربعة كتب في علوم القرآن	بيروت ١٩٩٧م
٩٧	جر الذيل في علم الخيل للسيوطي	بغداد ١٩٩٨م
٩٨	المستدرك على الشعراء	بيروت ١٩٩٨م
٩٩	الإنباء في تجويد القرآن لابن الطحان	دبي ١٩٩٩م

		الشارقة ٢٠٠٧م
١٠٠	مرشد القارئ لابن الطحان (بقسميه)	عمّان ١٩٩٩م، عمّان ٢٠٠٢م، الشارقة ٢٠٠٧م
١٠١	رسالة في لو الامتناع لابن بري	عمّان ١٩٩٩م
١٠٢	أفراد كلمات القرآن العزيز لابن فارس	الرياض ١٩٩٩م
١٠٣	المصطلحات والرموز للقرّاء	بغداد ١٩٩٩م
١٠٤	أحكام كل وما عليه تدل للسبكي	عمّان ٢٠٠٠م
١٠٥	تسمية الشيء باسم الشيء لابن بري	دبي ٢٠٠٠م
١٠٦	التهذيب بمحكم الترتيب لابن شهيد	بيروت ٢٠٠١م
١٠٧	فصول غير منشورة لابن بري	دبي ٢٠٠١م
١٠٨	المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات	دبي ٢٠٠١م
١٠٩	ثلاثة كتب لأبي البركات الأنباري	دمشق ٢٠٠٢م
١١٠	خمسة نصوص محققة لابن بري	دمشق ٢٠٠٣م
١١١	ذكر أعضاء الإنسان للغزي	دمشق ٢٠٠٣م
١١٢	المصباح في الفرق بين الضاد والظاء للحراني	دمشق ٢٠٠٣م
١١٣	الفرق بين الضاد والظاء للموصلي	دمشق ٢٠٠٣م
١١٤	الإبل للأصمعي	دمشق ٢٠٠٣م

١١٥	كتابان في النحو للنحاس ولابن الحنبلي	دمشق ٢٠٠٤م
١١٦	ابن الأنباري سيرته ومؤلفاته	دمشق ٢٠٠٤م
١١٧	الضاد والظاء لابن سهيل النحوي	دمشق ٢٠٠٤م
١١٨	الفرق بين الضاد والظاء للزنجاني	دمشق ٢٠٠٤م
١١٩	الظاء لابن أبي الحجاج المقدسي	دمشق ٢٠٠٤م
١٢٠	قطر السيل في أمر الخيل للبلقيني	دمشق ٢٠٠٥م
١٢١	الاكتفاء في القراءات السبع المشهورات لإسماعيل ابن خلف	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٢	التهذيب لما تفرد به كل قارئ من القراء السبعة لأبي عمرو الداني	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٣	قراءة الكسائي للرماني	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٤	معرفة الفرق بين الظاء والضاد لابن الصابوني	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٥	الخيل للأصمعي	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٦	فوائد النيل بفضائل الخيل للطبري المكي	دمشق ٢٠٠٥م
١٢٧	الوجوه والنظائر في القرآن العظيم لمقاتل بن سليمان	دمشق ٢٠٠٦م
١٢٨	المفتاح في اختلاف القرَأة السبعة المسمين بالمشهورين لعبدالوهاب القرطبي	دمشق ٢٠٠٦م

١٢٩	الفرق بين الضاد والظاء لأبي عمرو الداني	دمشق ٢٠٠٦م
١٣٠	تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي	دمشق ٢٠٠٦م
١٣١	التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني	الشارقة ٢٠٠٧م
١٣٢	المكتبة	الشارقة ٢٠٠٧م
١٣٣	مفردة نافع / أبو عمرو الداني	دمشق ٢٠٠٧م
١٣٤	مفردة ابن كثير / أبو عمرو الداني	دمشق ٢٠٠٧م
١٣٥	مفردة أبي عمرو بن العلاء/ أبو عمرو الداني	دمشق ٢٠٠٧م
١٣٦	مرسوم الخط لابن الأنباري	دمشق ٢٠٠٧م
١٣٧	هجاء مصاحف الأمصار للمهدوي	دمشق ٢٠٠٧م
١٣٨	المجيد في إعراب القرآن المجيد للسفاقسي	الدمام ٢٠٠٩م
١٣٩	مفردة يعقوب الحضرمي/ أبو عمرو الداني	الدمام ٢٠٠٩م
١٤٠	الموجز في شرح أداء القراء السبعة للأهوازي	الدمام ٢٠٠٩م
١٤١	مفردة ابن عامر / أبو عمرو بن العلاء	الدمام ٢٠١١م
١٤٢	مفردة عاصم / أبو عمرو بن العلاء	الدمام ٢٠١١م
١٤٣	مفردة حمزة / أبو عمرو بن العلاء	الدمام ٢٠١١م
١٤٤	مفردة الكسائي / أبو عمرو بن العلاء	الدمام ٢٠١١م

١٤٥	كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار للشافعي	الدمام ٢٠١١م
١٤٦	الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ لمحمد بن بركات السعيدي	دبي ٢٠١١م
١٤٧	المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني	بيروت ٢٠١١م
١٤٨	كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه لعلي بن شهاب الدين الهمذاني	دبي ٢٠١١م
١٤٩	ديوان الخليل بن أحمد الفراهيدي	بيروت ٢٠١٢م
١٥٠	ديوان بكر بن النطاح	بيروت ٢٠١٢م
١٥١	ديوان نهشل بن حري	بيروت ٢٠١٢م
١٥٢	ديوان يزيد بن الطثرية	بيروت ٢٠١٢م
١٥٣	ديوان معن بن أوس	بيروت ٢٠١٢م
١٥٤	ديوان الكميت بن معروف	بيروت ٢٠١٢م
١٥٥	ديوان مزاحم العقيلي	بيروت ٢٠١٢م
١٥٦	ديوان الفند الزماني	بيروت ٢٠١٢م
١٥٧	ديوان القحيف العقيلي	٢٠١٢م
١٥٨	ديوان عدي بن الرقاع العاملي	بيروت ٢٠١٢م
١٥٩	توجيه القرآن لأبي العباس المقرئ أحمد بن علي	القاهرة ٢٠١٣م

١٦٠	تصحيح الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري	دبي ٢٠١٣م
١٦١	كتاب في البيان لعبدالرحمن الجامي (ملا جامي)	بيروت ٢٠١٣م
١٦٢	محنة العلم (سيرة ذاتية)	سيظهر قريبًا بإذن الله

بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والبحوث والدراسات والتحقيقات التي نشرها في كثير من الدوريات والمجلات العربية وغير العربية، فرحم الله أستاذنا الجليل رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، كما نسأله سبحانه أن يغفر له ويتجاوز عنه على ما خدم به القرآن الكريم وتراث أمتنا العربية والإسلامية، وعلى ما قدِّمه لأبنائها البررة.

وداعا شيخ المحققين (٣)

د. خالد الجريان
عضو المجمع

عرفت الأستاذ الدكتور حاتم الضامن رحمه الله عام ١٤١٦هـ وذلك عندما اقتنيت كتاب (منثور الفوائد) لأبي البركات الأنباري الذي حققه الدكتور حاتم فألفيته كتابًا رائعًا وفريدًا في بابه، يومها لم أكن أعرف الدكتور حاتم ولم أكن أفقه فن تحقيق المخطوطات العربية التراثية، إلا أنني عشقت الكتاب ورحت أقلبه، وأقتني غيره.

وبعد اتصالي بالشيخ الأديب أحمد المبارك رحمه الله تعلقت نفسي بالكتب، وكانت مكتبته العامرة تزخر بأمات الكتب الشرعية والعربية والفكرية والفلسفية والعلمية والثقافية، وكنت كلما زرته في بيته دخلت المكتبة ورحت أفتش عن الكتب التي حققها أستاذنا الدكتور حاتم - رحمه الله - حتى جمعت عددًا كبيرًا منها، ورحت أقلبها وأقرأ فيها، وكان اسم الدكتور حاتم - رحمه الله -

لا يسقط من ذاكرتي

وفي عام ١٤٢٠هـ التحقت ببرنامج الماجستير بجامعة الملك فيصل تخصص لغويات، وشاء الله أن أدرس مادة (مناهج تحقيق النصوص) أي تحقيق المخطوطات، فتذكرت منهج أستاذنا الدكتور حاتم في تحقيقه لكتب التراث.

كانت نفسي تتطلع إلى أن تكون رسالتي للماجستير تحقيق مخطوط لأحد علماء الأحساء النحويين، ووفقني الله للحصول على نسخة من

مخطوط (صرف العناية في كشف الكفاية) للإمام العلامة البيتوشي، وكنت أبحث عن نسخ أخرى لهذا المخطوط، فدلني أحد زملائي على مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي حيث المخطوطات والنوادر والثقافة وكتب التراث، فاتصلت بالمركز وحولني السكرتير على خبير المخطوطات بالمركز فإذا هو والدنا الأستاذ الدكتور حاتم -رحمه الله-.

من ذلك الاتصال بدأت علاقتي بالدكتور حاتم الذي تحدثت معه طويلاً فألفيته عالمًا جليلاً بالمخطوطات ونسخها وأماكن وجودها، والمطبوع المحقق منها، والناشر لها واسم المحقق أيضًا، ولمّا سألته عن المخطوط الذي أزمع تحقيقه أخبرني أن المركز لديه نسخة من مخطوط (صرف العناية)، وبعد أسبوعين من مهاتفة أستاذنا شاء الله أن تكون زوجتي - وهي إحدى قريباتي - من المقيمين السعوديين في دولة الإمارات.

فكنت فرحًا جدًا بأني سألتقي الدكتور حاتم عندما أزور أرحامي، وفعلاً كانت أول زيارة للإمارات بعد عقدي على زوجتي زيارتي للمركز ولقائي بالدكتور حاتم، وكنت أزوره في مكتبه وأمكث طويلاً لديه فكنت أستمتع بردوده على زواره أو المتصلين به فعرفت أنّه علامة عصره في علم المخطوطات.

كان - رحمه الله - عذب الحديث مؤنسًا في حواره، يغدق عليك بمعلومات عن المخطوطات وعلمها وعلمائها وفنونها ومحقيقها، وكان يتألم على ما آلت إليه المخطوطات العربية والإسلامية، وكيف عبثت بها أيدي المتسلقين على التراث، كما كان يتألم كثيرًا على ما آلت إليه مخطوطات بلاد الرافدين بلاد العراق أرض آبائه وأجداده أرض العلم

والعلماء أرض التراث والحضارة، وما فعله الأعداد للهيمنة على مقدراتها العلمية والطبيعية، كذلك كان يتألم على المخطوطات الإسلامية وماذا فعل بها المستشرقون الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، فتصدى - رحمه الله - لبعض تلك المخطوطات وحاول إعادة تحقيقها من جديد، وبيِّن الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها أولئك المحققون الغربيون.

كان ألمه واضحًا في حديثه فقد كانت العبرة تخنقه، والدمعة تتأرجح بين أشفار عينيه، من ألم الغربة، وما حل ببلده العراق، وكنت أحاول تضميد جراحه فأقول له: أنا ابنك وأنا رهن إشارتك، فكان يرد بألم: (بارك الله فيك يا ابني خالد ونفع بك لكن من يعوضني في أرضي وبلادي)، وكان يذيل مقدمات تحقيقاته بعبارات الألم والحزن فيقول في أحدها: (وقد قمت بتحقيق الكتاب وأنا في غربتي بعيدًا عن الوطن الذي شَرّدَ أبناءَه، وقَتَلَ علماءَه، وهَجّرَ أطباءَه، ولم يكتفِ بذلك، بل احتضن أعداءَه، وولاّهم أرضَهُ وسماءَه) أقول: الدكتور حاتم هنا لا يعني وطنه العراق بل يعني الذين احتلوا أرضه هم الذين فعلوا به ما فعلوا، ثم يدعو لبلده فيقول: (اللهم احفظ العراق وأهله، وانصره على السِّفلةِ الأوغاد، الذين استباحوا البلاد، وسبوا العباد، إنّك لا تخلف الميعاد).

استمرت العلاقة وتوطدت أواصرها حتى دعوته إلى منزل عمي في أكثر من مناسبة، وكان يقول لي: (يا ابني لا أحب أن أستجيب لأحد حتى لا أثقل عليهم، فلم أستجب لأحد من قبلك لكني أحببتك فاستجبت لك) كانت تلك وسامًا أتقلده ووشاحًا أتشح به.

كنت أذهب منذ الصباح الباكر لمركز جمعة الماجد لألتقيه وأستمتع بحديثه، فكان يحدثني عن كتبه وكتب التراث، وقد أهداني من كتبه

أكثرها، وكان يرشدني إلى أهم الكتب النحوية واللغوية والصرفية وأفضل الطبعات وأجود المحققين لها.

لم أزره يومًا إلا وأخرج بمعلومات وقصص ونوادر وطرائف وحكايات ومواقف التي لم تخطر على بال، وكنت أستمتع بها أيّما استمتاع، بل كنت أدون العديد منها في مذكراتي، وكان -رحمه الله- يحكي لي عن طفولته مع والديه وأخوته وأخواته وأصدقائه، تحدث لي عن شبابه ودراسته وحرصه على العلم والمعرفة وعن عشقه لكتب التراث وعن لقاءاته بأهل العلم والمعرفة وخاصة أهل التراث وأهل التحقيق، حكى لي عن كيف تعرف على المخطوطات، وكيف استطاع وهو في السنة الثالثة من الماجستير أن يقارن بين النسخ حتى تفوق على أساتذته، وقد اتصل أستاذنا - رحمه الله تعالى - بأبرز أعلام التحقيق منهم: الأستاذ عبدالسلام هارون، والشيخ عبدالخالق عضيمه، والشيخ محمود شاكر، وصديقه الحميم القريب إلى قلبه الشيخ حمد الجاسر علامة الجزيرة الذي أثنى ثناء عاطرًا على تحقيقات أستاذنا الدكتور حاتم وكان يدعوه للكتابة في مجلته (مجلة العرب)، فاستجاب لدعوته فأثرى بكتاباته وأبحاثه المجلة، أقول: ومن أولئك العلماء الذين كانت بينه وبينهم صلة وتواصل الدكتور محمود الطناحي، والأستاذ عبدالفتاح راتب النفاخ، والأستاذ الدكتور عبدالصبور شاهين، والدكتور صالح العايد، والأستاذ الدكتور عبدالرحمن العثيمين، والأستاذ الدكتور أحمد الضبيب، والأستاذ الدكتور عياد الثبيتي، والأستاذ الدكتور سليمان العايد، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز التويجري رحمه الله، والأستاذ الدكتور مازن المبارك، والأستاذ الدكتور محمد خير البقاعي، والأستاذ الدكتور عوض القوزي، والأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع، والأستاذ الدكتور يحي الساعاتي،

والأستاذ الدكتور عبدالرحمن العارف، والأستاذ الدكتور عادل سليمان، ومن الأعلام العراقيين الذين تواصل معهم أستاذنا وكانت بينه وبينهم ذكريات وجلسات ومحاورات علمية وثقافية واجتماعية الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، والأستاذ الدكتور أحمد مطلوب، والأستاذ الدكتورة خديجة الحديثي، والأستاذ الدكتور فاضل السامرائي، والأستاذ الدكتور حسام النعيمي، والأستاذ الدكتور يحيى الجبوري، والأستاذ الدكتور عدنان سلمان، والأستاذ الدكتور جاسم الدرويش، وقائمة طويلة عريضة يصعب ذكرها وحصرها تواصل معهم علميًا وأكاديميًا، وعن طريقه تعرفت على أبرز أولئك الأعلام.

كان وفيًّا لبلده العراق وفيًّا لأمته العربية والإسلامية، فقد اتسم - رحمه الله - بالإباء وعزة النفس فبعد أن نأت به الديار وغادر العراق وحلَّ ضيفًا عزيزًا على الإمارات، أخذ يعمل في مركز جمعة الماجد وفي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بمبلغ من المال لا يوافي عمله وجهده وعلى الرغم من ذلك كان راضيًا محتسبًا الأجر والثواب، وعندما علمت إحدى الدول الأوربية عنه عرضت عليه مبلغًا يصل إلى ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه، وعلى الرغم من حاجته للمال إلا أن عزة النفس أبت عليه أن يتقاضى مالاً من أناس أعداء للأمة وقد شاركوا في قتل وتشريد أهل بلده، في حين رأى ضعاف النفوس كيف تهافتوا على المال.

وكان له فضل عليَّ حيث عرفني بأبرز تلاميذه من أهل العلم والفضل ممن قدموا للإمارات للتدريس بكلياتها ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر الأخ العزيز الأستاذ الدكتور يوسف العيساوي، والأخ الدكتور هادي الشجيري، والأستاذ الدكتور حازم سعيد، والأخ الأستاذ الدكتور

عبدالكريم مدلج، والأستاذ الدكتور عطية الوهيبي، والدكتور عمار الددو، والأستاذ الدكتور رسول، والأخت العزيزة الدكتور نوال سلطان، وعدد كبير لقيتهم فاستفدت من فضلهم وعلمهم.

وكان - رحمه الله - يحثني على الاتصال بالعلماء وأهل الفضل وباقتناء الكتب، بل كان يحمِّلني في كل مرة أزوره من الكتب ما تنوء بحمله الجمال يهديها لزملائه وأحبابه وأخوانه من الأساتذة وطلبة العلم في السعودية.

وكنت في بعض زياراتي للإمارات تتوافق مع مناسبات دينية مثل عيد الفطر أو عيد الأضحى، فكان يصحبني معه - رحمه الله - لزيارة أهل العلم والفضل من أمثال رجل الأعمال السيد سيف الغرير، ومعالي الشيخ السيد جمعة الماجد، وغيرهما كثير، وحدِّث عن تلك اللقاءات من الحكايات والذكريات الماتعة. كان - رحمه الله - حنونًا عطوفًا محبًا لي فكان يسأل عني وعن أهل بيتي وأبنائي ووالدتي، وكان يحثني على برها، ويقول لي: (اطلب من والدتكم الدعاء لي ففيها الخير والبركة)، وكنت إذا عزمت على العودة إلى السعودية عانقني وودعني وأوصاني بعدم السرعة، وعدم الاستعجال، والانتباه للطريق، وأن أتصل به في حالة وصولي ليلاً أو نهارًا، وإذا تأخرتُ عنه لظروف منها التعب أو الإرهاق اتصل هو بي يعاتبني عتاب الأب المحب لابنه الذي أقلقه سفره.. كم كنت أبًا كريمًا رحيمًا يا سيدي.

كان - رحمه الله - متواضعًا رحب الصدر يشاورني في بعض شؤونه العلمية والأسرية الخاصة، وهذا من ثقته بي رغم أني ابن من أبائه، اتسم

- رحمه الله - بدماثة الخلق، وسلامة الصدر، والهدوء والأدب، والخلق والحياء والحب والوفاء، ونقاء السريرة، ورقة القلب.

كان يحكي لي بعض المواقف العلمية المؤلمة التي حدثت له مع بعض المتسلقين على العلم والتحقيق، فكان يعاني من عداوتهم ومن تعنتهم الشيء الكثير وكان يقول لي: (هؤلاء ليسوا بعلماء ولم يؤدبهم العلم)، وكان يروي لي من القصص الطريفة المؤلمة عن بعض المخطوطات كما حدث له مع كتاب (التهذيب بمحكم الترتيب)، وكان أكثر ما يؤلمه سراق التراث الذين سطوا على تراثه، وسرقوا كتبه دون أن يشيروا إلى عمله بل سلخوا الكثير من كتبه سلخًا ونسبوها لأنفسهم جورًا وبغيًا وعدوانًا .. فأين حقوق المؤلف أو المحقق في بلاد الحقوق والعلم والمعرفة والملكية الفكرية كما يزعمون، يقول - رحمه الله - في مقدمة أحد كتبه متألمًا: (واليوم ونحن نعيش في عصر طغى فيه السطو الفكري، والقرصنة العلمية، نرى أسماء أُناس قد وُضعت دون حياءٍ ولا وازع من دين على أغلفة كتب ليست من عملهم، ولا يمتون إليها بصلة، واتخذت هذه الدور - التي تنشر هذه الكتب - واجهات إسلامية مزيَّفة، وأسماء الصحابة والتابعين، والإسلام والصحابة والتابعون منهم براء). كان - رحمه الله - غيورًا على تراث أمته العربية والإسلامية فقد تصدى لأولئك المستشرقين الذين عبثوا بكتب التراث فزوروا وتلاعبوا بالنصوص وخاصة كتب القراءات القرآنية فكانت غيرته تمثلت في الرد على المستشرقين أو بيان أخطائهم أو بما قام به من نشر لكتب القراءات، فقد أعاد للقراءات القرآنية علمها ومكانتها فعرف القرّاء والمهتمون بطريقة القراءة والنطق بها، وقد نفع الله بها.

وكان كريمًا أصيلاً نبيلاً فإذا ما انتهى دوامه في المركز خرجنا سويًا إلى أحد المطاعم القريبة في دبي لنتناول طعام الغداء أو لنرتشف أكوابًا من الشاي، فإذا أردت أن أحاسب وقف أمامي ونهرني بشدة قائلاً لي: أنت ابني وضيفي ولو عاودتها مرة أخرى لزعلت عليك.

بل لقد درَّس عددًا من الأخوات الباحثات من دولة الإمارات علم تحقيق المخطوطات لم يأخذ منهن درهمًا بل لقد حاولن بعض الأخوات منهن أن يضعن المبلغ - وكان مبلغًا مجزيًا كما علمت من إحداهن - أقول حاولن وضعه في مظرف، فلما علم بالحيلة غضب عليهن غضبًا شديدًا وأقسم أن لو فعلن ذلك مرة أخرى لتركهن وترك البلاد برمتها. أي أخلاق كان يتمتع بها هذا الرجل الكريم النبيل.

كان - رحمه الله - كثير الصمت لكن إذا تحدث بز الحاضرين بأسلوبه وعذب حديثه، فهو يأسرك بحسن الحديث وجمال الأسلوب، وكان يمتعني كثيرًا بجمال صياغة الحكاية خاصة مواقف العلماء والشعراء، كما كان فصيح اللسان، لغته واضحة وجميلة، فالدكتور حاتم إذا تحدث عن شخصية أحد العلماء الأوائل أو الشعراء تجده قد أتى على كل ما يتعلق بتلك الشخصية حتى المواقف الخاصة، لذلك فحديثه ممتع جدًا، ولا يمل السامع منه.

كان يحدثني كثيرًا عن مكتبته التي تربو على الستين ألف كتاب كان يقول لي: فيها نفائس من المخطوطات الأصلية والمصورات والنوادر وفيها القديم من المطبوعات، وفيها نسخ من الكتب لا توجد إلا بها، وفيها من الوثائق العلمية الشيء الكثير، فهي ذخيرة من ذخائر الكتب.

كان - رحمه الله - متابعًا دقيقًا لما يصدر من كتب التراث اللغوي والنحوي وكتب القراءات سواء في السعودية أو في غيرها، وكان يوصيني بأن أجلب له نسخة منها ونسخة أقتنيها لنفسي.

كان - رحمه الله - صبورًا كحال العلماء الذين حلت بهم الإحن والمحن فصبروا، فقد صبر - رحمه الله - على الغربة والبعد عن بلده، وصبر على إيذاء الناس له، وصبر على شظف العيش، وصبر على فراق ابنه، وصبر على فقد زوجته التي كانت تعينه على نوائب الدهر، ولم يكن يجزع مما مرَّ به بل كان يكثر من قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

كان يحكي لي عن مكر بعض أصحاب دور النشر التي طبعت له وكيف بخسوه حقه وأكلوا ثمن جهده وتعبه، فأحدهم يقول له: لم نحصِّل بعد تكاليف طباعتنا، وهو قد حصلّها وزيادة، والآخر يعطيه قيمة الطبعة الأولى فقط وأما بقية الطبعات فيأكل ثمنها، والثالث يقول له لم نطبع إلا ألف نسخة ويعطيه نصيب الألف، وهو قد طبع خمسة آلاف نسخة، وهكذا حتى أنف من سوء تعاملهم، وليت الأمر يقف عند حد أكل حقه، بل إذا طالت المدة وطالب بحقوقه تنكر بعضهم له وبعضهم الآخر يفتري عليه كذبًا، ولم يكن يحب الجدل أو الخصام بل كان كل ما عليه يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وكلت أمر إلى الله، يقول في مقدمة أحد كتبه: (ماذا سيكتب التاريخ عن هذا الزمن الأغبر، الذي تغيَّرتْ أخلاق الناس فيه، ففُقِد الحياء، وقلّ الوفاء، وغُبِنَ العلماء، وماتتْ الضمائر، واشتريت الذمم، وهضمت الحقوق؟!! وماذا ننتظر بعدَ هذا؟!!).

كنت أحبه حبًّا جمًّا وكان يفصح لي عن مكنون قلبه وعن المواقف التي تحدث له فكنت أعلله ببعض الكلمات وأصبره ببعض القصص، وكنت أداعبه ببعض الحكايات الطريفة لكن جرح اللسان أشد وأنكى من جرح السنان.

كان يطلب مني أن أشتري له من الكتب ما يخطر بباله، ولم أتردد يومًا ما في شراء مطالبه بل كنت أجلبها له بكل الحب والشوق والافتخار وكنت أقول له: (خدمتك يا سيدي شرف أعتز بها) فيأخذني في أحضانه ويقول: (الحمد لله الذي رزقني إيّاك).

لذلك فقد نزل عليَّ خبر وفاته كنزول الصاعقة على شجيرة خضراء يهفهفها الهواء يمنة ويسرة، لم أصدِّق الخبر حتى هاتفت أختي الدكتورة نوال سلطان التي أكدت لي صحته - وهي تبكي ألمًا وحسرة على فقده - فجثوت على ركبتي ورحت أبكيه بكاء الابن لأبيه فقد احتواني وأحبني وصنعني وعلمني ورباني ثم رحت أستحضر لهذا الرجل مكارمه وفضائله ومواقفه التي لا أنساها ما حييت، فقد طوقني بكل معاني الحب والود ما لا أستطيع الوفاء به. لم أجد ما أرثيه به إلا أبياتًا أحفظها لعثمان بن سند يرثي بها شيخه البيتوشي فتمثلتها، يقول:

على مثله يبكي يراعٌ ودفترُ وتبكي أعاريضٌ عليه وأشطُرُ
وتبكيه أبحاث الأعاريب إنّه أبو بشرها إن عاصَ منهنَّ مضمَرُ
ويبكي عليه العلمُ عُطِّل نحرُهُ ويا طالما منه بدا فيه جوهرُ
ويبكي عليه حلمُهُ ووقارُهُ إذا جال في بُردِ السَّفاهِ الموقرُ

كفــى حُزنًــا أنّــي أمــرٌّ بقــبره   فأمضي وقلبي بالأسى متكسِّرُ
فلا دمعتي ترقى ولا سلوتي تُرى   ولا ترحي يفنى ولا الصبر أقـدَرُ
لقد هاجني وجـدٌ عليـه ولوعـةٌ   لها بين طيَّـات الضّـلوع تَسَـعَّرُ

هذه نفثات بثثتها من هجير قلـبي علـى فـراق هـذا الرجـل الكـريم، فأخشى ما أخشاه أني لم أوفِـه حقّـه أو أن أكـون قـد قصـرت في بعـض خصاله التي اتسم بها، وكان بودي لو أطلت لأني لم أقل عنـه إلا القليـل ولو تركت لنفسي العنان ولقلمي السياحة عنـه لمـا توقـف؛ لأن الرجـال مواقف وكان لي نعم الرجل ونعم الوالد ونعم المعلم الـوفي لم يخـذلني في أي شـيء طلبتـه بـل كـان عونًـا لي في رحلـة دراسـتي للماجسـتير والدكتوراه لذلك أرجو المعذرة إن قصرت في وصـفه، فقـد كـان بحـق ندرة في عصره ومصره.

وقد تهافت عليَّ أهل العلم والفضل في المملكة عندما علموا برحيله تهافتوا يعزوني فيه لعمق الصلة والصداقة بيني وبينه، ولم يـرني أحـد في مناسبة علمية أو ثقافية إلا تذكره وترحم عليه ..

أخـيرًا .. لا نقـول إلا مـا يرضـي ربنـا (إنَّـا لله وإنَّـا إليـه راجعـون، ولا حول ولا قوة إلا بالله)

تمكين القارئ من النص المخطوط

بضبط كَلمه، وترقيم تعبيراته وجمله، وتفْقير فُصوله، وعنونته

أ. د. محمد جمال صقر

عضو المجمع

يبحث المُتَثَقِّفون عن أصول الثقافة العربية الإسلامية، ويهتدون إلى مخطوطات كتبها القَيِّمة؛ فيبتهجون بها بهجة من وَجَدَ أسباب الحياة من بعد أن وَجَدَتْه أسبابُ الموت! حتى إذا ما اطلعوا عليها اسْتَغْلَقَتْ عليهم، وكأنها كانت سَرابًا جاؤوه فلم يجدوه شيئا، ووجدوا الحيرة عنده؛ فأَوْرَثَتْهم الضيق، ثم أفضى الضيق إلى الإعراض، وفي الإعراض جهلٌ، والجهلُ موتٌ، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

حتى إذا ما نشط لمخطوطات تلك الكتب القيمة، طلابُ علمٍ مُجاهدون، اتَّخَذوا تَحقيقَها زُلْفى إلى الحق -سبحانه، وتعالى!- الذي ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، ويُحِبُّ مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ ما لم يَعْلَمُوا- انفتحت مَغاليقُها، وأقبل عليها المعرضون عنها، واهتدى بها الحيارى، واستقام المُتَثَقِّفون، واتَّصَل عُمْرانُ الماضي بالحاضر إلى المستقبل، في نور العلم والعمل.

لقد علم طلاب العلم المجاهدون المحققون، أن عِماد عَمَلِهم ومِلاكَه وذِرْوَةَ سَنامِه، أن يُمَكِّنوا القارئ من النص المخطوط، وكأنه حِصانٌ جَموحٌ، فهُمْ يُذَلِّلونه له، ثم يتركونه وشَأْنَه، مُوقِنين من أنه مهما فعل به، فَسَيَعْطِفُه على سَمُرات الحَيّ!

- إنه إذا كان النص المخطوط على النحو الآتي:

كانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته فدخلت على أشعب وهو في الموت وهو يقول لبنته يا بنية إذا مت فلا تندبيني والناس يسمعونك فتقولين وا أبتاه أندبك للصوم والصلوات وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة فيكذبك الناس ويلعنوني والتفت أشعب فرأى المرأة فغطى وجهه بكمه وقال لها يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئا مما أنا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكيني فغضبت المرأة وقالت سخنت عينك في أي شيء أنت مما يستحسن أنت في آخر رمق قال قد علمت ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهولة النزع فيشتد ما أنا فيه وخرجت من عنده وهي تشتمه وضحك كل من كان حوله من كلامه ثم مات

- وكان تمكين القارئ منه بتحقيقه على النحو الآتي:

[اَلْمَوْتُ ضَحِكًا]

كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ عَجُوزٌ شَدِيدَةُ الْعَيْنِ، لا تَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ إِلاَّ عَانَتْهُ. فَدَخَلَتْ عَلَى أَشْعَبَ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، وَهُوَ يَقُولُ لِبِنْتِهِ: يَا بُنَيَّةُ، إِذَا مِتُّ فَلَا تَنْدُبِينِي وَالنَّاسُ يَسْمَعُونَكِ؛ فَتَقُولِينَ: وَا أَبَتَاهْ! أَنْدُبُكَ لِلصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ، وَا أَبَتَاهْ! أَنْدُبُكَ لِلْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ- فَيُكَذِّبَكِ النَّاسُ، وَيَلْعَنُونِي!

وَالْتَفَتَ أَشْعَبُ، فَرَأَى الْمَرْأَةَ؛ فَغَطَّى وَجْهَهُ بِكُمِّهِ، وَقَالَ لَهَا: يَا فُلَانَةُ، بِاللَّهِ، إِنْ كُنْتِ اسْتَحْسَنْتِ شَيْئًا مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ!- لَا تُهْلِكِينِي! فَغَضِبَتِ الْمَرْأَةُ، وَقَالَتْ: سَخِنَتْ

عَيْنُكَ! فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ! أَنْتَ فِي آخِرِ رَمَقٍ! قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ، وَلَكِنْ قُلْتُ لِئَلَّا تَكُونِي قَدِ اسْتَحْسَنْتِ خِفَّةَ الْمَوْتِ عَلَيَّ وَسُهُولَةَ النَّزْعِ؛ فَيَشْتَدَّ مَا أَنَا فِيهِ!

وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَهِيَ تَشْتُمُهُ، وَضَحِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَوْلَهُ مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ مَاتَ! اَلْمَوْتُ ضَحِكًا

- وسُبْحَانَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ! -

- فإِنَّ تَمْكين القارئ من النص المخطوط إِذَنْ، هو أَنْ يُصْطَنَعَ به ما يأتي:

١- عَنْوَنَة النص على حسب رسالته -إن لم يكن معنونا- عَنْوَنَةً مُنَاسِبَةً: وهو أساس التمكين؛ إذ يحاول به المحقق استيعاب النص، ثم يُنَزِّل استيعابه على ما دونه من فقره وجمله وتعبيراته وكلمه، من بعد أن كانت هي السبيل إليه؛ فالعمل ذهابٌ وإيابٌ دَوَالَيْكَ، حتى يتم الاستيعاب.

١- والعنوان عبارة موجزة يمكن فهرسة النصوص بها هي وأشباهها.

٢- وهو إما حقيقي علمي كاشف، أو مجازي فني موحٍ.

٣- وموضعه إما المتن بين قوسين، أو الحاشية الجانبية من غير قوسين.

- تطبيق ذلك على النص السابق.

٢- تَفْقِير فصول النص على حسب أفكارها، تَفْقِيرًا مُكَافِئًا: وهو أكبر معالم الاستيعاب؛ فمن وقف على حدود الفصول وانتبه إلى مواضع

بعضها من بعض حتى حَصَّلَ أفكارها، فقد استولى على رسالة النص.

١- والفقرة كتلة كتابية متميزة مما قبلها ومما بعدها، تستوعب الفصل الواحد ذا الفكرة الواحدة، بحيث يستطيع المُتَصَفِّح أن يميز بعدد الفِقَر عددَ الفِكَر.

٢- وكلُّ نصٍّ كاملٍ مُنقسمٌ حَتْمًا على أكثر من فصل.

٣- وترتيب فصوله إما صاعد من مقدمات إلى نتائج، وإما هابط من نتائج إلى مقدمات، وإما مستدير من بعضها إلى بعض، دَوَالَيْكَ!

- تطبيق ذلك على النص السابق.

٣- تَرْقِيمُ جُمَل النص على حسب فوائدها، تَرْقِيمًا وَافِيًا: وهو من معالم الاستيعاب المهمة؛ فمن وقف على حدود الجمل وانتبه إلى خصائصها حتى حَصَّلَ فوائدها، فقد استولى على فكرة الفقرة.

١- والتَّرْقِيم رَسْم التَّنْغيم بإضافة علامات كتابية خاصة ليست من الإملاء ولا من التشكيل، أهمها النقطة وما يوازيها، والفاصلة وما يوازيها.

٢- والجملة مُرَكَّبٌ لُغَوِيٌّ مِنْ عُنْصُرَيْنِ مُؤَسِّسَين، أحدهما مُسْنَد إلى الآخر، ربما انضافت إليهما أحدهما أو كليهما، عناصر أخرى غير مُؤَسِّسة: مُكَمِّلة (مُتَعَلِّقات)، أو مُلَوِّنة (أَدَوات).

٣-والجملة إما خَبَرية أو إنْشائية، والجملة الخبرية إما مُثْبَتة أو مَنْفِية، والجملة الإنشائية إما طَلَبِيَّة أو غير طَلَبِيَّة.

٤-وفي وجوه الترقيم ما يتسع لاختلاف التأويلات.

- تطبيق ذلك على النص السابق.

٤- تَرْقِيمُ تَعْبيرات النص على حسب دلالاتها، تَرْقِيمًا جَائِزًا: وهو من معالم الاستيعاب؛ فمن وقف على حدود التعبيرات وانتبه إلى خصائصها حتى حَصَّلَ دلالاتها، فقد استولى على فائدة الجملة.

١- والتَّعْبيرُ مُركَّبٌ لُغَوِيٌّ وَسَطٌ بين الجملة والكلمة، كالموصول وصِلَتِه، والمضاف والمضاف إليه، والمتبوع وتابعه، والمُمَيَّز وتَمْيِيزه.

٢- وما الجملة الصغيرة في الجملة الكبيرة إلا تَعْبيرٌ من التعبيرات.

- تطبيق ذلك على النص السابق.

٥- ضَبْطُ كَلِم النص على حسب معانيها إمْلَاءً وتَشْكيلًا، ضَبْطًا كَافِيًا: وهو من معالم الاستيعاب؛ فمن وقف على رسوم الكلم وحدودها وانتبه إلى خصائصها حتى حَصَّلَ معانيها، فقد استولى على دلالة التعبير.

١- لا غنى في تسجيل النص اللغوي بالإملاء عن التشكيل.

٢- ولا غنى عن مراعاة الإملاء والتشكيل الصحيحين المعاصرين.

٣- ولا بأس بالانتفاع بقاعدة "اشْكُلْ مَا يُشْكِلُ".

٤- ولا بأس بتمييز النصوص المُكَرَّمَة، وإن لم تكن مُشْكِلَة.

٥- ومِعْيارُ الضَّبْطِ هو عَدَمُ إمكان القراءة على غير وَجْهِها المُرَاد.

- تطبيق ذلك على النص السابق.
- فهل مِنْ تَطْبيقٍ لذلك على النص اللاحق؟

اعلم أن المستشار ليس بكفيل وأن الرأي ليس بمضمون بل الرأي كله غرر لأن أمور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولأنه ليس شيء من أمرها يدركه الحازم إلا وقد أدركه العاجز بل ربما أعيا الحزمة ما أمكن العجزة فإذا أشار عليك صاحبك برأي ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه ذنبا ولا تلزمه لوما وعذلا بأن تقول أنت فعلت هذا بي وأنت أمرتني ولولا أنت لم أفعل ولا جرم لا أطيعك في شيء بعدها فإن هذا كله ضجر ولؤم وخفة فإن كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابه فلا تمنن به ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر بأن تقول ألم أقل لك افعل هذا فإن هذا مجانب لأدب الحكماء

القسم الرابع:

أنت تسأل .. والمجمع يجيب

الإصدار الأول

رجب ١٤٣٤هـ
مايو ٢٠١٣م

١ . السائل : فيصل عباد الهذلي

اختلف المفسرون والمعربون في إعراب كلمة (قربانًا) من قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ...﴾ الآية [الأحقاف:٢٨]، حيث قال الزمخشري بأنها حال أو مفعول لأجله، وآلهة هي المعول الثاني. وذكر بأن إعرابها مفعول ثانٍ لا يصح لفساد المعنى. ولم يبيِّن وجه الفساد. وقد تلمَّس من جاء بعده وجه الفساد فقال بعضهم: إذا قيل بأن (قربانًا) مفعول ثانٍ، فسيكون الله -تعالى- متقربًا به، وهذا لا يجوز؛ لأن الله -عز وجل- متقربًا إليه لا متقربًا به.

آمل الأخوة بسط هذه المسألة وإيضاحها، مع بيان القول الراجح.. وجزاكم الله خيرًا .

الجواب :

لو كان القُرْبانُ في الآيَةِ مُعرَّفًا لَجازَ أن يكونَ مفعولاً أوّلَ ويَكونَ آلهة مفعولاً ثانيًا؛ لأنّ أصلَ العبارةِ حينئذٍ : القُربانُ آلهةٌ، أي يَتقرَّبونَ بالآلهة إلى الله، أي تُقربُهُم زُلْفى، ولكن لمّا لم يكن القُربانُ معرفةً امتنعَت المفعوليّةُ الأولى، فكانَ المفعولُ الأوّلُ محذوفًا على نيّةِ التّقدير : فَلوْلا نَصَرَهُم الذينَ اتَّخَذوا [أوثانَهُم] مِنْ دونِ الله قُربانًا آلهةً، أي : هلاّ نَصَرَهُم الذين اتخذوا أوثانَهُم آلهةً قُربانًا من أجلِ التّقرُّب؛ وسيكونُ القربانُ مفعولاً لأجلِه، والآلهةُ مفعولاً ثانيًا، وسيكون ترتيبُ الكلامِ بحسب الإعراب : فلولا نَصرَهُم الذينَ اتخذوا [أوثانَهُم] آلهةً من دون الله، قَربانًا أي من أجل التّقرُّب، والله أعلمُ .

أ . د عبد الرحمن بو درع

إضافة تعليق على الجواب :

أضيفُ إلى ما قاله أخي الأستاذ الدكتور /عبدالرحمن بودرع -أحسن الله ذِكره في العالمين- أنّ من المعربين من أعربه، أعني (قربانا) حالاً، أي : متقرّبا، والمفعول الأول محذوف، وهو العائد لاسم الموصول (الذين) والمفعول الثاني (آلهة) والمعنى : فهلاّ نصرهم الذين اتخذوهم متقرّبًا بهم آلهة، توسط الحال بين المفعولين، وأصله : اتخذوهم آلهة متقرّبًا بهم . ومنهم من يعرب (قربانا) مفعولاً لأجله، والمعنى : اتخذوهم آلهة للتقرب بهم، واختار هذا الإعراب العكبريّ، كما أيّد قولا آخر اختاره ابن عطية، وهو الإعراب الذي منعه الزمخشري، وهو أن يكون (قربانا) مفعولاً ثانيًا، وأما "آلهة" فبدل ولم يذكر الزمخشري حجة للمنع، ووجه الفساد فيما قاله السَّمينُ الحلبيُّ في (الدر المصون): أنّ القربان اسم للشيء الذي يُتقّرب به إلى الإله، فلو جعلناه مفعولا ثانيا وجعلنا "آلهة" بدلا منه لزم أن يكون الشيء المتقرب به هو الآلهة، وهو شيء يتقرب به إليها، فهو غيرها، فكيف يصح أن تكون الآلهة بدلا منه ؟؟

وأما أبو حيان فقال في هذا الوجه الذي منعه الزمخشري: «ويظهر أن معناه صحيح». وقد أورد الآية مكي بن أبي طالب في (مشكل القرآن) ونقل وجها رابعا وهو إعرابه على المصدرية، وهو غير متضح.

وأما ما ذكره السائل في توجيه كلام الزمخشري فقد نقله الآلوسي في روح المعاني، وغيره في غيره، وتوضيح وجه الفساد : أن معناه حينئذ : فهلا نصرهم الذين اتخذوهم قربانا ،فيدل بمفهومه : أن الأجدر بهم أن

يتخذوا الله قربانا، والله لا يتقّرب به . وهو قريب مما ذكرته آنفا، وهذا الفساد لا يتجه على الأعاريب الأخرى، لا سيما على الإعراب الأول الذي توسط فيه الحال بين المفعولين، وإن كان على خلاف الأصل .. وذكر الرازي وجها آخر واستضعفه، وهو: أن يكون (قربانا) مفعولا ثانيا، و(آلهة) هو المفعول الأول، ووجه الضعف عنده : أنه يؤدي إلى خلوّ الكلام عن الراجع إلى "الذين " وما ذكره الدكتور بودرع في شرط التعريف للمفعول الأول يذكرُ في كتب النحو، ولم يزل يشكل عليَّ ذلك، فإنه لا يمتنع أن يقول القائل : اتخذت إنسانًا أخًا، تريد إنسانا من الناس، والظاهر أن قولهم في اسم (ظن وأخواتها) وخبرها : لا بد أن يكون أصلهما مبتدأ وخبرا، قبولهم ذلك على نوع من التوسع، باعتبارات واسعة، ألا ترى أنك تقول : صيرت الأحمر أسود، ولا يصح أن تقول : الأحمر أسود.

وما كانت إضافة هذه التكملة إلا عن موعدة للسائل وعدتها إيّاه حين وضع سؤاله، وطلب مني الجواب، فبادر أستاذ المجمع الدكتور بودرع بالجواب، الذي جعلت ما قلته أو نقلته تكملةً، بل ذيلاً لجوابه ،نفع الله بالجميع.

د. عبد العزيز بن علي الحربي

٢ . ورد سؤال من العضو سهاد قنبر هذا نصه :

قال ابن عاشور في معرض تفسيره لآية (سورة الأنفال: ٥١): ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾: «ونفي ظَلاَّم بصيغة المبالغة لا يفيد إثبات ظلم غير قوي؛ لأنّ الصيغ لا مفاهيم لها، وجرت عادة العلماء أن يجيبوا بأنّ المبالغة منصرفة إلى النفي كما جاء ذلك كثيرًا في مثل هذا، ويزاد هنا الجواب باحتمال أنّ الكثرة باعتبار تعلّق الظلم المنفي، لو قدر ثبوته، بالعبيد الكثيرين، فعبّر بالمبالغة عن كثرة إعداد الظلم باعتبار تعدّد أفراد معموله». ما معنى قوله: «الصيغ لا مفاهيم لها»، هل يقصد أن الصيغ الصرفية مقصورة على دلالتها فلا يوجد مفهوم قابع خلف هذه الدلالة ولا يستخرج من الدلالة مفاهيم أخرى مثل مفهوم مخالفة أو إيماء أو غيره؟ أم أنه يقصد أن الصيغ الصرفية عمومًا لا مفهوم لها ينفك عن السياق ومقاصد المخاطب والمتكلم، وإنما وضع الصرفيون دلالاتها بطريق أغلبي؟ وأيًا كان المعنى فهذه قاعدة صرفية لم يسبقه لها أحد فهل من فائدة حول هذا الموضوع وجزاكم الله خيرًا.

الجواب :

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ :

السؤالُ : هلْ صيغةُ ظَلاّم مبالغةٌ تقتضي التكثيرَ ؟ وهل فيها معنىً أخصُّ من "ظالمِ" ؟ وهَلْ مَعْنى الآيةِ أنّه لا يَلْزَمُ من نَفي الأخصِّ نفيُ الأعَمِّ ؟ أيْ للصّيغةِ مَفْهومٌ وراءَ المنطوق ؟ فإذا قلت: "زيدٌ ليس بظلاَّم"

فهل مَعْناه: أنّ زيدًا ليسَ يُكْثِرُ الظلم؟ مع جوازِ أَنْ يكونَ ظالمًا، وأنّك إذا قلتَ: (ليس بظالم) انتفى الظلمُ مِنْ أصلِه ؟ في الجَوابِ عن المسألَةِ نَقَلَ السّمينُ الحَلَبيّ في الدرّ المَصون، عن أبي البَقاءِ، الجوابَ عن السؤالِ :

كيفَ قال تعالى: ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؟ وقد أوردَ الجـوابَ في أربعـةِ أوجهٍ :

- الأول: أن "فَعَّالاً" قد لا يُراد به التكثيرُ كقوله الشاعر طَرَفَةَ:

و لَسْتُ بِحَـلاَّلِ الـتِّلاعِ مَخافـةً ولكنْ متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ

فالشاعرُ لا يُريد هنا أنه يَحُلُّ التلاعَ قليلاً؛ لأنَّ ذلك يَدْفَعُه آخرُ البيت الذي يَدُلُّ على نَفْي البخلِ على كلِّ حال، وأيضاَ تمامُ المـدحِ لا يَحْصُـل بإرادة الكثرة.

- الثاني: أنه يُرادُ به معنى الكثرة لا المُبالغَة، ولكنه لَمَّا كـان مقـابَلاً بالعباد وهم كثيرون ناسب أن يُقابَلُ الكثيرُ بالكثير.

- والثالث: أنه إذا نفى الظّلمَ الكثيرَ انتفى القليـلُ ضَـرورةً؛ فـالظّلمُ كثيرُه وقليلُه ضارٌّ غيرُ نافعٍ فكيفَ يُدفَعُ الكثيرُ ويُرادُ القليلُ، فالذي يَظْلم إنما يَظْلِمُ لانتفاعِه بالظلمِ، قلَّ أو كثُرَ

- الرابع: أن يُرادَ بفَعّال مَعْنى النّسَب؛ أي: لا يُنْسَبُ إليه ظلمٌ أصلاً، فيكونُ من باب: بَزّار وعَطّار، كأنه قيل:

ليس بذي ظلم البتّةَ. ومعنى النّسَب حكاه ابنُ مالك عن المحقِّقينَ.

ومعنى ذلك أنّ الصيغةَ فَعّال: ليسَ لها مفهوم وراء المنطوق وأنّها لا يُرادُ بها المبالغةُ مطلقًا، فقد تُفيدُ معنى النّسَب وهذا ما يُستفادُ من تفسير السمين الحَلَبيّ قبلَ أن يذكرَه الشيخ ابنُ عاشور، رحمهم الله جَميعًا[١].

مَعْنى المُقابَلَة عندَ السّيوطي:

تتبَّعَ السيوطي فيما بعدُ المسألةَ في كتابه (الإتْقان)؛ فذكرَ أنّه أشكلَ على الناسِ قولُه تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:٤٦]، ومثلُه قولُه تَعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤].

فأجابَ عن الآية الأولى بأجوبةٍ:

- أنّ "ظَلاّما" وإن كانَ للكثرة لكنّه جيء به في مُقابلَة العَبيد الذي هو جَمعُ كثرة. ويُرشّحُه أنّه تعالى قالَ: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ فقابَلَ صيغةَ فَعّال بالجمعِ، وقالَ في آية أخرى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾؛ فقابَلَ صيغةَ فاعِل الدّالّة على أصل الفعل بالواحد.

- أنه أراد بقولِه "ليس بظلاّم": ليس بظالم تأكيدًا للنفي فعبر عن ذلك بـ "ليس بظلام":

- أنه ورد جوابا لمن قال ظلام والتكرار إذا ورد جوابا لكلامٍ خاص لم يكن له مفهوم يعني أنّ لفظَ التّكرارِ تابعٌ للمُكرَّرِ وليسَ مستقلاً بنفسِه.

- أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات فجرى النفي على ذلك .

(١) انظُرْ كتابَ: (الدّرّ المَصون في علم الكتاب المَكْنون) للسّمين الحَلَبي في تَفْسيرِه للآيَة.

- التاسع أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور .

ثمّ ساقَ السيوطيّ فائدةً نحويّةً، ذكرَ فيها أنّ ثعلبًا والمبردَ ذهَبا إلى أنّ العربَ إذا جاءت بينَ الكلامين بجَحْدَيْن [أي بنَفْيَيْن] كان الكلامُ إخبارا، نحوَ قولِه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]. والمَعْنى: إنّما جَعلناهم جَسَدًا يأكلونَ الطّعامَ، وإذا كانَ الجَحدُ في أوّل الكلامِ كانَ جَحدًا حَقيقيًا نحو: ما زَيدٌ بِخارجٍ، وإذا كان في أوّل الكلامِ جَحْدانِ كان أحَدُهُما زائدًا للتوكيد، وعليه قولُه تعالى: ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف:٢٦] في أحد الأقوال [الإتْقان للسيوطي].

أ. د عبد الرحمن بو درع

٣. السائل : شهاب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

السادة أعضاء المجمع المحترمين، نرجو من سيادتكم توجيهنا وإرشادنا، فنحن نسأل عن طه حسين كيف تقويمكم له ؟، وهل نقرأ له ؟ فقد سمعنا من يحذر منه ومن فكره .. نرجو الإفادة وجزاكم الله خيرا.

الجواب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..

الحقيقةُ أنّ الدّكتور طه حسين رحمه الله بدأ حياتَه العلميّةَ متحمّسًا لآراءِ أساتذته المستشرِقين، فشكَّ في الشّعرِ الجاهليّ وذكَر أنّ أكثرَه مَنْحولٌ وضعَه الوَضّاعونَ وتوسّل في شكِّه بمنهج ديكارْت وفلسفتِه التي كانَت مطيّةَ المثقّفينَ الجُدُدِ الذين ثاروا على الأزهَر ومناهجه وشُيوخه، وألّفَ عقبَ حملتِه هذه كتابَه الأوّلَ (في الشّعر الجاهليّ) فأَثارَ به زوبَعةً وفتنًا ؛ لأنّه سلّطَ منهج الشّكّ على قيم الأدب والتّراثِ كلِّها وفي ذلك هَدمٌ للقِيَم وتَمْهيدٌ للطّعنِ والمَحْوِ، ولكنّ عُلَماءَ الأزهَرِ تصدّوا له وبيّنوا تَهافُتَ حُججه وأدلّتِه التي غلَبَ على أكثرِها الظّنّ على اليَقينِ والنّظَرُ على النّقلِ فتَراجَعَ عمّا كتبَ وعدّل في فُصولِ كتابه فأصبح : (في الأدب الجاهليّ)، وإن لم يَسْلَمْ هذا الكتابُ نفسُه مَن أنْفاسِ الشّكّ الجامحِ الذي يطعنُ على قيمِ الأمّةِ، ولكنّ الأستاذَ كانَ كلّما تقدّمَ به السّنُّ تراجَعَ عن بعض ما كانَ يزعُمُه يقينيّاتٍ في منهجه الشّاكّ. غير أنّ حديثَه عن الأدبِ في كتابِه الثّاني وفي (حديثِ الأربعاء) و(من حديث الشّعر والنّثر)،

و(مُستقْبَل الثّقافَة في مصر)، وغيرِ ذلِك هل أتى بجديدٍ يُحسَبُ له حسابُه ويُعدُّ إضافةً نوعيّةً وكَشفًا في تراثِ الأمّةِ؛ الحقيقةُ أنّ كبارَ الـرّواةِ ونُقّـادِ الشّعرِ العربِ القُدامى كابنِ سَلاّم الجُمَحيّ والأصـمعيّ وأبي عَمـرو بـنِ العلاءِ وغيرهِم، تركوا لنا مُصنّفاتٍ ما زال الناسُ يَرجعونَ إليْها في تعديلِ الرّواةِ، رواةِ الشّعرِ، وفي الموازنَةِ بين الأشعارِ، وفي نسـبَةِ الأقـوالِ إلى قائليها، وفي معرفة صحيحِ الشّعرِ من مَنْحولِه وحقيقيِّه من زائفِـه فمـاذا أضاف د. طه حسين ؟ أضافَ أسلوبًا مبسّطًا مُغريًـا سلسًـا عـذبًا سـاحرًا يأخذُ بألبـابِ القُـرّاءِ الشّـبابِ المُعاصِـرين. غـير أنّ كـثيرًا مـن البـاحثين المُحدَثين يأبَى إلاّ أن ينسبَ إلى د.طه حسين أنّه جَدَّدَ في مناهج البحـثِ في الأدب فأدخَلَ المنهج التّاريخيّ ونسبوا إليْه أيضًـا التّجديـدَ في النّقـدِ الأدبيّ وفي الثّقافَة العربيّةِ على وجه العُموم .

أ.د عبد الرحمن بو درع

٤ . سؤال ورد من العضو محمد بن حمود هذا نصّه :

ذكر أحد الشيوخ أن جميع الشعراء المتأخرين والمتقدمين يحتج بشعرهم في المعاني والأساليب مثل: الالتفات، وغيره ...

وكانت مناسبة ذلك: أنه وقف عند أسلوب الالتفات في آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وبعد الاستشهاد بأبيات لامرئ القيس في الالتفات، ذكر الشيخ أبياتا للمتنبي فيها أسلوب الالتفات، ثم قال: لو احتج بها المفسر لجاز احتجاجه، لأن ذلك جائز في الأساليب والمعاني، بخلاف دلالة الألفاظ، وقواعد النحو، لا يجوز الاحتجاج بغير الطبقات المعروفة بزمن الاحتجاج.

أرجو ممن لديه إحاطة بهذا الشأن أن يفيدنا!

الجواب :

الاستشهادُ بشعر الشعراءِ بابٌ كبيرٌ من أبوابِ العلمِ، تكلّمَ فيه عُلَماءُ اللّغةِ وفصّلوا فيه وقسّموا مَن يصحُّ الاستشهادُ بشعرِه في اللغة والنحو والصرف. ومن أهمّ مَن فصّلَ في هذا الباب عبدُ القادر البغداديّ في خزانَة الأدب ولُبِّ لُبابِ لِسان العرَب؛ حيثُ ذكَرَ أنّ علومَ الأدب ستةٌ: اللغةُ والصرف والنحوُ، ثُمّ المعاني والبيان والبديع؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولَّدين، لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم، إذ هو أمر راجع إلى العقل، ولذلك قُبِلَ من أهلِ

هذا الفنِّ الاستشهادُ بكلام البحتري، وأبي تمام، وأبي الطيب المتنبّي وغيْرِهم فأمّا الاستشهادُ على اللغة والنحو والصّرفِ فبكلامِ المُتقدِّمين من الشّعراءِ؛ وهم طبقاتٌ:

- الشعراء الجاهليون، وهم قبل الإسلام، كامرئ القيس والأعشى.

- المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كلبيد وحسان.

وهاتان الطّبقَتانِ يُستشهَدُ بشعرهما إجماعًا.

و أمّا المتقدمون، ويقال لهم الإسلاميون، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، كجرير والفرزدق. فالصحيحُ عند جمهورِ العُلَماءِ صحةُ الاستشهاد بكلامها.

وأمّا الموَلَّدون، ويقال لهم المُحْدَثون، ومَن جاءَ بعدهم، كبشار بن برد وأبي نواس، فالصحيحُ عند أغلب العُلَماء أنه لا يُستشهَدُ بكلامهم في اللغة والنّحو والصرفِ مطلقًا؛ وقيل يُستشهَدُ بكلام من يوثقُ به منهم، واختار هذا الرأيَ الزمخشريُّ، ومنهُم مَن استشهَدَ بشعر أبي تمام. واستشهد الزمخشري أيضًا في تفسير أوائل البقرة من (الكشاف) ببيت من شعر أبي تَمّام، وقال: «وهو - يَعْني أبا تمّام - إن كان محدثًا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجْعَلْ ما يقولُه بمنزل ما يرويه. ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه».

وأمّا الاستدْلالُ على المَعاني بشعرِ الموَلّدينَ فهو جائزٌ واردٌ لا شكّ فيه؛ فهؤلاءِ الموَلَّدونَ - بل الطَّبقاتُ المتقدّمةُ - كلُّ أولئكَ يصحُّ

الاستشهادُ بشعرِهم في المَعاني والاستعاراتِ والمَجازاتِ ؛ لأنّ المَعـاني شركةٌ بين الشُّعراءِ وغيرِهم على اختلافِ أزمنتـهم وأمكنتـهم . قـالَ ابـنُ جنّي، في الخَصائصِ، ونَقَلَ قولَه أيضًا السيوطي في (المُزهر): «يُسْتَشْهَدُ بشِعر المولَّدين في المعاني كما يُستَشْهد بشِعر العرب في الألفاظ».

بَل ذكَرَ ابنُ جنّي في (الخصائصِ) أيضًا: أنّ الشعرَ القَديمَ والمُحـدَثَ ليسَ جميعه مرتجلاً، بل قد كان يَعـرضُ للشّـعراءِ المتقـدّمينَ، فيـه مِـن الصبر عليه، والملاطفة له، والتّلوُّم على رياضته، وإحكام صـنعته نحـوٌ من مما يعرض لكثير من المولدين. فدلّ قولُ ابنِ جنّي هذا، على أنّ شعرَ المولَّدينَ لم يخلُ من إجادةٍ ومن تعهّـدٍ وعنايـةٍ، وهـي أمـورٌ تـدعو إلى صحّةِ الاستدْلالِ بأشعارِهم في المَعاني، كما قدّمْنا[1].

أ. د عبد الرحمن بو درع

(١) يُراجَعُ: الخَصائص لابن جنّي، خزانَة الأدب للبغدادي: مقدّمَة الكتاب، طَبَقات فُحول الشّعَراء لابن سَلاّم الجُمَحيّ، الصّاحبيّ في فقه اللغةِ لابن فارِس.

٥ . السائل : عبد العزيز حسن :

ما أفضل شروح الألفية ؟

الجواب :

للألفية شروح كثيرة، تزيد عن مائة وثلاثة وثلاثين شرحًا، ولم يطبع منها حتى الآن - حسب علمنا - إلا بضعة وعشرون شرحا. هذا سوى الحواشي والتعاليق وشروح الشواهد والمعارضات والاستدراكات والإعرابات والتلخيصات والتضمينات، وليس تفضيل شرح منها تفضيلا مطلقا بمتأتٍّ لأن كل شرح منها يتضمن أشياء تميزه عن غيره قلت أو كثرت ـ هذا هو الغالب ـ ولكن بالنظر إلى أغزرها مع القوة والجمع والاهتمام بمسائل الخلاف والتأصيل، فأحسن الشروح المختصرة في ذلك: شرح ابن الناظم (الدرة المضيئة). ثم شرح ابن هشام (أوضح المسالك). وأحسن الشروح المطولة والمتوسطة في ذلك أربعة: الأول: شرح أبي حيان المتوفى٧٤٥هـ (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك). والثاني: شرح ابن أم قاسم المرادي المتوفى ٧٤٩هـ(توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك). والثالث: شرح الإمام أبي إسحاق الشاطبي المتوفى ٧٩٠هـ (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية). الرابع: شرح الأشموني المتوفى ٩٢٩هـ (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك).

وكلها مطبوعة سوى شرح الشاطبي فلم يطبع منه إلا بعضه حسب علمنا القاصر. والله أعلم.

د . عبدالله الأنصاري

٦ . السائل : أحمد بن محمد :

هل علم النحو - كما يقال - نَضِجَ واحترق؟

الجواب :

حيا الله السائل، وأحيانا به، لقد سألتَ عن عبارة كنا نتداولها في أول الطلب، وفيها تنبيه من كمال علم النحو على ألا مزيد عليه لمتأخرين بعد المتقدمين؛ إذ قد جاء المتأخرون فوجدوا المتقدمين قد عجنوا وخبزوا وأنضجوا، فلم يجدوا من عمل غير زيادة إنضاج الخبز حتى أحرقوه.

وإذا كانت العبارة قد دلّت على كمال علم النحو في عمل المتقدمين فأعجبتنا، فقد دلّت على إفراط المتأخرين فأغضبتنا؛ إذ هي من الدعاوى الهدامة التي تزهدنا في أعمال متأخرينا لتسلكهم مع أعدائنا في سلك عصور الانحطاط. ومقتضى الإنصاف أن نقرّ باشتمال العصور كلها على الأصيل والسخيف، بحيث ننتفع بالأصيل، ونتعظ بالسخيف.

وما زلنا نتلقى إضافات نحوية أصيلة تتغذى بخبز القدماء الناضج وتخبز مثله وتضيف إليه والسلام ....

أ.د. محمد جمال صقر

٧. السائل : عبد الرحمن :

نسمعُ كثيرًا، ونقرأ (عام .. سنة .. حول)، هل هي ألفاظ مترادفة أم لكل لفظ معني ؟

الجواب :

العامُ والسّنَةُ والحَولُ والدَّهْرُ والمُدَّةُ والزَّمانُ والوَقْتُ والميقاتُ والحينُ والعَصْرُ والحِقْبَةُ والبُرْهَةُ والأَجَلُ والأَبَدُ: هذه كلماتٌ تدلُّ على الزّمان، أو على جهةٍ من جهاتِه وجزءٍ من أجزائه:

١. فأمّا العامُ : فهو الحَوْلُ من جهةِ أنّه يَدورُ على أهلّةٍ مُحدَّدةٍ، ويأْتي العامُ على شَتْوَة وصَيْفَة والجمع أَعْوامٌ لا يكسَّرُ على غير ذلك، ويُقالُ في المُبالَغَةِ : مَرَّ بنا عامٌ أعْوَمُ، ويُطلقُ العامُ الأعوَمُ على الجَدْب، ذكَرَه ابنُ سيدَةَ المُرسيّ، كأنه طال عليهم لجَدْبه وامتناع خِصْبه، وكذلك أَعْوامٌ عُوَّمٌ وكان القياس : عُومٌ.

٢- وأمّا السّنَة : فهي واحدةُ السِّنين، وقال ابن سِيدَةَ : السَّنَة العامُ، وهي اسم مَنقوصٌ، والذّاهبُ منها يَجوزُ أَن يكون هاءً وواوًا بدليل قولهم في جمعها سَنَهات وسَنَوات. والفرقُ بين السَّنَةِ والعامِ أنّ السَّنَةَ -مطلقةً- تدلُّ على السنةِ المُجْدِبةِ، أَوْقَعُوا ذلك عليها إكبارًا لها وتشنيعًا واستطالةً؛ يقالُ أَصابتهم السَّنَةُ والجمع من كل ذلك سَنَهاتٌ وسِنُون.

٣- وأمّا الحَوْلُ : فهو سَنَةٌ بأَسْرِها والجمعُ أَحْوالٌ وحُوُولٌ وحُؤُولٌ، ذكَره سيبويه في الكتابِ، وحالَ عليه الحَوْلُ حَوْلاً وحُؤُولاً أَتى عليه،

وأَحال الشيءُ واحْتالَ أَتَى عليه حَولٌ كامل، وأَحالت الدارُ وأَحْوَلَتْ وحالَتْ وحِيلَ بها أَتَى عليها أَحْوَالٌ، وحالَ الغلامُ أَتَى عليه حَوْلٌ وأَحالَ عليه الحَوْلُ أَي حالَ، ودار مُحيلة غاب عنها أَهلُها مُنْذُ حَوْل وكذلك دار مُحِيلة إِذا أَتت عليها أَحوال. فالحَوْلُ العامُ الذي يَدورُ بأتمِه ورُمَّتِه.

أمّا الدَّهرُ : فهو جَمعُ أوقاتٍ مُتَواليَةٍ، مُخْتَلِفَةً كانت أو غيرَ مختلفةٍ . وأمّا الزّمانُ فيقعُ على جمعٍ من الأوقاتِ ،و كَذلِك المُدّةُ، إلاّ أنّ أقصرَ المُدَّةِ أطْوَلُ من أَقْصَرِ الزَّمانِ . وأصلُ المُدَّةِ المَدُّ وهو الطّولُ. والوَقْتُ واحِدٌ خلافًا للزّمانِ والدَّهرِ اللّذيْنِ هما أوقاتٌ متعدِّدةٌ . والميقاتُ ما قُدِّرَ لِيُعْمَلَ فيه عَمَلٌ من الأعمالِ، ولهذا قيلَ مواقيتُ الحجِّ للمواضعِ التي قُدِّرت للإحرامِ. والحينُ اسْمٌ جمعَ أوقاتًا مُتناهيةً سواء كانت سَنَةً أو شُهورًا أو أيّامًا أو ساعاتٍ.

والعصرُ لكلِّ مُخْتَلِفَيْنِ مَعْناهُما واحدٌ مثْل الشّتاءِ والصّيْفِ، واليومِ واللّيلةِ، والغداةِ والسَّحَرِ، يُقالُ لذلِك كلِّه العصرُ .

و الحِقْبَةُ اسْمٌ للسّنةِ إلاّ أنّها تُفيدُ غيرَ ما تُفيدُه السَّنَةُ . ذلك أنّ السّنةَ تُفيدُ أنّها جمعُ شُهورٍ، والحِقْبة تُفيدُ أنّها ظرْفٌ لأعمال ولأمورٍ فيها، مأخوذة من الحقيبةِ وهي ضربٌ من الظّروفِ يُجعَلُ فيها المَتاعُ. والبُرْهةُ بعضُ الدّهرِ، ألا ترى أنّه يُقالُ : بُرْهةٌ من الدّهرِ كما يُقالُ قطعةٌ من الدّهرِ . والأجلُ الوقتُ المضروبُ لانقِضاء الشّيءِ، وهو محدودٌ في المُسْتَقْبلِ، وأجلُ الإنسانِ وقتُ انقِضاء عُمُره، وأجَلُ الدَّيْنِ مَحلُّه وذلِك لانْقِضاءِ مُدّةِ الدّيْنِ. والأبدُ للمُسْتَقْبلِ وهو خِلافُ "قَطّ" في الماضي .

فائدةٌ أضيفُها من كتابي: لا شَكَّ أنّ عُلَماءَ اللّغةِ تَركوا تُراثًا يَتَناوَلُ الأزمِنَةَ والأنواءَ في العربيّةِ، بالعَرْضِ والشّرحِ، وقَرَنوا بَيْنَ الأزمِنَةِ

والأنواء لأنّ اعتِمادَ العَرَبِ عَلى الاهْتِداءِ بالأهلّةِ والنُّجوم دَفَعَهُم إلى رصْدِ تَغَيُّراتِها وما يَنْجُمُ عَنْها مِن اختِلافِ مَنازِل النُّجومِ والأقْمار، وآثارِ هذِه التَّغيُّراتِ في الكَوْنِ والحَياةِ والحَيَوانِ وفي كُلِّ ما لَه اتِّصالٌ بوُجودِ العَربِيّ وحَياتِه. أمّا هذا التُّراثُ اللّغويّ فلَم يكنِ التّأليفُ فيه وَقْفًا على أهلِ الفَلَكِ والجُغْرافِيا، مِن أمْثالِ عبدِ الرّحمن الصّوفِيّ (ت.٣٧٦)، وأبي معْشر جعفَر بْنِ محمّد البَلخيّ وابنِ خرداذبّة والحَسَنِ بنِ سَهْلِ بْنِ نوبَخْت وسِنان بْنِ ثابت بْنِ قُرَّةَ ... ولَكنّه تَعَدّاه إلى أهلِ اللّغةِ والنَّحْوِ كمُؤرج السَّدوسيِّ والنّضرِ بنِ شميل والأصْمَعِيّ وقُطرُب وابْنِ الأعرابيِّ وابْنِ درسْتَوَيْه والفَرّاء والمُبَرِّد والأَخْفَشِ الأَصْغَرِ ... فَذَكَروا الفُصولَ الأربَعَةَ والحَرَّ والبَرْدَ والأمطارَ والرِّياحَ، وأمورَ الفَلَكِ وبُروجَ الشّمسِ ومَنازِلَ القَمَرِ والنُّجومَ الثّابِتَةَ والسّيّارَةَ وأحوالَ اللّيلِ والنَّهارِ وأيّامَ العَرَبِ والعَجَمِ والشُّهورَ والسّنينَ والدَّهْرَ، وما جاءَ في كُلِّ ذلِكَ مِن الأخْبارِ والأشْعارِ . ومِن هذِه الكُتُبِ:

- [الأيّام واللّيالي والشُّهور] لأبي زكَرِيّا الفَرّاءِ (ت.٢٠٧)، تح. إبراهيم الأبياري، نشر وزارة التّربية والتّعليم المصرية، ١٩٥٦م.

- [الأيّام واللّيالي] لأبي يوسُفَ يَعقوب بنِ السّكّيتِ (ت.٢٤٤) ذَكَرَه لَه أصْحابُ التَّراجِم.

- [الأنْواء في مَواسِمِ العَرَب] لأبي محمّد عبدِ الله بنِ مُسلِم بنِ قُتيبَةَ الدّينوريّ (ت.٢٧٦)، ط. حَيْدَرأباد الدّكن بالهِنْد ١٩٦٥م.

- [الأنْواء والأزْمِنَة] لأبي العبّاس المُبرِّد (ت.٢٨٥)، ذَكَرَه لَه أصْحاب التَّراجِم.

- [الأنْواء والبَوارِح] لأبي طالِبٍ المُفَضَّلِ بْنِ سَلَمَةَ (ت.٢٩١)،

- [الأزمِنَة وتَلْبِية الجاهِلِيّة] لأبي عَلـيّ محمّـد بـنِ المُسْـتَنير قُطْـرُب (ت.٢٠٦) تح. د. حَنّا جَميل حدّاد، مكتبـة المَنـار، الأردن، الزّرقـاء، ط/١، ١٤٠٥-1985[1].

أ.د عبد الرحمن بو درع

(١) انظر تفاصيلَ هذه المَعْلوماتِ في: المُنْتَقى من فَصيحِ الألفاظِ للمَعاني المُتداوَلَـة (ص: ٥٩-٦١)، أ.د. عبد الرّحمن بودرع، منشورات جامعة عبد المالـك السـعدي، كليـة الآداب، مطابع الخَليج العربي، تطوان، المغرب: ٢٠٠٨م.

٨. **السائل : أبو هند :**

هل صحيح: أعذب الشعر أكذبه ؟؟

الجواب :

تكلّمَ النّقّادُ في هذه المسألَة، وحاولوا أن يُبرهنوا على وجه الصحّةِ فيها :

فالعسكري في (الصناعتين): يرى أن أكثرَ الشعر مبنيٌّ على الكذب والاستحالة في الصفات الممتنعة، والنعوت الخارجة عن العادة، والألفاظ الكاذبة: من قذف المحصنات، وشهادة الزور، وقول البهتان، ولا سيما الشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفحله.

قال: وليس يُرادُ منه إلا حسنُ اللفظ وجودة المعنى؛ فهذا الذي سَوَّغَ استعمالَ الكذبِ وغيرِه مما جرى ذكْرُه فيه. وقيل لبعض الفلاسفة:

فلان يكذب في شعره، فقال: يُراد من الشّعر حُسنُ الكلام، والصدقُ يراد من الأنبياء عليهم السلام.

وقال ابن أبي الأصبع في كتابه تحرير التحبير: وأنا أقول قد اختلف في المبالغة، فقوم يرون أن أجود الشعر أكذبه، وخير الكلام ما بولغ فيه وقالَ القلقشندي في صبح الأعشى في صناعَة الإنشا: وقومٌ يرونَ المبالغةَ من عيوب الكلام، ولا يرون محاسنه إلا ما خرج مخرج الصدق.

وجاء على نهج الحق؛ ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه عن أن يخترع معنى، أو يفرع معنى من معنى؛ أو يحلي كلامه

شيئًا من البديع، أو ينتخب ألفاظًا موصوفة بصفات الحسن، ويُجيد تركيبها، فإذا عَجَزَ عن ذلك كلّه عَدَلَ إلى المبالغة يسد بها خَلَلَه ويتم نقصه؛

لما فيها من التهويل على السامع، ويدعون أنها ربما أحالت المعاني فأخرجتها عن حد الإمكان إلى حد الامتناع.

قالَ القلقشندي: وعندي أن هذين المذهبين مردودان، أما الأولُ فلِقَولِ صاحبه: إن خيرَ الكلامِ ما بولغ فيه، وهذا قولُ من لا نَظَرَ له، لأنا نرى كثيرًا من الكلام والأشعار جاريًا على الصدق المحض خارجًا مخرج البحث، وهو في غاية الجودة، ونهاية الحسن، وتمام القوة؛ وكيف لا والمبالغة ضرب واحد من المحاسن، والمحاسن لا تحصر ضروبها؛ فكيف يقال: إن هذا الضرب على انفراده يفضل سائر ضروب المحاسن على كثرتها! وهذا شعر زهير والحطيئة وحسان، ومن كان مذهبه توخي الصدق في شعره غالبًا، ليس فوق أشعارهم غاية لمترق، ألا ترى إلى قول زهير:

ومهما يكن عند امرىء من خليقةٍ

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

و إلى قول طرفة:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطول المرخى وثنياه في اليد

و إلى قوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار مـن لم تـزود

و إلى قوله الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعـدم جوازيـه لا يذهب العرف بين الله والناس

فإنك تجد هذه الأشعار فِي الطبقة العليا من البلاغة، وإن خلت مـن المبالغة فهذا موقف وَسَط وَقَفَه القلقشندي من القضية ولم يجعَلِ الشـعرَ بابه الشّرّ والكذب[1].

وأسوقُ في ما يَلي نصًّا مُفيـدًا للشّـيْخ عبـد الـرّحمن حَسَـن حَبَنَّكَـة المَيْدانيّ، رحمـه الله، مـن كتابِـه (البَلاغـة العربيّـة، أسُسُـها وعُلومُهـا وفُنونُها):

دعوى «أعذب الشعر أكذبه»:

أمّا دعوى: «أعذب الشعر أكذبـه» فهـي دعـوى لا أسـاسَ لهـا مـن الصحّة، لدى التحليل والبحث عن العناصر الجماليّة في الأدب. إنّ الحقّ إذا لَبِسَ ثوبًا أدبيًّا جميلاً كان أجملَ من الباطل لا محالةَ، مهما لبس مـن أثواب جميلة مزخرفة.

إنّ الحُلَّة والحِلْيَة الأدبيَّة اللَّتَيْن يرفل بهما قـول الله تعـالى في سـورة (الرعــد/ ١٣ مصــحف/ ٩٦ نــزول): ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ

(١) يُرجَـعُ إلى: الصـناعَتَيْن لأبي هـلال العسـكري، وصُـبح الأعشـى في صـناعة الإنشـا للقلقشندي، وتحرير التحبير لابن أبي الأصبع.

﴿...بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد].

للفكرة الحقِّ التي تُبيِّنُ واقعَ انتصار الحقّ والمحقِّين بعد أحداث الصِّراع بين الفريقين، أجمل من كل أدب يُزيِّن فكرة باطلة لتكون مقبولة محبَّبَة.

ربّما يكون تضخيم الحقّ وتجسيمُه في الصورة الأدبيّة عملاً أدبيًّا جميلاً، لأنّ التضخيم والتجسيم في مفاهيم النّاس لون من ألوان البيان والشرح للحقيقة، وبعد الشرح ترجع الحقيقة في تَصَوُّرِ النّاس إلى حجمها الطبيعي.

إنّ الفكرة المشتملة على كذب سخيف ممجوج قد يستعذِبها الذهن لطرافتها، ولكن يمجّها الذَّوق والحسُّ المرهف العارف بألوان الجمال لسخافتها ومجافاتها للحقيقة مجافاةً واسعة المسافة.

في قول المتنبّي:

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجل لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

وفي قول الآخر:

ولوْ أنّ ما بي من جَوىً وصبابةٍ على جَمَلٍ لم يدخل النّار كافر

قد نلاحظ فكرة غريبة لا يتصيّدها إلاَّ شاعر ذَكِيّ، فنُعْجَبُ بطرافتها، ولكنّنا مع ذلك نمُجُّها، لأنَّها تشتمل على دعوى كاذبة سخيفة.

أمَّا حين تكون الفكرةُ مبتكرةً حُلوةً، وتكون الدَّعوى صادقةً في أصلها، مضخَّمةً مجسَّمةً مبالغًا بها في صورتها الأدبيّة، فإنّ الكلام يكون حينئذٍ أرفع أدبًا، وأعلى كعبًا، وأوقع في النّفس. هَلُمَّ فَلْنَلْحظ اجتماع الصدق والأدب الرفيع في قول الله تعالى في (سورة ق/ ٥ مصحف/ ٣٤ نزول): ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾. إنَّ في هذه الآية حلاوة فكرة السؤال والجواب. وحلاوة الجواب الذكي الذي لم يكن مباشرة بصيغة: (لم أمتلىء) أو بصيغة (لا) مع كثرة الذين أُلقوا فيها. إنّما جاء على صغية سُؤال النَّهِم الشَّرِه طالب المزيد: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟!!

وما دام باستطاعة الإِنسان أنْ ينتقي من الحقّ والصدق عناصر جماليّة لأدبه فما أوفر الحقّ والصدق في بيانات الإِسلام أما الدّعاة إلى الله، وما عليهم إلاَّ أنْ يغترفوا[1].

فمذهبُ جمهور العلماء والأدباء أنّهُم قد توسَّطُوا في هذه القضيّةِ؛ فقبلوا من المبالغة ما كان منها حسنًا جاريًا مجرَى الاعتدال الذي لا يراه الناسُ مستنكرًا ولا مُسْتَهْجَنًا، أو ما كانَ قائمًا على التصوير الخيالي في سياق من الكلام يَسْمَحُ بذلك، بشرط أن لا يكون في المبالغة إيهامٌ بأنّ المتكلّم يُقَرّرُ حقيقةً واقعة بكلّ عناصرها، بل يُدْرِكُ المتلقِّي أنَّ الكلام مَسُوقٌ على سبيل المبالغة، فيأخذ منها المعنَى المعتادَ في الكثرة مع زيادةٍ مقبولة.

أ. د عبد الرحمن بو درع

(١) البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن حبنكة (٥٥/١)، طبعة دار القلم/ دمشق، الدّار الشّاميّة/ بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٩ . السائل : أبو أنس :

نرجو من أعضاء المجمع المحترمين أن يفيدونا بالإجابة عن هذا السؤال: هل توجد شروح لكتاب سيبويه، وما هي؟ وجزاكم الله خيرا.

الجواب :

شروح كتاب سيبويه كثيرة جدًا، ومن الطريف أن بعض الأوربيين عُني به، حتى إن باحثة لغوية ألمانية شرحته، وأشهر الشروح الموجودة لدينا الآن - حسب علمي القاصر - : شرح أبي سعيد السيرافي، وهو محقق ومنشور في مصر ويوجد في مكتبة الرشد، ونشرته دار الكتب العلمية في لبنان غير محقق، ومن الشروح المحققة شرح الرماني، وتعليقة أبي علي الفارسي حققها الدكتور علي القوزي في ستة أجزاء، والنكت للأعلم الشنتمري في جزءين، وشرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر القرطبي نُشر منه جزآن، وشرح الصفار البطليوسي نُشر منه جزآن أيضا وهو بتحقيق الدكتور معيض العوفي. والله أعلم.

د . عبد الله الأنصاري

١٠ . السائل : الودغيري محمد :

أريد أن أعلم من شخصكم الكريم، هل السكون حركة ؟ ولا يهمني مصدر المعرفة سواء كان علم الأصوات العربي القديم/علم القراءات/علم التجويد/علم الاصوات العربي الحديث/علم الاصوات الغربي.

الجواب :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد؛

أقول: إن السكون ليس حركة عند مختلف الطوائف العلمية المختلفة ذات العلاقة من لغويين وعلماء تجويد وفلاسفة وغيرهم، هذا من الناحية العضوية النطقية، وأما من الناحية الوظيفية فإن الحركة والسكون كليهما يشتركان في تأدية الوظائف المورفيمية والفونيمية المتعلقة ببنية الكلمة وإعرابها أو بنائها في العربية، فالحركة حقيقة لها وجود مادي لها صفاتها المعروفة من جهر وقصر أو طول ... الخ. تؤدي وظائف مورفيمية أو فونيمية في بنية الكلمة، مثال ذلك : قطع بثلاث فتحات فعل تحققت فعليته بحركاته، فإذا سكنت الطاء وهي عين الكلمة صارت الكلمة اسما، والسكون هنا مورفيم صفري ،أدى وظيفة في بنية الكلمة نقلها من الفعلية إلى الاسمية، والفعل أخرج(مزيد الثلاثي) فعل ماض تحققت فعليته الماضوية بالفتحتين اللتين على الراء والجيم؛ الفتحة التي على الراء حركة بنية والحركة التي على الجيم حركة بناء (وإعراب)، فإذا قلت: أخرج بكسر الراء وسكون الجيم تحقق أن الفعل فعل أمر. وهكذا فأن

السكون من الناحية الصوتية العضوية ليس بحركة، ولكنه من الناحية الوظيفية الفونيمية والمورفيمية يباشر الوظائف التي تباشرها الحركات، والموضوع فيه تفصيل عرض كاتب هذه السطور بعضه في بحثين منشورين؛ أحدهما في مجلة اللسان المبين العدد الثالث وهي مجلة يصدرها قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة طرابلس- ليبيا، وعنوانه الساكن بين القدامى والمحدثين، والثاني في كتيب أعمال المؤتمر الدولي الأول لكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة آل البيت- الأردن في اللغويات: الدرس الصوتي وتطبيقاته على اللغة العربية أيام ٦-٧-٨-نوفمبر-٢٠٠٨. وعنوانه: الوظائف الفونيمية والمورفيمية والتبدلات الصوتية في بنية الكلمة العربية. والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أ.د. صالح بن سليم الفاخري

١١. السائل : مسلم الشمري

السؤال: سمعت من أحد الإخوان أن كلمة تظاهرة غير صحيحة كونها مصدرًا غير قابل للتأنيث، وبالتالي لا يجمع بـالألف والتـاء، والصـحيح استخدام كلمة مظاهرة دائمًا. أرجو إفادتنا للوجه الصحيح، وفقكم الله.

الجواب :

الجواب له وجوه:

أوّلا: أنّ مظاهرة مصدر أيضا. فظاهر لها مصدران مُظاهرة وظِهـارا، مثل قاتل مُقاتلة وقِتالا.

ثانيا: أن التأنيث يكون في المصادر كثيرا كما في مظاهرة، واستعانة، وإجابة، وضَرْبة للمرّة، وضِرْبة للهيئة، ولم يمرّ علـيّ مـن يمنـع تأنيـث المصدر.

ثانيـا: أن قاعـدة منـع تثنيـة وجمـع المصـدر، ليسـت متحققـة في الاستعمال إلا في حالة أن يأتي المصدر مؤكدا لفعله لا غير، وذلـك أنـه مؤكدٌ للفعل، والفعل لا يثنّى ولا يجمع، وأنـه مـن قبيـل اسـم الجـنس المبهم كالماء والتراب ونحوهما، واسم الجنس يدل على القليل والكـثير بسبب كونه يـدل علـى حقيقـة هـذا الجـنس، والحقيقـة تشـمل القليـل والكثير، والمصدر المؤكد مبهم يدل علـى الحقيقـة [1]. فلـو جـاء مبينـا

(١) راجع: حاشية الشيخ محمد محيي الدين في (أوضح المسالك ٢/ ٢١٥).

للنوع أو العدد ثُنّي وجمع، ورأي سيبويه في المبيّن للنوع أنه لا يثنّى ولا يجمع، وأجاز ذلك نحاة كثر منهم ابن مالك مستدلا بمثل قوله تعالى ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب:١٠]، انظر الحاشية المذكورة قبل قليل.

ثالثا: إذا خرج المصدر من الإطلاق إلى التقييد، ومن المصدرية إلى الاسمية بأن سمّي به حراكٌ ما، أو معنى ما، أو ظاهرة ما، فإنه يأخذ حكم الأسماء ممّا تستحقه من تثنية وجمع ونحو ذلك، جاء في كلام بعضهم عن النحو: وحدُّهُ عندهم أنه علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كلام العرب والقياس ألاّ يُثنّى ولا يجمع لأنّه مصدر، ولكنه ثُنِّي وجمع لمّا نُقِل وسُمِّي به.

رابعا: أنّ جمع تظاهرة أو تظاهر، على جمع السلامة المؤنث ليس بِدْعا، فجمع مصادر الرباعي والخماسي والسداسيّ كثير. ففي مذاهب وآراء للزعبلاوي (منسوخ من الشبكة) «واستسهلوا فيما جمعوه من مصادر ما فوق الثلاثي جَمْع السلامة أو منتهى الجموع، وذلك لظهور القياس فيه. وقد استحبّوا جمع المصادر بالألِف والتاء فيما لم يُسمع جمعه عن العرب، وقد ضمِنُوا سلامة صيغته».

خامسا: أن انطباق مدلول مظاهرة وتظاهرة على هذا النوع من الحراك المسمّى بهما يحتاج إلى تأمل فيما تورده المعاجم من معان التي جاء فيها ما ملخصه:

في مقاييس اللغة: الظاء والهاء والراء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على قُوّةٍ وبُرُوْز.

وفي معاجم شتّى: والمُظاهَرَةُ: المعاونة. والتَظاهُرُ التعاون. وتَظاهروا: تَدابَروا، وتَعاوَنوا، ضِدٌّ. وظاهَرَ الرجلُ امرأته، ومنها، مُظاهَرَةً وظِهارًا،

إذا قال: هي عليّ كظَهْرِ ذاتِ رَحِمٍ، وقد تَظَهَّر منها وتَظاهَر، وظَهَّرَ من امرأته تَظْهِيرًا كلّه بمعنى. والتَّوافق: الاتفاق والتظاهر.

فلمّا كانت المظاهرات ظهورا وبروزا لجماعة من الناس وتعاونا بينهم وتدابرا مع المتظاهَر عليه، ولما كان المتظاهرون أُولي أَسْرةٍ وقوة، وكانوا مطالِبين بحقوقهم بطرق سلمية، ولا هدف لهم سوى تنفيذ مطالبهم، وبتنفيذها ينهون نشاطهم - لما كان ذلك كلّه كذلك - كانت تسمية حراكهم ونشاطهم هذا بالتظاهر والمظاهرة والمسيرة هي الأنسب والأقرب للدّقة، ولا يسمى خروجا أو ثورة؛ لأنّ الخروج والثورة عادة يكونان انحيازا ضدّ حاكم أو حكومة، ويكونان مسلحين غالبا ولو بسلاح خفيف، وليس لهم مطالب إلا طلب السلطة والسيطرة، أو إسقاط نظام دون أن يقبلوا منه صرفا أو عدلا، وهذا ما تجنح إليه بعض التظاهرات في كثير من الأحيان، فبقاء تسميتها بالمظاهرات غير مستقيم، وعلى كل حال فالناس كما هو واقع ظاهر في زمننا هذا يسمونها ثورات إذا خرجت إلى العنف.

سادسًا: وقد كنت أظنها ترجمة حرفية غير موفّقة لكلمة: demonstration وقد تُرجمت في بعض القواميس (موقع المعاني): بالمظاهرة والثورة والانقلاب.

لكن ظهر لي - ترجمت أو لم تترجم - ارتباطها أعني اللفظة العربية بمعانيها في المعاجم، وإن ببعض التأمل.

سابعًا: للفائدة فإنّ التظاهرَ - بهذه الصيغة، وفعلَه تظاهَر - بمعنى إبداء خلاف الحقيقة في شيء ما كالتظاهر بالموت، والصلاح، والنوم،

والعلم، والإسلام، ونحو ذلك لم أجده صريحا في المعاجم (لم أبحث في التاج) مع شهرة مثل قولهم: كان يُظْهر الإسلام ويُبْطن الكفر، علما أنّ التظاهر بهذا المعنى هو ما عليه كثير من المتظاهرين والثوار (يطلقون عليهم: المنْدَسّين) لأنهم يظهرون الحرص على المطالب والحرية في حين أنهم يُبطنون مآرب أخرى.

أما ما جاء في (اللسان: زوج) عن الأصمعي في النص التالي فلم يظهر لي معناه على الحقيقة والنص هو - مراجعا على طبعة دار العلم للملايين -: «قال بعض النحويين: أَما الزوج فأَهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤَنث وضعًا واحدًا، تقول المرأَة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي. قال الله عز وجل: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، و﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب:٣٧]؛ وقال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء:٢٠]؛ أَي امرأَة مكان امرأَة. ويقال أَيضًا: هي زوجته؛ قال الشاعر:

يا صاحِ، بَلّغ ذَوِي الزّوْجاتِ كُلّهُمُ
أَنْ ليس وصْلٌ، إِذا انْحَلّتْ عُرَى الذّنَبِ

وبنو تميم يقولون: هي زوجته، وأَبى الأَصمعيُّ فقال: زوج، لا غير، واحتج بقول الله عز وجل: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]؛ فقيل له: نعم، كذلك قال الله تعالى، فهل قال عز وجل: لا يقال: زوجة؟ وكانت من الأَصمعي في هذا شِدّة وعُسْر. وزعم بعضهم أَنه إنما ترك تفسير القرآن لأنّ أَبا عبيدة سبقَه بالمجاز إِليه، وتظاهر أَيضًا بترك تفسير الحديث وذكر الأَنواء».

قوله: «وتظاهر بترك تفسير الحديث وذكر الأنواء»، أيفهم منه أنه كان يفسّر الحديث ويذكر الأنواء سرًّا ويتظاهر بتركهما أم أنّ في النصّ تحريفا أو زيادة ما.

أ.د سعد بن حمدان الغامدي

١٢ . السائل : إحسان :

أرجو التكرم بإفادتي: هل يصح تسمية الواحدة من النجوم باسم: نجمة؟ وهل يصح جمع كلمة (نجم) على (أنجُم) ؟

وجزاكم الله خيرًا ونفع بكم.

الجواب :

لا نجد في تراث العرب القديم شعره أو نثره إطلاق لفظ (نجمة) بتاء التأنيث على الكوكب من كواكب السماء بل اللفظ منها مجرد، يقال (نجم) لكوكب السماء عامة، ويقال (النجم) للثريا خاصة، يكون علمًا عليها بالغلبة، قال الراعي:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحِيرَةٍ   سَرِيعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمودُها

«يَعْني الثُرَيَّا؛ لأَنَّ فِيهَا سِتَّةَ أَنْجُمٍ ظَاهِرَةٍ، يَتَخَلَّلُهَا نُجُومٌ صِغَارٌ خَفِيَّةٌ»[1].

وأما (النجمة) فهي الواحد من (النجم) وهو النبات الذي لا ساق له. فالنجم الكوكب مفرد جمعه أنجم ونجوم، وأما (النجم) النبات فهو اسم جنس جمعي مفرده (نجمة) كالتفاح والتفاحة، ولا تكاد تصادف استعمال (النجمة) للنبات في لغة المحدثين؛ فكأنه نسي وظل حبيس التراث كطائفة كبيرة من الألفاظ. ولعل هذا مهد لاستعمال جديد، إذ استعمال

(١) تاج العروس (نجم ٣٣/٤٧٦).

(النجمة) بمعنى (النجم) استعمال حديث، على أني صادفت استعمال (نجمة) في كتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) ألفه ابن بسام في(٥٠٢هـ)، قال: «يحسبان كل بيضاء شحمة، ويتخيلان كل ضوءٍ نجمة»، والسجعة في النص تدفع مظنة التصحيف. وأثبتها المعجم الوسيط على أنها من المولد. والذي عليه استعمال الناس اليوم الفصيح منه والعامي إطلاق (النجمة) على الكوكب، ويستعملون الأنجم والنجوم جمعًا مقابلا للمفرد (نجمة).

والسؤال الآن: هل نقول للكوكب نجمة؟

يعتمد الجواب على الموقف من اللغة وأهلها، أيكون المراد ارتهان اللغة لاستعمال القدماء فنقبل ما استعملوه ونترك ما لم يستعملوه، أم المراد إطلاق اللغة بصفتها لغة القدماء ولغة غير القدماء فهي لغة أولئك ولغة هؤلاء، وكما كان لهم حق التعبير عن مقاصدهم فإن لهؤلاء حق التعبير عن مقاصدهم؟ وإن كان ما اطرد من استعمال القدماء ملزمًا وإن خالف القياس كاستحوذ واستنوق فإن ما أطبق على استعماله المحدثون، ولا يخرم قاعدة، جدير بالقبول والاستعمال. ومن أجل هذا أذهب مذهب الأستاذ أحمد الزيات في بحثه الذي ألقاه في المجمع سنة (١٩٥٠م) وعنوانه (الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه) ورد فيه أن من حق العالم: «أن يستمد من اللغة العامية إن كان أداؤها للمعنى أدق وأكمل، ويسوغ هذا أن الصلة بين العامية والفصحى أكيدة، وأن قواميسنا لم تستوعب كل المفردات العربية، وأن الفارق بينهما قد يكون اللهجة ونطق الحروف»[(١)].

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (١١/١٤٧).

ومن أجل ذلك أرى استعمالهم (نجمة) بمعنى (نجم) لكوكب السماء استعمالاً سائغًا، وبعض العامة ربما أضافت التاء إلى ما كان مستغنيًا عنها في دلالته فقالوا في (عصا) عصاة، وقالوا في (قدر) قِدرة، وقالوا في (عروس) عروسة، فكذلك (نجم) ونجمة. وكثر اطلاق المحدثين النجمة على الكوكب لفظ (نجمة) وقلّ استعمالهم (النجم) في نثرهم أو شعرهم أو حوارهم؛ إلا أن يطلقوه صفة للشخصية البارزة، فيقال للذكر نجم سينمائي، ويقال للمرأة نجمة سينمائية." انتهى الاقتباس.

هذا وأضيف إلى ما جاء في مداخلة أستاذنا الكريم الأستاذ الدكتور إبراهيم الشمسان حفظه الله، أن "نَجَمَ" تأتي بمعنى طلع وظهر "نجَم الشيء ينجُمُ"، أي طلع النجم وطلع النبات، والجمع في النبات نَجم، كما ورد سابقا، إلا أنها في الكواكب تجمع على أنجُم، وأنجام، ونُجُوم، ونُجمٌ، كما ورد في لسان العرب. والله تعالى أعلم.

د. غسان حسن الشاطر

١٣ . السائل : محب اللغة :

ما حكم التحدث بغير العربية مع من يجيد العربية لغير ضرورة أو داعي؟ بارك الله فيكم ونفعنا بعلمكم.

الجواب :

الحمد لله ذي الجلال، والصلاة والسلام على رسول الله وأزواجه والآل .. أما بعد:

فجوابا على سؤال عن حكم الكلام بلغة سوى العربية من غير حاجة إلى ذلك، أقول (وبالله التوفيق) :

أولا : هناك فرق بين من كانت لغته الأولى ولغة بلده وبني وطنه لغةً غير عربية، ومن كان عربيا في البلاد العربية .

فمن كانت لغته الأولى الفارسية أو الأُردية أو الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها، فلا يُطالب بأن يتكلم بالعربية ؛ إلا ما يجب على الأعيان تعلمه مما يُقيم الفرائض الدينية من القرآن الكريم والأذكار الواجبة، إذا ما كان يستطيع ذلك .

وهذا بخلاف العربي في بلاد العرب، فلئن كان الحفاظ على اللغة العربية فرضًا كفائيا على المسلمين كلهم، إذا فرَّطَ فيه المسلمون بما يُهدّد لغةَ العرب بالزوال، فقد أَثِمَ المسلمون كلهم = فنصيب العرب من هذا التأثيم أكبر؛ لأن العربية لغتهم وهم أولى من حافظ عليها، ولأن حِفْظَها عليهم أيسر.

ولهذا قال الإمام الشافعي: «يَنْبَغِي لِكُلّ أحد يَقْدِرُ على تعلّم العربيّة أن يتعلَّمها؛ لأنَّه اللّسان الأَوْلَى بأنْ يكون مرغوبًا فيه، من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجميَّة».

وقد استدلّ الله تعالى على عظيم قُدرته باختلاف الألسن (وهي اللغات)، وذكرها بعد دليل خَلْق السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم]، ولا يستدلُّ الله تعالى على عظيم قدرته في سياق يجمع الاستدلالَ بالامتنانِ (كهذا السياق) بمكروه لديه، مما يدلُّ على أن ذِكْرَ اختلاف الألسن كما أنه دليلُ قُدْرة: فهو تذكيرٌ بمنّةٍ من مِنن الباري عز وجلّ. مما يعني أن اختلاف الألسن كما أنه حقيقةٌ قدريةٌ لا يصح السعي إلى زوالها، فهو أيضًا من بين اختلاف صور الشعوب الداعي لتلاقح الثقافات وتطوّر الحضارات، والذي أشار إليه الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحُجُرات:١٣].

ولا ننسى أن صفوة الله من خلقه، وهم الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، كانوا يتكلمون بلغات مختلفة، وامتنّ الله على عباده بذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤]. مما يعني أنه لا توجد لغةٌ مبغوضةٌ لله تعالى في نفسها، وأن الإسلام لا يذم لغةً من اللغات، ولا هناك لغة تسيء لمن يتكلم بها، ولا تنقص من خُلقِه ولا دينه.

وإلى ذلك أشار الإمام البخاري في (صحيحه)، عندما بوّبَ لباب قال فيه: «باب من تكَلَّمَ بالفَارِسِيَّةِ والرَّطَانَةِ، وقوله تعَالَى: ﴿وَٱخْتِلَـٰفُ

أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾». ثم أورد الإمام البخاري ثلاثة أحاديث تكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات فارسية أو حبشية .

فقال الحافظ ابن حجر في شرح هذا التبويب: «وأشار المصنف إلى ضعف ما ورد من الأحاديث الواردة في كراهة الكلام بالفارسية: كحديث: (كلام أهل النار بالفارسية)، وكحديث: (من تكلم بالفارسية زادت في خبثه، ونقصت من مروءته)، أخرجه الحاكم في (مستدركه)، وسنده واهٍ. وأخرج فيه أيضا عن عمر، رفعه: (من أحسن العربية فلا يتكلمن بالفارسية، فإنه يورث النفاق ...) الحديث، وسنده واهٍ أيضًا».

وإلى ذلك أشار أيضًا الإمام النسائي، عندما بوّبَ في (سننه الكبرى) لباب بعنوان: «رَطانة العجم»، ثم أورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة في فمه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كِخْ .. كِخْ؛ أما شعرتَ أنا لا نأكل الصدقة».

يشير الإمام النسائي بذلك إلى عدم صحة الذّم المطلق للكلام بغير العربية، بدليل إدخال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبعض الكلمات غير العربية في كلامه.

ومن لطائف إشارات المحدثين: ما بوّب به الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، في كتابه (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه)، حيث عقد فيه بابًا بعنوان: «ما ذُكر من تَكَلّمِه صلى الله عليه وسلم بالفارسية»، وأورد عدة أحاديث في ذلك. وكأنه يشير بذلك إلى

سعة خُلُقه صلى الله عليه وسلم وسماحته مع اللغات والحضارات الأخرى، وبُعد أخلاقه صلى الله عليه وسلم عن العنصرية والعصبية للأعراق ولغاتها !

وهذا كله يدل على أن اللغات والتكلم بها الأصل فيه الإباحة، بل هي علمٌ من العلوم التي يُمدح من تعلّمه ! وما أحسن قول الشاعر صفي الدين الحلّي (ت٧٥٢هـ)، كما في ديوانه (٦٦٩) :

بقدر لُغاتِ المرءِ يَكْثُرُ نَفْعُه فتلك له عند المُلِمّات أعوانُ

تهافتْ على حِفْظِ اللغات مجاهداً فكل لسانٍ في الحقيقة إنسانُ

وفي السنن الصحيحة: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود، قال صلى الله عليه وسلم: «إني والله ما آمن يهود على كتاب».

مما يدل على أن تعلم اللغة الأجنبية عند الحاجة إليها واجب شرعي، فكيف إذا كانت وعاءً للعلم المادّي والتقدّم التِّقْني، كما هو الشأن اليوم ؟! فسيكون تعلمها فرضًا كفائيًّا على الأمة، لتلقي العلوم النافعة للأمة، تلك العلوم التي تجعلها قادرة على الرُّقي والمنافسة على منازل الرِّفْعة والقوة.

وأما ما جاء من النهي عن رطانة الأعاجم، فقد سبق أن شيئًا من ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا صحّ إطلاق النهي عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم.

وما يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه نهى عن رطانة الأعاجم، فليس بصحيح عنه، ولم يصححه شيخ الإسلام ابن تيمية، كما توهم بعض النقلة، بل صحح شيخُ الإسلام طريقَ الإمام البيهقي به إلى سفيان الثوري فقط . فقد رواه البيهقي من طريق الثوري، عن ثور بن يزيد، عن عطاء بن دينار، قال : قال عمر رضي الله عنه : «لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخطة تنزل عليهم». فشيخ الإسلام يصحح طريق البيهقي إلى الثوري، ولم يصححه إلى منتهاه، أي: إلى عمر رضي الله عنه. كما ترى لفظه في (اقتضاء الصراط المستقيم)، حيث قال: «وروى البيهقي بإسناد صحيح، في باب كراهة الدخول على أهل الذمة في كنائسهم والتشبه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم: عن سفيان الثوري، عن ثور بن يزيد، عن عطاء بن دينار، قال: قال عمر: .... » إلى آخر كلامه.

ونحوه كلام ابن القيم في (أحكام أهل الذمة)، وابن كثير في (مسند الفاروق) : كلاهما إنما يصحح الحديث إلى الثوري فقط.

وهذا الإسناد ضعيف مضطرب لا يصح؛ لأسباب:

الأول: أن عطاء بن دينار الهذلي هذا: من ثقات أتباع التابعين، لم يدرك أحداً من الصحابة، فضلا عن متقدميهم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه . مما يعني أن حديثه عنه منقطع غير متصل الإسناد، وهذه أول علة تضعف هذه الرواية.

الثاني: أن راويه عن عطاء بن دينار مختلف فيه : فبينما سُمي عند البيهقي بثور بن يزيد، وثور بن يزيد الظاهر أنه الكَلاعي الحمصي من

رجال الكتب الستة، وهو من الثقات . إلا أنه أُهمل في مصادر أخرى، كـ (مصنف ابن أبي شيبة)، حيث رواه عن وكيع بن الجراح عن ثور عن عطاء، هكذا دون أن ينسب ثوراً هذا . وما كان هذا الإهمال للنسبة أن يكون علة للأثر، لولا أن عبد الرزاق الصنعاني أخرج هذا الأثر في (مصنفه): عن الثوري، عن أبي [ثور]، عن عطاء بن دينار : أن عمر بن الخطاب قال : «لاتعلموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم في كنائسهم يوم عيدهم ؛ فإن السخطة تنزل عليهم» . كما في مصنفه (١/ ٤١١ رقم١٦٠٩)، وما بين معكوفتين تصحيح من نقل ابن منده عن مصنف عبدالرزاق، حيث ترجم في كتابه (الكنى) لمن يكنى بأبي ثور، فقال : «أبو ثور. حدث عن: عطاء بن دينار. روى عنه: سفيان الثوري. أخبرنا خيثمة، ثنا إسحاق، عن عبد الرزاق، عن الثوري، عن أبي ثور، عن عطاء بن دينار أن عمر رضي الله عنه قال : لا تعلموا رطانة الأعاجم». فهو عند الحافظ أبي عبد الله ابن منده ليس ثور بن يزيد، وإنما هو رجل آخر مجهول، هو أبو ثور .

الثالث : أن وكيعا خالف الثوري، كما في (المصنف) لابن أبي شيبة و(الأدب) له، فجعل الأثر من كلام عطاء بن دينار، لا من كلام عمر رضي الله عنه، مما يجعله من كلام رجل من أتباع التابعين، لا من كلام الصحابة . فهذا أشهر طرق هذا الأثر، وقد تبيّن أنه لا يصح .

ومن طرق هذا النهي عن عمر رضي الله عنه:

ما أخرجه ابن أبي شيبة (رقم ٢٦٨٠٥)، قال: «حدثنا وكيع، عن أبي هلال، عن بن بريدة، قال : قال عمر: ما تعلم الرجل الفارسية إلا خَبَّ،

ولا خَبَّ إلا نقصت مروءته»، وتصحّف في المطبوع إلى: «إلا خَبُث ... ولا خبث»، والتصويب من (كتاب الأدب) لابن أبي شيبة. ومعنى (خبَّ)، أي: خدع وغدر.

وهذا إسناد منقطع أيضًا، فعبدالله بن بُريدة لم يدرك من حياة عمر رضي الله عنه إلا سبع سنين، حيث وُلد لثلاث خلون من خلافته.

ولذلك نصّ أبو زرعة الرازي بعدم سماعه من عمر رضي الله عنه.

وأبو هلال محمد بن سُليم الراسبي: فيه ضعف، لا يجعله أهلاً للاعتماد عليه، خاصة مع نكارة مرويّه.

وفي الأثر إطلاقٌ لا يليق بعمر رضي الله عنه، فلا يمكن أن يخص عمر رضي الله عنه لغةً ما بمثل هذا الإطلاق، ومن سادة الصحابة من هو فارسي كسلمان رضي الله عنه، ومن صلحاء التابعين وتابعيهم عددٌ جمٌّ غفير.

ومن طرق هذا النهي عن عمر رضي الله عنه:

ما رواه البيهقي في شعب الإيمان (رقم ١٥٥٧)، من طريق زَيْدُ بْنُ الحباب : حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَمْرٍو الْمَكِّيُّ: حدثنا عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعَ رَجُلاً يَتَكَلَّمُ بِالْفَارِسِيَّةِ فِي الطَّوَافِ، فَأَخَذَ بِعَضُدِهِ وَقَالَ: «ابْتَغِ إلى الْعَرَبِيَّةَ سَبِيلاً».

ومع خلو هذا الأثر من النهي المطلق عن الفارسية، وإنما هو نهي عنها وكراهية لها في الذِّكر والعبادة = فالأثر لا يصح؛ لانقطاعه بين عطاء

وعمر رضي الله عنه، ولكون طلحة بن عمرو بن عثمان المكي شديد الضعف متروك الحديث .

وللأثر وجه آخر لا يزيده قوة، وهو ما أخرجه الفاكهي في (أخبار مكة) من طريق سُفْيَان، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَمِعَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلَيْنِ يَتَكَلَّمَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ فِي الطَّوَافِ، فَقَالَ: ابْتَغِيَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلاً. وبين ابن جريج وعمر رضي الله عنه وسائط عِدّة، وليس بعيدًا أن يكون الواسطة هو ذلك الراوي المتروك؛ فابن جريج معروف بأنه يسقط الضعفاء من أسانيده.

ومن طرق هذا النهي عن عمر رضي الله عنه:

ما أخرجه المعافى بن عمران في (الزهد: رقم١٩٢)، قال: حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال : قال عمر : لا تَعلّموا رطانة الأعاجم؛ فإن الرّجل إذا تعلمها خبّ.

وشيخ المعافى: عبدالله بن عمر بن حفص العمري: رجلٌ ضعيفٌ، ويزيد روايته ضعفًا انفراده بهذا الإسناد الصحيح (نافع عن ابن عمر)، والذي لو كان ثابتًا عن نافع لكان مشهورًا، ولَرَواهُ جِلّة الرواة عن نافع ممن تتلمذ عنه.

ولا يُقوّي هذا الطريق ما رواه الإمام مالك بلاغًا عن عمر، كما في (المدونة)، قال: «وأخبرني مالكٌ: أن عمر بن الخطاب نهى عن رطانة الأعاجم، وقال : إنها خب». فمع قوة الانقطاع بين الإمام مالك وعمر رضي الله عنه، فلا يبعد أن يكون الإمام مالك إنما سمعه من أحد شيوخه مرسلا أصلا.

ومع ضعف طريق مالك ؛ إلا أنه أقوى طرق هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه؛ لما عُرف به الإمام مالك من نقاوة الأسانيد، خاصة في (الموطأ)، وهذا الأثر ليس في (الموطأ)، فليس هو في نقاوة أخبار ذلك السِّفر الجليل من مرويات الإمام مالك.

وبهذا العرض يتبيّن أنه لم يثبت نهيٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم من أن يتكلم شخصٌ بغير العربية، فيرجع الأمر إذن إلى معانٍ عامة ومقاصد كبرى في الحفاظ على لغة القرآن والسنة، ولغة الحضارة العربية التي هي الوعاء الأكبر للحضارة الإسلامية.

ومن عبارات العلماء المهمة في تفصيل حكم المسألة : قول شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم): «وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب، وأكثر ما كانوا يفعلون إما لكون المخاطب أعجميا، أو قد اعتاد العجمية، يريدون تقريب الأفهام عليه ... (إلى أن قال): وأما اعتياد الخطاب بغير العربية، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه: فلا ريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم. ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغة أهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب ولغة أهلها بربرية = عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديما، ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب

بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم . ولا ريب أن هذا مكروه».

والتحرير عندي في هذا الباب أن نقول:

١- من جرى على لسانه من العرب الكلمة بعد الكلمة من غير العربية، بغير قصد سيء، كقصد التشبه بالكفار، ولا بسبب هزيمة نفسية أمام ثقافة الأجنبي : فلا يحرم عليه ذلك ولا يُكره.

٢- من أكثر الكلام بغير العربية بقصد التعلم لتلك اللغة، لكونها علما أو ليتمكن من تعلم العلوم النافعة لتلك الأمة التي يتعلم لغتها: فهو مأجور على ذلك. وقد يكون هذا فرضًا كفائيا، كما هو اليوم مع اللغة الإنجليزية خاصة؛ لكونها لغة تحوي أكثر العلوم المادية التي يحتاجها المسلمون.

٣- من تعلم اللغة الأجنبية وتكلم بها ؛ بغضا للعربية، وحبا للغة الأخرى: فإن كان بغضه للعربية لا يعود بالنقص في دينه، كأن يكون بغضه لها لأن طبعه منافرٌ لها ولصعوبتها عليه = فلا إثم عليه . وأما إن كان بغضه للعربية ينقص من دينه، كأن يكون بغضه لها صادرا عن حب للكفار، فحكمه حكم حب الكفار : فمن أحبهم لكفرهم: فهذا كفر، ومن أحبهم لفسقهم: فهذا إثم، من أحبهم لأمر فيهم غير محرم: فلا إثم عليه.

٤- يأثم الفرد إذا ترك العربية حتى عجز عن قراءة ما يجب عليه من القرآن والأذكار في صلاته.

٥- تأثم الأمة كلها إذا فرطت في لغتها حتى أصبحت اللغة العربية غريبة بين أهلها، مستنكرة في أرضها . فاللغات شعار الأمم، ووعاء حضارتها، والتفريط فيها خيانة للأمة، يدل على عدم انتماء، وعلى هزيمة نفسية تؤذن باستلابٍ حضاريٍّ للأجنبي، وباندثار لمعالم التميز عنه.

٦- تأثم الأمة كلها إذا فرطت في لغتها فأصبح فقهاؤها عاجزين عن فهم كلام الله تعالى وفهم كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وصارت عاجزة عن التفقّه في دينها .

وبذلك يتبين أن مناط حكم الكلام باللغة الأجنبية في البلاد العربية يرجع إلى أمور ثلاثة - بحسب درجة شيوع الكلام باللغة الأجنبية وتهديده للغة العربية . فقد تكون حالة من حالات الكلام باللغة الأجنبية مباحة أو مكروهة فقط، ثم قد تصبح محرمة عند وصول الأمر درجة التهديد الصريح لواجبات اللغة في الأمة (من حفظ الدين، وحفظ الحضارة) .

- وبحسب أثره على الفرد.

- وبحسب نية ومقصد المتكلم.

هذه أهم معالم الحكم، وهي خلاصة قواعد هذا الباب . والله تعالى أعلم.

وكتب

د/ الشريف حاتم بن عارف العوني

١٤ . السائل : عبد العزيز حسن :

لماذا لا نستفيد من مقرّرات اللغة العربية في مدارسنا وجامعاتنا؟ وجزاكم الله خيرا.

الجواب :

(١)

هذا سؤال يدور على ألسنة الغيارى، يعتلج في صدورهم، وسأجيب عنه بتوسّع، وأضع في الإجابة الداء والدواء، والمشكلة والحلّ، بحسب ما أفهم وعلى قدر ملكتي وغاية علمي.

إنّ شكوى أبنائنا وبناتنا بلسان حالهم وقالهم من صعوبة مقرّرات النّحو، أو من ضعف أساتذتها، أو من سوء طريقتهم في تدريسهم، أو من جفائهم في تعاملهم، أو قلّة اعتنائهم بها وبطالبيها، أو الجهل بأسرار جمالها ومخبوء محاسنها، أو كلّ ذلك، أو جلّه، أو غيره .. إن شكواهم من ذلك كله قائمة مرفوعة في ديوان جليل، في محكمة سيبويه والخليل، ولقد أذكرني سؤالك هذا بسؤال سَأَلتُه منذ سنين وطرحته مرات، وهو: ما بالنا نعلم أبناءنا مادة النحو من السنة الرابعة الابتدائية إلى آخر سني تعليمه، ولا يخرج منها بشيء، أو لا يخرج منها إلا بتحصيل قليل لا يوصله إلى مرتبة نصف نحويّ (ونصف نحويّ يفسد اللّسان) كما قيل، وربّما خرج حانقا عليها، أو وصمها بالعقم ؟! وقلت لأحد الطلبة : أيُّما أيسر لديك، تعلّم اللّغة العربية أم تعلّم لغة أخرى ؟ فبادرني بالجواب

ولم يتلكّأ، قائلا : إنّ تعلّم لغة بل لغتين أجنبيّين أيسر عليّ وأنفع، وبالأمس القريب سألت طالبًا عربيًّا ممن كان أجداده يستشهد بكلامهم، قلت له: كيف علمك باللّغة ؟! قال لي : أيّ لغة .. قلت : العربية، خطر بباله لغة أخرى؛ لأن العربية صارت بعيدة عن الأذهان لا تتبادر إليها إلا بقرينة أو وصف، ولا ينصرف إليها عند الإطلاق، ونحن لا نعيب على من تعلّم أيِّ لغة من اللغات الأخرى إذا كان في تعلمه ما ينفعه في دينه أو دنياه، فاللّغات كلها من خلق الله، واختلاف الألسنة من آياته، وإنما نصبّ أنواع العتاب على من زهد في لغته ولغة دينه وكتاب ربّه الذي يزداد معرفة به وإيمانًا حين ينوخ ببابها، ويغوص في لجج بحارها وعُبابِها، ويذوق حلوَ فراتها وعِذابِها، ويرشف من ماء ظَلْمها ورضابها، ولهذه المسألة تتمة جواب، من ثمانية أبواب .

(٢)

إنه لما كان السؤال كبيرا احتاج إلى جواب كبير، وقد وصفنا في جزء الجواب الأول حال أبنائنا مع النحو والصرف، وكيف صرفت أبصارهم وبصائرهم عن وجهها النّاضِرِ وجمالها الباهر .. وتشخيص الداء هنا في ثلاثة مواطن : (الطالب، والمعلم، والمنهج)، فأمّا المنهج فقد اجتهد من وضعه وحاول التيسير فيما وضع، ولكنّه حين وضعه لم ينظر إلى المنهج في جميع المراحل بتدرّج دقيق، والواضع في المراحل الأولى غير الواضع في المرحلة المتوسطة وما بعدها، فاجتهدوا مأجورين في شرح المسائل وبسطها بتغيير في الأمثلة وشيء من البسط في الشرح، واعتنوا بتلوين الكلمات إلى خضراء أو حمراء أو زرقاء، وبأساليب مختلفة، وصرفت الأذهان جملة وتفصيلا عن تصانيف النحو القديمة، فلمّا ارتقى

الطالب إلى مرحلة الجامعة نظر إلى ما حصّله في دراسته فيما مضى فلم يجده شيئا، ووجد (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو والصرف)، لم يسمع به من قبل، أو سمعه ولم يقرأه، ولم يعتد على قراءة النظم وأسلوب المتقدِّمين، وأبصر فجوة واسعة بينه وبين ما بين يديه من هذه الكتب التي يقول له من يدرِّسها : لا بدّ أيضا من الرجوع إلى هذه الكتب، كتاب كذا لابن خروف، وكتاب كذا لابن عصفور، وكتاب ابن جنّي، وكتاب ثعلب، وربّما كلَّفه ببحث أو بحثين في فصل دراسيّ يذهب ربعه في حذف وإضافة، وربعه في تحضير وتغييب وتقريع وتوبيخ، وربعه في اختبارات لا داعي لها، وقد يذهب ربعه الباقي في تأخر الأستاذِ وغيابه بعذر أو بغير عذر، وربما كان عدد الطلبة في قاعة الدّرس سبعين أو ثمانين أو أكثر، ولدى الطالب البائس عشر موادّ أخرى، يروح من أجلها ويجي، ويستجيش ويلتجي، فإذا جاء موعد الاختبار - ويكون غالبا مصاحبا لمباراة في كرة القدم عالمية أو محلية أو إقليمية - عمد إلى الكتاب المقرر فنزعه من جلده، وانتزع أوراقه التي قيل له : هي المطلوبة في الامتحان، فذهب - إن كان من الجادّين - يعكف عليها يتجرّعها ولا يكاد يسيغها.

(٣)

إنّ ذلك الذي دَرَس النحو والصَّرف على نحو ما ذكرته في الحلقة الثانية ونجح بالمذاكرة الجاهدة، أو الفطنة إلى ما نبه عليه مدرِّس المادة، أو بالحظ، أو بإعادة المادة .. إنه هو الذي أصبح مدرِّسا، احتاج إلى الوظيفة، ووسيلته لأكل العيش شهادته في تخصّصه الذي قد يكون ملجأ إليه، ولسان حاله يقول وهو يدخل إلى كليته ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾

[الأعراف: ٨٨]؟ وهم يقولـون لـه: (ادخلـنّ مـع الـداخلين) ألم تعلـم - يا عبدالعزيز بن حسن - أن في بعض جامعتنا يُزَجّ بالطالب الذي يعشق التاريخ إلى قسم التربية، ويحشر محب اللغة مع طـالبي التـاريخ، ويـزجّ بطالب الشريعة إلى قسم التربية الفنية ؟ وربما قيل للطالب : ليس أمامـك إلا قسم القراءات، فانظر في أمرك .. هكذا تقتل المواهب، ويُقضى على الملَكات، وتصفع الوجوه، وبعبارة مختصرة : سياسة تلك الجامعات هي النظر إلى حاجة القسم لا إلى حاجة إلى الطالب ورغبتـه، فمـا كـان مـن الأقسام فارغا أو ناقصا قذف بالطالب أو الطالبة فيه، فيخرج بذهن فارغ، وعلم ناقص، وإخواننا التربويّون - عفا الله عنا وعنهم - لم نجد من كثير منهم إلا كثرة الكلام في غير فائدة، ولم نجد منهم عملا يفرض الخطـط بقوة جدواه وصدق دعواه، لاسيما ما كان عن تجربة منقولة عن غيرنـا، فمنهج التربية والتعليم في بريطانيا - مثلا - يراقـب فيـه الطالـب منـذ أن يكون في الروضة إلى المرحلة التي بعدها، يتـابع الموجّهـون والمربّـون ملكات الطفل ويقرءون مواهبه، وترفع التقارير عنه إلى مرحلة التخصص ثم يضع نفسـه في المكـان المناسـب، فـإذا رأى المربّـون أنـه لا يصـلح للتحصيل وأنه يصلح للعمل المِهْني نصحوه به ووجهوه إليه، فأعطى هذا مما عرف، وأعطى ذاك مما غرف، وانتفع البلاد والعباد، فـلا تـرى إلا مصانع تصنع، ومطـابع تـدفع، والحكـيم الخـبير ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾، فمن اهتدى إلى الأسباب وعبر بها إلى درْبه، ظفر بإرْبهْ، ومـن تركها أو وضعها في غير موضعها تعس وانتكس، وكان من الخاسرين.

(٤)

لا علينا أن نعذِل من يعذُر المدرِّس الّذي وضع نفسه في مكانٍ لـيس له، وارتقى مرتقى ليس له أهل، وفي اختلاق الأعذار له بأنه ثمرة منـهج

وتدريس لا يخرِّجان إلا مثله إلا ما ندر، وعذلنا - أي لومنا - له بسبب أنه أخل بالأمانة، لأنه يعلم قدره وحصيلته فآثر الحياة الدنيا وقدّم مصلحة المعيشة على مصلحة الناس، فضاع وضيّع، أو كان كفيئًا ولكنه لم يؤد الأمانة التي اؤتمن عليها وأهمل واجبه في إفهام تلاميذه وترغيبهم وتحبيب اللّغة العربية إلى أنفسهم وتزيينها في قلوبهم، وفي النوع الأول يقول الشاعر:

تصدّر للتدريس كلُّ مهوِّس ... بليدٍ يسمَّى بالفقيه المدرِّس

وحُقَّ لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيت قريص شاع في كل مجلس

وقد هُزِلت حتى بدا من هُزالها ... كُلاها وحتّى سامها كلّ مفلسِ

ذكر هذه الأبيات ابن الأثير في (الكامل في التاريخ).

وأما النوع الثاني فأقول فيه:

إذا كنت تدرِي أنَّ علمكَ قاصرٌ ... عن النحو والتصريف والفقه فاجلسِ

ببيتك أو فتِّش عن العمل الذي ... يناسب ما تهواه غير مُدلِّسِ

نعَمْ وارتقبْ مالا حلالا أو اتَّجرْ ... أو احمل أو احرُثْ هذه الأرضَ واكنِسِ

فذلك خير من خيانتك التي ... سترديك في وادٍ من السُّحت أملسِ

يراك به يوم التغابن ثُلَّةٌ ... رأوا فيك ذا علمٍ وشيخَ تفرُّسِ

تناديهم والرّجل تَزلَقُ والورى ... به بين مَن يكبو وبين منكِّسِ

ومن يتَّق المولى يجدْ مخرجًا له ... ويَرزُقْه ربّي وهو لم يتوجَّسِ

وما نقله صاحب (الكامل)، صادق على كل زمان، ولعله في زماننا أكثر، وفي أزماننا وبلدنا أكفاء كرام.

(٥)

إن أشدّ ما يلاقيه الطالب في دراسته لقواعد النحو والصرف هو الانفصام بين ما يدرسه في فصله وبين ما يسمعه ويتخاطب به في بيته ومجتمعه، بل في مدرسته، بل في فصله، بل من أستاذ اللّغة العربية نفسه، كأنما يدرس لغة أخرى في غير موطنها، واللغة بنت المحاكاة، ولقد تنادى رجال من الغيارى بالالتزام بالفصحى في ميادين العلم وفصول الدّرس، فلم يستجب لهم عند ذاك مجيبُ، فأصبحت دراسة اللّغة وجدواها كمن يتعلّم السّباحة في الماء في كتاب يقرأه، ولم يَسْبح قطّ، ولا غمر نفسه في ماء، أو كمن يتعلم قيادة السّيَّارة، ولا يعرف منها إلا ركوبها.

ولو فزع المعلمون إلى تلقين الطلاب نصوص ما تيسر لهم من كلام الله وكلام رسوله، وكلام البلغاء بفصاحة وإعراب لوصلوا إلى الغاية من أقرب طريق وأخصر سبيل، ولأحبوا لغتهم حبّ غرام، فإن الوسيلة إذا كانت عسيرة ثقيلة لم يستطع أن يسلك بها صاحبها إلى غايته ومراده، وتربية هذا الحسّ في الطفل وتنشئته عليه يرقى به إلى درجة الفصاحة والبيان، ألا ترى أن الناس يتفاوتون في مسألة السلامة من الخلل في الإعراب حين التكلّم مع استوائهم في عدم معرفتهم بقواعد الإعراب ؟ وكم من إنسان يعرف تفاصيل قواعد الإعراب ويحفظ فيها كلاما ومتونًا، ولكنه خائب غائب عن السلامة في النطق، وقد ضربت مثلا لذلك منذ

زمن لبيان أنّ اللّغة ما هي إلا محاكاة، وقلت : لو جمعنا عددا من الأطفال من أبناء العجم قبل نطقهم وعزلناهم في مأوى لا يخالطهم فيه أحد من الناس، سوى نفرٍ من الفصحاء الحاذقين باللّغة، ولم يسمع أولئك الصِّبية إلا ما طرق آذانهم من كلام العرب المثبوت في أشعار الجاهليين ومنثورهم، فإنهم سوف يخرجون كما خرج أبناء العرب الأقحاح في عصر الجاهليين.. إنّ عامًا واحدا يكفي للوصول إلى الغاية بدل هذا الحشو الذي يرهق الأذهان، ويضعف الولدَان، ويطيل الزمان، ولا يتيقظ به الوسنان.

(٦)

إنّ الفصل في فصل الدّراسة بين ما يتعلّمه الطالب في فصله وبين ما يمارسه نطقًا وسماعًا في بيته وسوقه وطريقه وسائر الميادين .. إنه فصل يولج الاختلاج في الطبيعة، وليس لذلك من دواء إلا أن يجعل ما يتعلّمه وينطق به في قاعة التّعليم هو الأصل الأصيل، وأن بعض ما يقوله ويسمعه في سوى ذلك يخرج فيه على سبيل التسمّح والمداراة للناس ولنفسه رفعًا للحرج ودفعًا للكُلفة، على أنني لم أشهد في حياتي من يأنف من الاستماع للفصحى ويعذل ملتزمها، سواء في ذلك الخاصّة والعامّة، بل إنها إذا سمعت من لسان يساقط الكلام بسلالة وسهولة، طربت لها الأسماع، وعَذُب فيها الإيقاع، وفهمها المخاطب سواء الحاضرُ في ذلك والباد، وراعي الماشية وصاحب (الآيْ بادْ)، ولن تبهم على السامع ما دامت معرفته بادية، ولتجدنّ أشدّ الناس عداوة للفصحى والفصاحة والفصحاء هم الأدْنين من ركام الثقافة الساخطة على لغة

الضّاد، من كل عتلٍّ مضاد، وكلّ من أصابته لوثة الدعوة الناعقة باطراح الفصحى والعدول إلى العامّيّة؛ لأنها في زعمهم هي الأسهل والأيسر، ولا والله ما كانت قط يومًا من الأيام هي الأيسرَ ولا الأسهل؛ إذ كيف يكون الأسهل ما لا تنضبط قواعده، ولا تجمع شوارده، ولا يضَمُّ شمله، فإنّ عامّي الصعيد لا يفقه ما يقوله عامّي المغرب، وعامّي اليمن لا يفقه ما يقوله من بَعُد عنه، وهكذا، ولا حَلّ لهؤلاء كلهم إلا أن تكون الفصحى لسانا حاضرةً يديرونها بينهم، أولم يكفهم انّ الله أنزل هذا القرآن للناس كلهم والجنّ معهم يتلى عليهم ؟ وأخبر - سبحانه - أنه يسره على اللسان فقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الدخان]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر] قال ذلك (أربع مرات).

إن الفصحى والالتزام بها هي وسيلة من وسائل اتحاد العرب واجتماع كلمتهم وهي أيضا نذير لنظيرهم من أعدائهم حين يرى دليلا صوتيا يشهد على وحدتهم، وهو نوع من الاعتصام بحبل الله، وحبله هو القرآن، والقرآن باللسان العربي .

(٧)

إنّ السبب الأكبر الذي أحدث فجوة أو جفوة بين الطالب وبين ما يدرسه من علوم اللّغة وغيرها هو إهمال التطبيق في التخاطب والكلام، كما تقدّم، والسّبب الكبير هو مزاحمة العلوم وإرهاق الأذهان في يوم واحد بخمس أو ستّ موادّ، وكنّا نقرأ في المرحلة الثانوية ثمانية عشر

علمًا في الأسبوع، ولكأنّ كلّ علم يقول للآخر - وهو في ذهن الطالب -: إما أن تضمَّني إليك وحدي أو أخلي لك المكان، ومن المعلوم أن العلوم إذا تزاحمت سقطت كلها، ولابدّ أن يخرج التّوأمان حين خروجهما واحدا بعد الآخر، فإن استبقا الباب فلن يخرجا، وسيموتا قبل موت أمّهما، وتلك الطريقة لا تكسب الرسوخ ولو مارسها من كان من أذكياء العالم، فإنّ الفوضى في طلب العلم لا تخرج إلا علما فوضويّا لا تركيز فيه ولا تأصيل، ومن ينتفع بتلك الطريقة ينتفع بها في بعض العلوم؛ لكمال توجّهه إليها، ويخرج من البواقي بتحصيل قليل .. وكأن الذين وضعوا هذه الجداول والبرامج أرادوا أن يدفعوا وحشة الطالب من غائلة الملل فظنوا أن الإكثار يخرجهم من ذلك، فوقع الطالب في هذه الورطة التي يخرج فيها من الحراج بلا خراج، ومن البيت بلا سراج، وإنّ السائل ليسأل: لماذا لا تجرِّب طرق أخرى جريئة في التّدريس والمناهج؟ ولماذا تُجرى في كل بضعة أعوام مرّة أو مرّتين تجارب مشابهة تمشي على استحياء ؟

لماذا - لو أردنا النّصح والنفع لأبنائنا وبناتنا - لا نكتفي في كلِّ عام بثلاثة علوم أو أربعة متشابهة يدرسها الطالب ويجتهد فيها، فيخرج آخر العام وقد هضمها، ثم يعود لدرسها في مرحلةٍ ثانية فيتقرّر لديه ما تكرّر، فإذا درسها في الجامعة درسها دراسة الراسخ الواثق بما حصله فيما خلا، وانتفع بذلك انتفاعا تامّا .. ولن تمشي هذه المقررات بهذه الطريقة على استحياء، بل سوف تجري بهم في موج كالجبال، وتستوي بهم على شاطئ النجاة .

(٨)

إنّ الهمّ فيما سألت عنه لكبير، وما هو بكبير إذا جمعت الإرادات وصدقت العزائم، وروعي في المنهج والطريقة ما نعيشه اليوم في عصرنا هذا من تزاحم العلوم، وتفجر المعارف، وتوسع الثقافة .. إنّ أكبر خطإ يرتكبه المسئول في تدريس هذا العلم هو التشديد والظنّ بأنّ الطالب لا يكثر تحصيله إلا بأن يَغلُظَ عليه المعلّم ويشدّ وطأته عليه ويريه العين الحمراء، ويطلب منه أن يكون مثاليًّا، ولا يرضى بأن يدخل فصل الدراسة بعد دخوله، ثم يطرده إذا هو غفل عن درسه، كما يُطرد ابن آوى، وربّما أمره بإخراج كرسيّه معه كي لا يذكّره به، وإذا أراد أن يعتذر قال له: اسكت ورفع صوته، فلم يعتذر عذر البريء ولم تزل به حُبسة بل غُصّة، ولم يدر كيف يجيب، فمثل هذا الطالب يخرج من المرحلة التي درس فيها وهو ناقم على لغة الضاد وأستاذها، والمشاهد لذلك الموقف لابدّ أن يؤثر فيه ويُقذَفَ في نفسه طائفة من عاطفة نحو زميله ويبقى في ذهنه مشهدٌ أسود وصورة دميمة، وأما من أعجبه ذلك فسيقلّد أستاذه حين يَكبرَ ويصنع كما صنع، وهل كان أستاذه إلا مقلّدا لأستاذه، ولا نتكلّم ههنا بإطلاق ولا تعميم، فقد يكون في الواقع صورة نادرة يجد فيها الحليم نفسه قاسية أمام طالب قلّ حياؤه وقلت الحيلة في تربيته، وكلامنا عمن اتخذ ذلك منهجا وقانونا، وقد قال الله لنبيه: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والقصد أن الأصل في نجاح التعليم وانتفاع الطالب يعود إلى أمرين: منهج ميسّر يضمّ جوامع القواعد في تدرّج، وعلى طريقة يُحفظ بها مسائل العلم كما يحفظ رأس

المال، ومعلّم خبير يطلع على الأفئدة ويفطن إلى معرفة قدرة كل طالب وملكته واستعداده، فيغرس فيها محبة هذا الفن غرسًا مثمرًا ولعل في هذا الجواب المقتصد ما يسكّن اللوعة التي يجيئ عنها هذا السؤال وأمثاله.

والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به.

عبد العزيز بن علي الحربي